



روضة الورد

(گلستان)

سعدي الشيرازي

ترجمة: محمد الفراتي



روضۃ الورد

(گلستان)

تألیف

سعدی شیرازی

ترجمة

محمد الفراتی

سعدی، مطلعین عبدالله، - ۶۹۱ ق. [گلستان. عربی]

روضه الورد (گلستان) / تالیف سعدی شیرازی؛ ترجمه محمد الفراتی. — تهران: فرهنگ مشرق زمین، ۱۳۸۲.

۳۳۹ ص.

ISBN 964-8241-18-x

فهرست نویسی بر اساس اطلاعات فیپا . عربی.

۱. نشر فارسی -- قرن ۷. -- ترجمه شده به عربی. الف. فراتی، محمد، مترجم. ب. عنوان.

۸۳/۸۸

PIR5211/۸۳
۱۳۸۲

۸۲-۲۵۷۶۰

کتابخانه ملی ایران



سازمان اسناد و کتابخانه ملی جمهوری اسلامی ایران

اسم کتاب:

روضه الورد (گلستان)

المؤلف:

سعدی شیرازی

المترجم:

محمد الفراتی

الناشر:

المشرق للثقافة والنشر

الطبعة:

الاولی - ۱۴۲۵ هـ.ق ۲۰۰۴ م

الكمية:

۳۰۰۰ نسخة

المطبعة:

فجر الاسلام

السعر:

۱۸۰۰ تومان

ردمك:

ISBN: 964-8241-18-x ۹۶۴ - ۸۲۴۱ - ۱۸ - X

العنوان:

الجمهورية الإسلامية في ایران - طهران - ص. ب: ۱۸۱۱ - ۱۹۳۹۵



مکتبه
مؤمن قریش

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الفهرس

الباب الأول في سيرة الملوك	٣١
الباب الثاني في أخلاق الفقراء	٩٤
الباب الثالث في فضل القناعة	١٤٦
الباب الرابع في فوائد السكوت	١٨٩
الباب الخامس في العشق والشباب	٢٠٠
الباب السادس في الضعف والشيخوخة	٢٣٧
الباب السابع في تأثير التربية	٢٤٨
الباب الثامن في آداب الصحة	٢٨٣

مقدمة الناشر

افصح المتكلمين سعدي الشيرازي

هو الكاتب والشاعر الايراني المعروف وكان من أعظم المتكلمين واستاذاً
دون منازع في الأدب والفصاحة.

اسمه كما هو مشهور الشيخ مصلح الدين عبدالله الشيرازي والمعروف
بالشيخ سعدي او سعدي الشيرازي. عاش في الفترة ما بين نحو ٦٠٠ - ٦٩٤
للهجرة ومثواه في شیراز. من معالم حياته بما هو مؤكد أصبح يتيماً أبان
طفولته حيث يقول في هذا الجانب بما معناه:

اتحسس أنا بما يعاني منه الأطفال
إذ كنت طفلاً ما ابى فساءت بي الاحوال

فكان ينحدر من اسرة وقبيلة جلهم من علماء الدين

قبيلي من علماء الدين كلهم وهواك معلمي الذي علمني الشعرا

غادر مدينة شيراز بعد تحصيل المقدمات متوجهاً الى بغداد واختار الإقامة في مدرسة النظامية واكمل دراسته هناك.^(١)

إن ما يجب قوله حول سعدي هو عذوبة كلامه ومقدرته على النظم والنشر فكان سعدي على علم بمنزلته الرفيعة في الكلام وقد أشاد مرات بشعره ونثره وفصاحته وعذوبة كلامه:

لا يرقى حديثي وحسنك شخص هذا هو حد البلاغة والجمال

وقد كان من قلة المتكلمين ممن بلغ صيت بلاغته في حياته كافة ارجاء العالم، إذ يقول في ديوانه المعروف بـ (كلستان) بات الذكر الجميل لسعدي في افواه عامة الناس وصيت كلامه منتشراً في الأصقاع ويؤكل قصب الحبيب حديثه كالسكر ورقعة منشآت تشتري كما يشتري ورق الذهب (...).

تعرف كلامه كافة الفئات منذ ايام حياته وحتى يومنا هذا وتقرأ أشعاره بالتذاذ وتستخدم كلماته على شكل الأمثال والحكم.

كان سعدي عالماً كبيراً، ملتزماً بأصول الديانة متعبداً ومولعاً بالزهد ومتقياً مهيمناً على كافة العلوم الدينية وكان راسخاً في التدين والعبادة؛ وفقهاً

وزاهداً وعارفاً وواعظاً وعارفاً بالاجتماع وكان يحتل مرتبة سامية في هذه الفنون كافة لكن منزلته الشعرية تفوق باقي كمالاته. ولم يطفئ في ذات الوقت اي جانب من شخصيته على الجوانب الأخرى .. فسعدي الشاعر هو سعدي الواعظ وهو الفقيه القدير وهو العارف الزاهد.

من آثاره الموجودة في المتناول تم تجميعها في مجموعة تحمل اسم كليات والتي تشمل ديواني كلستان وبوستان وغزليات وقصائد فارسية وعربية ورباعيات. كانت قدرته فائقة في الشعر في العربية وجاء تبحره في الآداب العربية نتيجة تأثره بآثار كبار الشعراء العرب والإفادة منهم وتشهد بذلك قصائده العربية وملمعاته في هذا الجانب والتي تعكس سيطرته والمامة بالأدب العربي.

وقد عكس سعدي فنه في كل كلام سواء من الشعر او النثر. ويمثل نشره المسجع في كلستان قدوة يحتذي بها المتكلمون وذووا البلاغة. وغزلياته تثير حسد منظمي الغزل كما تثير حدة طبعه الاعجاب وتسمو دقته وفطنته على الحد المألوف لدى العارفين بعلم الكلام. ويكون منقطع النظير في حسن البيان والجمال وقول البديع.

وتشير غزلياته الى عدم تمكن منافسته في بيان الصداقة ومراتب الشوق ويعجز عن بلوغ حده في معرفة الجمال ووصف جمال الإنسان والكون.

ينطوي ديوان كلستان على مجموعة من علم الاجتماع والمورفولوجيا ويعكس تماماً أخلاق واطباع الإيرانيين آنذاك وحتى في يومنا هذا. كما ينطوي بوستانه على الحكمة العملية ودروس للحياة الكريمة والفاضلة. ترجمت انثاره الى معظم اللغات السائدة في العالم. ويعرف سعدي في العالم اجمع بإلمامه بفن الخطابة والمعرفة.

مقبرته في شیراز في قرية اسمها (سعدي) وهي مزار العاشقين والفضلاء.

تشم رائحة الحب من تراب سعدي وإن مضى الف عام على موته

الترجمة العربية الموجودة أمام القارئ الكريم لديوان كلستان هي من افضل الترجمات لهذا الديوان والتي قدمها الدكتور محمد الفراقي نرجو ان نكون بذلك مسدين خدمة للآداب والثقافة الايرانية ولعرض هذا الكتاب العرفاني والأدبي والأخلاقي القيم.

روضة الورد «گلستان» وما كـ«گلستان» كتاب في العظات
فيه عن شيراز نفح عطر وشذاً من كل أزهار الحياة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

روضة الورد

المنة لله عز وجل الذي طاعته توجب التقرب منه، وبشكره
ترداد النعم.

كل نفس وارد مدد للحياة، وكل نفس صادر راحة للذات، إذن في
كل نفس له عليك نعمتان، على كل نعمة منهما شكر واجب.

بيت

بأيّ لسانٍ أو يدٍ أنت عامل لتخرجَ في مَزمَاكَ عن عُهدة الشكر
اعملوا آلَ داوودَ شكرًا، وقليلٌ من عبادي الشكور.

قطعة

الخيرُ للعبد أن ينقادَ - معتذراً - عن القصور - إلى أعتاب سيدهِ
لَمْ لا وكل امرئٍ - عما يليقُ بهِ - أَقَرَّ بالعجزِ - في منحي تعبُدِهِ
غيوْثُ رحمته التي لا تحصى تُعْم سائر الأكوان، وموائدُ نعمته
بدونِ حرمان مبسوطةٌ بكل مكان، لا يَهْتِكُ سترَ عبادِهِ بأفحش الذنوب،
ولا يقطعُ رزقهم بما اقترفوه من منكر الخطايا والعيوب.

قطعة

يا من خزائن رزقه من جودهِ حَبَّتِ المجوسَ وعابدي الأوثانِ
أعدى عداكَ شملتهُ برعايةٍ أفتَقُلُ الأحبابَ بالحرمانِ
أذنَ لفراشِ نسيم الصَّبَا أن ينشرَ على البسيطة زرابيَّ الزبرجد

الخضراء، وأمر (داية) سُحب الربيع أن تُربيّ بناتِ النباتِ
بمهد الغبراء.

وزينَ بأردية الأوراق السُّندسية - من حُلل النيروز - أعطافَ
الأشجار، ووضع على رأس أطفال الأغصان - لقدوم موسم الربيع -
تيجان الأزهار، وأصبحتْ بقدرته عَصارةُ القصب شهداً فائقاً، ونواة
التمر بتربيته نخلاً باسِقاً.

قطعة

الريحُ والغيثُ والأفلاكُ سَخَّرها لتأكلَ الخبزَ بالتقوى وتشكرهُ
والكلُّ أصبحَ منقاداً إليك فهل من المروءة أن تَغشى فتنكرهُ

وفي الخبر عن سيد الكائنات وفخر الموجودات، المبعوثِ رحمةً
للعالمين، وصفوةِ الأولينَ والآخِرِينَ، صاحبِ الأوانِ المتممِ لدورةِ
الزمان، محمد المصطفى صَلَّى الله عليه وسلم.

شعر عربي الأصل

شفيعُ مطاعُ نبيِّ كريمٍ قسيمُ جسيمٍ بسيمٍ وسيمٍ

قطعة

تُرَى أَيُّ غَمٍ قَدْ يَحِيقُ بِأَمَةٍ لَهَا أَنْتَ فِي الدُّنْيَا ظَهِيرٌ وَمِعْوَانُ
وَمَا الْخَوْفُ مِنْ مَوْجِ الْبَحَارِ إِذَا طَغَى وَنُوحٌ عَلَى ظَهْرِ السَّفِينَةِ رُبَانُ

شعر عربي الأصل

بَلَغَ الْعَالَى بِكَمَالِهِ كَشَفَ الدُّجَى بِجَمَالِهِ
حَسُنَتْ جَمِيعُ خَصَالِهِ صَلُّوا عَلَيْهِ وَآلِهِ

إِنَّ الْوَاحِدَ مِنَ الْعَبِيدِ الْمَذْنُونِ الْخَطَّائِينَ الْمُتَحَلِّينَ تُسَلِّمُهُ يَدُ الْحَيَّةِ
إِلَى الْإِنَابَةِ رَجَاءَ الْإِجَابَةِ، يَنْتَصِبُ وَاقِفًا فِي أَعْتَابِ الْحَقِّ جَلًّا وَعَلَا، فَلَا
يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِ؛ فَيَعُودُ ضَارِعًا، فَيُعْرِضُ عَنْهُ، ثُمَّ يَعُودُ فَيَتَضَرَّعُ وَيَبْكِي،
فَيَقُولُ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ: «يَا مَلَأْتُكَتِي قَدْ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ عَبْدِي وَلَيْسَ لَهُ رَبٌّ
غَيْرِي فَقَدْ غَفَرْتُ لَهُ» أَيُّ أَجَبْتُ دَعْوَتَهُ وَقَضَيْتُ حَاجَتَهُ؛ لِأَنِّي
اسْتَحْيَيْتُ مِنْ عَبْدِي لَزِيَادَةِ تَضَرُّعِهِ وَكَثْرَةِ تَوَجُّعِهِ.

بيت

الْعَبْدُ يُمَعْنُ بِالذُّنُوبِ فَهَلْ تَرَى كَرَمَ الْمَهِيْمِنِ كَيْفَ مِنْهُ يَسْتَحْيِ

العاكفون في كعبة جلاله بتقصيرهم بالعبادة معترفون: «ما عبدناك حق عبادتك»، والواصفون حلية جماله بأودية الحيرة هائمون: «ما عرفناك حق معرفتك».

قطعة

يا من يُحاولُ مني أن أُجيدَ له وصفاً ومن أينَ للمضى الفؤادُ هدى
العاشقونَ قتيلاً حبٌّ مَنْ عَشِقُوا فليسَ يَزْجَعُ من ميت الغرامِ صدى
اتَّفَقَ لبعضِ أربابِ القلوبِ أنه حنا رأسه لَجَبِّ المراقبة، وغرق
في بحرِ المكاشفة، وحينَ أفاقَ مِنْ استغراقِهِ قالَ له أحدُ صَحَابَتِهِ
بطريقة الانبساط: أيَّ تحفة جلبتها لنا من ذلك البستان الذي كنتَ تتنزَّه
به؟ فقال: خطر ببالي أنني متى وُصِّلْتُ إلى شجرة الورد أُملاً ذيلَ ثوبي
هديةً للأصحاب، ولَمَّا وُصِلْتُ وجمعتُ الوردَ أُسْكِرَتْنِي رائحتهُ
الذكية، فوقعَ ذيلُ ثوبي من يدي.

قطعة

أبْلَلُ الدوحَ ما في الحب من طربٍ فكيفَ تَهْتَفُ بالأسحارِ جَدُّلانا

إِنْ كُنْتُ صَبًا فَأَصِلِ الرُّوحَ مُحْتَدِيًا حَذَوِ الْفَرَّاشَةَ دُونَ الشُّكُورِ نِيرَانًا
 تَعَلَّمِ الْعَشَقَ مِنْ تِلْكَ الَّتِي فَيَّيْتُتْ وَمَا سَمِعْنَا لَهَا جِسًا بِدُنْيَانَا
 كَمْ مَدَحٍ حَبِّ لَيْلَى مَالَهُ خَبْرُ بِهَا وَلَمْ تُؤْلِهِ فِي الْحُبِّ سُلْطَانًا
 شَدَا بِهَا وَتَغَنَّى فِي مَبَاذِلِهِ وَرَاحَ يَمْلَأُ سَمْعَ الدَّهْرِ الْحَانَا
 وَمُذْنَفٍ بَاتَ مِنْ لَيْلَاهُ فِي سُغُلٍ قَضَى وَمَا أَقْلَقْتُ شُكُوَاهُ إِنْسَانًا

قطعة

يَا مَنْ سَمَوْتَ عَنِ الْخِيَا لِ وَوَهَمِ أَقْسِيَةِ الْعُقُولِ
 وَعَنِ الَّذِي كُنَّا قَرَا نَا عَنْكَ مِنْ ضَافِي الْفُصُولِ
 قَدْ تَمَّ مَجْلِسُنَا وَوَا فِي الْعُفْرِ مَنْزِلَةُ الْأَفْوَلِ
 وَكَمَا بَدَأْنَا لَمْ نَزَلْ بِنَهَايَةِ الْوَصْفِ الْجَمِيلِ

محامد ملك الإسلام خلد الله ملكه

لقد وقع جميل ذكر السعدي بأفواه الأعوام، وتغلغل صيته بآفاق
 البسيطة، لما أبداه من بليغ الكلام، وذاق الناس من حديثه المقطر
 ما يشبه حلاوة السكر، ورفعوا رُقع إنشائه إلى رتبة الأوراق الذهبية،
 ومع كل ذلك فلا يليق به أن يحمل هذا على فضله وبلاغته الأدبية، بيد

أَنَّ مَلِكَ الْأَوَانِ وَقُطِبَ دَائِرَةُ الزَّمَانِ، الْقَائِمَ مَقَامَ سُلَيْمَانَ، النَّاصِرَ أَهْلَ
الْإِيمَانِ، مَلِكَ الْمُلُوكِ الْمَعْظَمِ، الْأَتَاكِ الْأَعْظَمِ، مَظْفَرَ الدِّينِ أَبَا بَكْرٍ
سَعْدَ بْنَ زَنْكِيٍّ، ظَلَّ اللَّهَ فِي أَرْضِهِ - رَبِّ أَرْضٍ عَنْهُ وَأَرْضِيهِ - لَمَّا لَحَظَهُ
بَعِينُ عَنَانِيَّتِهِ، وَأَيَّدَهُ بِبَلِيغِ رِعَايَتِهِ، وَأَظْهَرَ لَهُ صَادِقَ إِرَادَتِهِ، كَانَ ذَلِكَ
الْاحْتِرَامُ مُوجِباً لِإِقْبَالِ جَمِيعِ الْأَنْامِ مِنَ الْخَوَاصِّ وَالْعَوَامِّ، وَلَا جَرَمَ
«فَالنَّاسُ عَلَى دِينِ مُلُوكِهِمْ».

رباعية

متى ما شملت العبد منك بنظرة

تفق في الوري آثاره شهرة الشمس

وإن يك لا يستطيع حصر عيوبه

فعطفك يحو كل عيب من النفس

قطعة

وبيناي في الحمام إذ وصلت إلى

يدي طينة فواحة من يدي حبي

فقلتُ أَمِسْكَ أَنْتِ أَمْ أَنْتِ عَنُورُ
 فنفحكِ هذا قد تَعَشَّقَهُ قلبي
 فقالت ترابُ لستُ شيئاً وإنما
 جلستُ بظل الورد حيناً على العُشبِ
 فَصُحْبَتُهُ أَعْلَتْ مَقَامِي كما تَرَى
 وإن كنتُ طيناً لا أزالُ مِنَ التُّرْبِ

اللَّهُمَّ مَتِّعِ الْمُسْلِمِينَ بِطَوِيلِ حَيَاتِهِ، وَضَاعِفِ ثَوَابِ جَمِيلِ حَسَنَاتِهِ،
 وَارْفَعِ دَرَجَاتِ أَوْدَائِهِ وَوَلَاتِهِ، وَدَمِّرْ عَلَى أَعْدَائِهِ وَشَيْنَاتِهِ، بِمَا تُلِي فِي
 الْقُرْآنِ مِنْ آيَاتِهِ، اللَّهُمَّ آمِنْ بِلَدِهِ وَاحْفَظْ وَلَدَهُ.

شعر عربي الأصل

لقد سعد الدنيا به دام سعده وأئده المولى بألوية النصر
 كذلك تنشا لينه هو عرقها وحسن نبات الأرض من كرم البذر
 يا من تعالى وتقدس احفظ خطة شيراز الطاهرة، بهية الحكام
 العادلين وهمة العلماء العاملين، واجعلها إلى يوم القيامة في
 أمان وسلامة.

قطعة

أندري لماذا طوحت بي يد النوى
فأمسيث في نجوى بعيداً عن الصبحِ
لما نظرت عيني من الترك إنها
ملاحمُ خزي كدت أقضي بها نحبي
قد اشتبكت فيها الأنامُ بحالة
تشابه شَعَر الزنج في مأزق صعبِ
إلى آدم تُنمى التتارُ وإنها
ذئابٌ ولوغ نابها مُرهف الغربِ
وإذا تركت تلك الفهودُ طباعها
رجعتُ قريرَ العين تواءً إلى صبحي
فألفيتُ شعبي في أمان وغبطة
وألفيتُ جندَ الشعب كالأسد في الحربِ
كذا كانت الدنيا تموج بفتنة
وتشويش أفكار وتُفعم بالكربِ
فعادت بأيام ابن زنكي رضيةً
أبي الأمراء المَلِكِ سعدِ الفتى الندبِ

قطعة

إقليمُ فارس لم تصِف به فتُنْ
 مادامَ مثلكَ يحميه من الفتنِ
 فاليومَ لم تر عينَ مثلَ بابكَ في
 هذي الربوع لأمن الروح والبدنِ
 عليك حفظ الرعايا وهي تشكر ما
 تُولي ويجزيك عنها الله بالمنِ
 ربِّ احمِ فارسَ من عطف الزمان ومن
 كيد الطغاة وخلدها على الزمنِ
 تأملتُ يا حدى الليالي أيامي الماضية، فتأسفتُ على عمري الذي
 ذهب سدى، فتقبتُ حجر قلبي الصلْدَ بماسِ دمع عيني، ونظمتُ هذه
 الأبيات بما يناسب حالي.

رجز

في كل آن نفس من عمري يمر والباقي ضعيف الأثرِ
 يا مُذهبَ الخمسينَ بالنوم سدى أيامك الخمسُ قريبة المدى
 يا حيرة الساري وما سوى الحمولِ والركبُ قد خف على قرع الطبولِ

فما أَلَذَّ النَّوْمَ فِي صَبْحِ الرَّحِيلِ وَضِيعَةَ الرَّاجِلِ فِي تِلْكَ السَّبِيلِ
فَكُلَ مِنْ جَاءٍ وَجَدَّ الْبِنَا يُسَلِّمُهُ لَوَارِثٍ بَعْدَ الْفَنَاءِ
وغيره يمضي بهذا الهوس وللمحاق رأس مال المفلس
لا تتخذ غير الوفي صاحباً وإن تر الغدارَ فاذهب جانباً
بالموت ما تفعل من خير وشر يمضي ويا طوبى لمن زانَ المَقَرَّ
فاحمل إلى قبرك أنوار الهدى فليس ما يُنجيك من بعدِ الردى
فالعمرُ ثلجٌ وبتَمَوَزَ الأفقُ نارٌ فأمسك ما تبقي من رمقِ
يا من مضى للسوقِ فارغَ اليدِ أخشى بأن ترجعَ خِلواً فاقعدِ
من أكل السنبَلَ قبل نضجِه فالتبُّ عند الحصدِ ملء خرجِه
بأذن القلبِ استمع نصيحتي وامضِ كإنسانٍ على طريقي

وبعد أن تأملتُ معنى هذه المصلحة، رأيتُ أن أَسْتَقِرَّ بمجلس
العزلة، وأضم ذيل ثوبي عن محاذير الصحبة وأمحو من صحيفتي
ما رقمته من الهديان، وجزمت ألا أنيسَ ببنتِ شفةٍ، ولا أدعي
بعد ذلك المعرفة.

بيت

أَصَمَّ أَبْكَمَ كُنْ واقِيعَ بزَاوِيَةٍ ولا تكن رجلاً في الحكم خطاءِ

حتى دخل عليّ من الباب حسب العادة القديمة أحدُ الأصحاب
وكان أنيساً لي بمحفتي، وجليساً لي بحجرتي، وبقدر ما أبدى نشاطاً
في الملاعبة، وما تبسط فيه من المداعبة، لم أُسعفه بجواب، لاستغراقي
في العبادة، فنظر إلي متألماً، وأنشد مترنماً.

قطعة

ما دمتَ تملك الكلامَ فقل ولا تبخل بجيده على من يسمعُ
فغدا رسولُ الموتِ يعقدُ مقولاً قد كان يرتع بالبيان فيمتعُ

فأطلعه أحدُ المتعلقين بي على حقيقة الأمر قائلاً: إن فلاناً وطد
العزمَ وعقد النية على أن يقضي بقيةَ عمره في الدنيا معتكفاً، واختار
الصمتَ مادام حياً، وأنت أيضاً إن تستطع فاكبح جماح نفسك، واسلُك
مثله طريقَ الانقطاع، فأقسمَ بعزة الله العظيم، وبعهد الصحبة القديم،
لا أُصعدُ نفساً ولا أنقل قدماً إلا أن يتكلم حسب عادته المألوفة
وطريقته المعروفة، وإن إغاية الأصدقاء جهل، وكفارة اليمين أمرها
سهل، وخلاف طريق الصواب وعكس رأي أولي الأبواب أن يغمد
حسام علي ذوالفقار، وأن يتوارى لسان السعدي عن الانظار.

قطعة

أخا الفهم تدري ما اللسان فإنه لَمَفْتاحُ كَنْزِ مُغْلَقٍ عِنْدَ ذِي الْفِكْرِ
ومادام لم يُفْتَحْ فلم تدر ربه أَبَائِعُ در أم هَنَات من الصُّفْرِ

قطعة

إذا ما دعاك النطق فانطق وإن يكن سكوْتُكَ بين الناس من كرم الخُلُقِ
يعكر صفو المرء أمران فاعجب لنطق بلا داعٍ وداعٍ بلا نطقٍ
وبالجملة ما أمكنتني أن أُمْنِعَ لساني عن مكالمته، ولا رأيت من
المروءة أن أُعْرض بوجهي عن محاورته، لأنه كان صديقاً موافقاً
ومحباً صادقاً.

بيت

إذا ما دعا للحرب يوماً معانداً فحاربهُ مضطراً وإلا فسالم
وبحكم الضرورة جاريته بالكلام، وباريته في نزهة ريعية، حيث
سكنت صولة البرد، وآن أو أن دولة الورد.

بيت

الورق الأخضر فوق الفصون كحلّة العيد على الموسرين

قطعة

بأول نيسان إذ العامُ حاملُ
سما لفصون الدوح في الصبح بلبلُ
بقام خطيباً فوق تلك المنابر
تصباه مَطْلُولُ من الورد قانئُ
مُحلّلةُ أوراقه بالجواهر
فمن عرق الحسناء في وجناتها
به شبهُ إن تبدُ غضبي لناظرٍ

واتفق أن بتنا ليلةً ببستان أحد الأصحاب، وكان بازدهاره
والتفاف أشجاره يأخذ بمجامع القلوب، فإذا رأيته قلت: إن أرضه قد
رُصعت بدقائق زخارف الميناء، وإن رؤوس أشجاره كُلت بَعقد
الثريا.

قطعة

روضة ماء نهرها سلسيلُ دوحة سجع طيرها موزونُ

تلك فيها من الزهور صنوف وبهذي من الثمار فنونُ
وبطل الغصون ألقى عليها صَبَغُ ألوانه (أبو قلمونُ)

وحين أصبحنا وتغلب التفكيرُ بالعودة على الرأي بالإقامة، رأيتُه
قد ملأ ذيل ثوبه بالورد والريحان والسنبُل والضَّيَّمران، وعزم على
التوجه بذلك إلى المدينة، فقلت له: وردُ البستان كما تعلم ليس له بقاء،
والروض كذلك ليس له وفاء، وقد قالت الحكماء: كل شيء ليس له
ثبات لا يليق بالقلب أن يتعلق به، فقال: ما العمل إذن؟ قلت: لأجل
نزهة النواظر وارتياح الخواطر باستطاعتي أن أصنف كتاب
(«گلستان»: الروضة) الذي لا تستطيع عواصف الخريف أن تمد يدها
إلى أوراقه، ولا تقدِّر زعازع الدهر بطيش الخريف أن تكدِّر صفو
ربيعه وشبابه.

رجز

بروضتي ورد ندي بالورقُ فَلِمَ من البستان عَبَّأت الضُّبُ
فالورد عمره قصير الأمدِ وروضتي تزهو لأخرى الأبدِ

فلما انتهيت من قولِي ألقى الوردَ من ذيل ثوبه وتعلق بذيلي، وقال

لي متلهفاً: «الكريم إذا وعد وفى». واتفق في تلك الأيام القليلة أن يُبَيِّنَ منه فصل أو فصلان في حسن المعاشرة وآداب المحاوراة بصفة تزيُّد في قوة المتكلمين وبلاغة المترسلين، ولم تنقُد البقية الباقية من ورد (البستان) حتى انتهت كتاب (گلستان) بعون الله الملك المنان. وفي الحقيقة لا يتم إلا إذا شوهد مقبولاً بديوان ملك الأوان، ملجأ العالم وظل الله ولطفه في أرضه، ذخِر الزمان وكهف الأمان، المؤيد من السماء، المنصور على الأعداء، عضد الدولة القاهرة، سراج الملة الباهرة، وجمال الأنام وفخر الإسلام، (أتابك) الأعظم، ملك الملوك المعظم، مالك رقاب الأمم، مولى ملوك العرب والعجم، سلطان البر والبحر، وارث مُلك سليمان، مظفر الدين أبي بكر بن سعد بن زنكي أدام الله إقبالهما، وجعل إلى كل خير مآلهما، وذلك بأن تشملهما لمحات أنظاره الملوكية، فيفضل عليه بالمطالعة.

قطعة

يفوق إن يلقَ من عطف المليك هوئى (أَرْجَنَكْ مَانِي)^(١) و (دَارِ النَّفْسِ)^(٢) في الصين

١- اسم كتاب رسم فيه جميع ما صورته ماني المصور الشهير.

٢- هي (نكار خانه) اسم معبد في الصين رسم فيه أبدع الآثار الصينية.

وكل ما أبتغي ألا يمل فما في (روضة الورد) ما يضني فتلحوني
وكيف لا واسم (سعد) فوق طرته مطررُ بأبي بكر فتى الدين

ذكر الأمير الكبير فخر الدين أبي بكر بن أبي نصر

كذلك عروس فكري لعدم جمالها لا تستطيع أن ترفع رأسها،
ولا أن تحول عين يأسها عن ظاهر قدم خجلها، ولا أن تبدو مجلوة
في زمرة ذوات الجمال إلا إذا تحلت بحلى قبول الأمير الكبير، العالم
العادل، المؤيد المظفر، ظهير سرير السلطنة، مشير تدبير المملكة،
كهف الفقراء، ملاذ الغرباء، مربّي الفضلاء، محب الأتقياء، افتخار آل
فارس، يمين الملك، ملك الخواص، فخر الدولة والدين، غياث
الإسلام والمسلمين، عمدة الملوك والسلاطين، أبي بكر بن أبي نصر،
أطال الله عمره، وأجلّ قدره، وشرح صدره، وضاعف أجره؛ فهو
ممدوح أكابر الآفاق، ومجمعُ مكارم الأخلاق.

بيت

من بات في ظل العناية حوله فخطأه هَدْيٌ والعدوُّ صديقُ

وحيث أنه جعل على سائر عبيده وحواشيه خدمةً معيّنةً، فإذا أجاز أحدهم لنفسه أدنى تهاون أو تكاسل بأدائها، لابد أن يأتي في معرض الخطاب ومحل العتاب ما عدا طائفة الدراويش فإن شكر نعمة الكبراء وذكر الجميل والدعاء بالخير واجب عليهم، فهؤلاء أدأؤهم للخدمة في الغيبة أولى من الحضور، إذ العمل في الحضور أدنى إلى التصنع، وفي الغيبة أبعد عن التكلف.

رجز

قومت باليمن اعوجاج الفلك يا واحداً في الدهر لا ند لك
 وخصك الرحمان دون الورى بالحكم إذ كنت به أجدر
 من يفعل الخير بهذا الوجود يبق اسمه حياً بظل الخلود
 إن أوجز المداح أو أطنبوا فمن بهذا الفضل لا يعجب

بيان العذر عن التقصير في الخدمة

وموجب اختيار العزلة

إن السبب بالتقصير والتقاعد عن المواظبة في خدمة سدة المولى

هو بناءً على ما أذكره، وذلك أن طائفة حكماء الهند كانوا يتكلمون بفضائل بُرْزَجْمَهْرَ، فما عرفوا له في النهاية عيباً سوى أنه بطيء النطق إذا تكلم، يعني أنه يتأتى كثيراً، فيلزم على المستمع أن ينتظر طويلاً حتى ينتهي من تقرير كلامه، فسمعهم بزرجمهر فقال: إطالة الفكرة بما أريد أن أقول خير من غصة الندم على ما قلت.

رجز

لا يرسل القول جُزافاً ذو الحجى ما لم يفكر فيريك المعجزا
إياك والنطقُ بلا تأملٍ فليس يفتن امرؤ لم يعجل
فكرٌ طويلاً ثم أطلق النفس من قبل أن تخزي إذا ما قيل بس
بالنطق فضلت على البهائم فأحسن المنطق يا ابن آدم

فكيف الحال في نظر أركان حضرة مولاي وهو مجمع العارفين ومركز العلماء المتبحرين، فلئن تسرعت وسقت الكلام أكون قليل الأدب والاحتشام، وكيف أعرض بضاعتي المزجاة بحضرة العزيز، والخرز في سوق الجوهرين لا يساوي قيمة حبة شعير، والسراج أمام الشمس لا يضيء له ذبال، والمنارة العالية في سفح جبل (أَلْوَنَد^(١))

١- الوند بفتح الهمزة والواو وسكون النون جبل شاهق جداً من جبال همدان، يضرب به

تظهر كالخِلال.

رجز

من رفع الرأسَ وراز صحبهُ رام العدى من كل صوب حربهُ
حُرِّرتْ يا سعدي من المثالبِ أيُّ امرئٍ يطلب حرب الهاربِ
فكز كثيراً ثم إن شئتَ قلِ إن الجدار بالأساس يعتلي
ملكتُ نخلاً ليس في بستانٍ ولي حبيب ليس في (كُنْعان)

قالوا للقمان الحكيم: ممن تعلمت الحكمة؟ قال: من العميان؛ لأنهم
لا يضعون أقدامهم بمحل حتى يختبروه.
قدّم الخروج قبل الولوج. مصراع (قبل الزواج حقّق الذكورة).

نظم

مهما بُرّ الديك ذا صَوْلٍ فليس لهُ أيُّ اقتدار أمام الباز ذي الظفرِ
فالهر ليث على الفئران قسورةٌ لكنه فأرةٌ إن قيسَ بالنمرِ
ولكن بالاعتماد على سعة أخلاق الكبراء الذين يغصّون أبصارهم

عن عيوب أتباعهم، ولا يجتهدون في إفشاء أسرار جرائم الصغار، قد درجنا نبذة من الكلام في طي هذا الكتاب، «نوادير وآثار وحكايات وأشعار وسير لملوك غبروا من ذوي الاعتبار». وبذلنا لذلك جزءاً من العمر العزيز، فهذا هو الموجب لتصنيف كتاب (گلستان)، وبالله التوفيق.

قطعة

يبقى طويلاً نظامُ الجسم مجتمعاً وكل ذراته يوماً ستنتثرُ
وقصدنا أن سيبقى ذكرنا أبداً ولا خلود على الغبراء فاعتبروا
لعل دعوة ذي تقوى ستملنا إنا لعطف رجال الله نفتقرُ

إن امعان نظري قد لاحظ المصلحة في ترتيب الكتاب وتهذيب الأبواب، حتى اتفق أن تجلّت هذه (الروضة) الغناء والحديقة الغلباء في ثمانية أبواب كأبواب الجنة؛ ولهذا السبب جاءت مختصرة حتى لا تكون نهايتها مملة.

الباب الأول في سيرة الملوك

الباب الثاني في أخلاق الفقراء

الباب الثالث في فضل القناعة

الباب الرابع في فوائد السكوت

الباب الخامس في العشق والشباب

الباب السادس في الضعف والشيخوخة

الباب السابع في تأثير التربية

الباب الثامن في آداب الصحة

قطعة

ما بين رقمي ستة صُغ خمسة تجد بتاريخ الكتاب بهجة
لقد أردنا النصح في هذا العمل ما خاب يوماً من على الله اتكل

الباب الأول:

في سيرة الملوك

١- حكاية

سمعتُ أن ملكاً أمر بقتل أسير، ولما عرف ذلك المسكين أنه هالك لا مَحالة أخذ يشتم الملك بلغة غريبة، وينال منه بأقذع الألفاظ. ومما هو معروف أن كلَّ من يقطع أمله من الحياة لا يبالي أن ينطق بما ينطوي عليه فؤاده.

شعر عربي الأصل

إذا يئس الإنسان طال لسانه كسَنور مغلوب يصول على الكلبِ

بيت

قد يمسك المرء مضطراً سَبَا خَدِمَ إن لم يجد مهرباً في المأزق الحرج
 فسأل الملك عن معنى ما يقول، فأجابه أحد الوزراء وكان محباً
 للخير: أيها الملك، إنه يقول: «والكاظمين الغيظَ والعافين عن الناس»
 فأشفق الملك على ذلك المسكين وأمر بإنقاذه من مخالب المنون،
 وكان في المجلس وزيرٌ بينه وبين زميله خصومة، فقال: لا يليق بأمثالنا
 معشرُ الوزراء أن يتكلم أحدنا بحضرة الملك إلا بالقول المستقيم،
 وإن هذا الأسير شتم الملك بما لا يليق. فاكفهرَ عندئذ وجهُ الملك من
 كلامه وقال: إن ما ترجمه لي خصمُك وإن كان كذباً إلا أنه لقي عندي
 قبولاً أكثر من صدقك، لأن ذلك الكذب كان منه لغرض نبيل، وهذا
 الصدق جاء منك منظوياً على اللؤم، وقديماً قالت الحكماء: الكذبُ
 الذي يجر من ورائه نفعاً خيراً من الصدق الذي يثير فتنة.

بيت

إن كنت للمليك قدوة فلا تقل سوى الصحيح وانف الدغلا

وكان مكتوباً على شُرْفَةِ إيوان أفریدونَ هذه الأبيات:

أخي لم تكن دنياءَ دارَ إقامةٍ فعلقَ إذن بالله قلبك واستغنِ
ولا تنخدعُ فالملك ليس مخلداً ودنياءَ كم رَبَّتْ نظيرك للدفنِ
سواء إذا ما الروح طارت لربها أتدرجُ بالديباج أم كفنِ القطنِ

٢- حكاية

رُويَ أن أحد ملوك خُراسانَ رأى السلطان محموداً بن سبكتكين في المنام بعد وفاته بمائة عام، أنَّ وُجودَهُ قد انحَلَّ وصار تراباً ما عدا عينيه فإنهما ما تزالانِ تُبصرانِ وبمحجريهما تتحركان، وقد عجز سائرُ الحكماء عن تأويل هذه الرؤيا. غير أن درويشاً عبَّرها خيرَ تعبیر، فقال: هو ناظر الآن، فملكه باقي وإن انتقل بيد الآخرين.

قطعة

كثيرون مشهورون غابوا بحفرةٍ ولم يُلَفَ ما بين الأنام لهم رسمُ
وشيوخ ثوي في الرمس للددود طعمة فما بان من أشلاء رمته عظمُ
وطار أنوشروانُ بالخير صيتهُ وإن لم يكن يلقى له بيننا جسمُ
ألا فاغتنم يا ذا الحجنِ الخيرَ قبلما يُعَفِّي على آثار أصدائك الردمُ

٣- حكاية

سمعت أن ابنَ ملكٍ كان قصيرَ القامة دميماً، بخلاف أخوته فقد كانوا طوالَ الأجسامِ حسانَ الوجوه، فنظر إليه أبوه مرةً بحقارةٍ واستخفافٍ، فأدرك الغلامُ ذلك من أبيه بالفِراسة، فقال: أي والدي، القصيرُ العاقلُ خيرٌ من الطويلِ الجاهلِ، وما كلُّ من قامته عظيمةٌ تكون قيمته جسيمةً، فالشاة نظيفة والفيل جيفة.

نظم

قال عن خُبِرٍ نحيفٍ عاقلٍ لسمينٍ أبلهٍ لا يعقلُ
أضعفُ الخيلِ على معلفه ألف ألفٍ من حمارٍ أفضلُ
فَسَرَّ أبوه، وارتاح لذلك أركانُ الدولة، وإستاء أخوته.

نظم

كل امرئٍ ما لم يكن ينطقُ عليه في حكمك لا تصدُقُ
لا تحسبِ الغابةَ خلواً دائماً لعلَّ في الغابةِ نمراً نائماً

وسمعت أنه في زمن ذلك الملك ظهر عدو شديد البأس يُريد
مناجزته، فلما التقى الجمعان كان ذلك الغلام أول من ساق جواده إلى
الميدان، وقال:

قطعة

لم أكن في الحرب ممن يُدبر أنا في الحرب لظاها المُسعرُ
لا ترى مني سوى رأسي إذا ما تغشته الدما والعثيرُ
بدمي أَلعبُ بالحرب ومن يَنْهزم يُهزم وراهُ عسكرُ
وكررَ بأثر ذلك على جيش العدو، وفي مثل رجوع الطرف جدل
جملةً من الأبطال المجريين، ولما مثل بين يدي أبيه قبل الأرض وقال:

قطعة

أيا من رأى شخصي حقيراً لضعفه متى قيسَ عقلُ المرء يوماً بجسمه
وإن ضعيفَ الخيل في حومة الوغى يُفيدُك لا كالثور تُزهى بشحمه
وقيل إن جيش العدو كان كثيراً، وهؤلاء نزرٌ يسيرٌ، فهم طائفة منهم
بالهرب، فصاح بهم الغلام: ارجعوا أيها الشجعان وإلا ارتديتم ملابس

النسوان، فتحمس الفرسان على أثر صيحته وحملوا حملاً رجل واحد، فسمعت أنهم في ذلك اليوم حازوا لواء الظفر، فقَبِلَ الملك ولده بين عينيه وقَرَّبَه إليه، وفي كل يوم كان يزداد اعتباره له حتى جعله وليَّ عهده من بعده، فحسده إخوته ودسوا له السمَّ في طعامه ورأت أخته عملهم من شباك غرفتها فنبهته لمكيدتهم، فرفع الغلام يده عن الطعام وقال: محال أن يموت النبهاء ليحل محلهم البلداء.

بيت

أي حر يلوذ في ظل يومٍ لو محا الدهرُ كل طير جميل
وعلم أبوه بما جرى فدعا إخوته إليه وأُتِهم على ما بدر منه، وعَيَّن لكل واحد من أطراف المملكة حصَّةً تُرضيه حتى نامت الفتنة وانحسم النزاع، وكما قيل: عشرة دراويش يضمهم بساط واحد ومليكان لا تُقلهما مملكة واحدة.

قطعة

بنصف رغيف يجتزي ذو قناعةٍ وزهدٍ ويُعطي النصفَ للبؤساء
ولو حاز إقليماً مليكٌ لقاده هوى الفتح للثاني بدون مرءٍ

٤- حكاية

استولت عصابةٌ من صعاليك العرب على رأس جبل، فاعتصمت به وقطعت الطريق على القوافل التي تمر من شعبه، فَرَوَعَتْ رعايا تلك البلدان، وقهرت جنود السلطان. ولما كان ذلك المكانُ من المناعة بحيث يصعب الاستيلاء عليه، تشاور مديرو تلك الناحية من المملكة بالطريقة التي تُنقذهم من أولئك الأشرار وقالوا: إذا استمرت هذه العصابة مدة طويلة على ما نراه منها، فعندئذ تستحيل عليها مقاومتها.

رجز

تستطيعُ نزع الغرسة الصغيرة بعد شهور دون أي كلفةٍ لكن متى مَدَّ الزمان جذرها تعيبك أن تنزع عنها قشرها في البدء سُدَّ العين سهلٌ بحجرٍ فإن تفضَّ لم تُبَقِّ للفيل ممزٌ

وعلى هذا قرروا أن يرسلوا شخصاً من قبلهم ليتجسس أخبارهم حتى إذا سنحت الفرصة تمكنوا من طردهم جميعاً، فتصبح تلك البقعة خلوّاً من أثرهم، فأرسلوا عدداً من الرجال الذين عاركوا الدهر ومارسوا الحروب، وأوصوهم أن يكمنوا بشعب الجبل. وفي ذات ليلة

هاجم أولئك اللصوص قافلةً ولما رجعوا من غارتهم وقد أنهكهم التعب وأعياهم اللغّب ألقوا غنائمهم واسلحتهم وأسرع النوم إلى جفونهم فناموا.

بيت

لقد غاب قرصُ الشمس في غيب الدجى

كما غاب قِدماً في فم الحوت يونسُ

حتى إذا مضى هزيعُ من الليل وقد استغرقوا في نومهم، خرج عليهم أولئك الشجعانُ من مكنتهم فأوثقوهم كتافاً، وفي الصباح أحضروهم بين يدي الملك، فأمر بقتلهم جميعاً. واتفق أن كان بينهم غلامٌ في مِيعَةِ الصِّبا وعنفوان الشباب، رآه أحدُ الوزراء فأعجبه شمائله وغرته مخايله فانحنى بين يدي الملك وقد بسط إليه أكف الضراعة مستشفعاً وقال: هذا الغلام يا مولاي لم يتمتع كرفاقه بَرِيعان الشباب، ولم يقتطف بعدُ ثمار الحياة، ولذلك فإنني أتوسل بكرم أخلاق الملك أن يهب لي دمه فيطوق عبده بهذه المنة أبد الدهر. فما كان من الملك إلا أن اكفهرَ وجهه لأن هذا الكلام لم يوافق رأيه السامي فقال:

بيت

لا يستقر العُرف مَعَ ذي طِينَةٍ فاسدَةٍ كالجوز في أعلى القَبَبِ
فالأولئِ والأفضل أن ينقطع نسل هؤلاء الأشرار وأن تُستأصلَ
جرثومتهم من أساسها، فليس من عمل العقلاء أن تُخمد اللهب وتترك
الجمر، وأن تقتل الأفعى وتحفظ بفرخها.

قطعة

فلو حباك الحيا ماء الحياة لَمَا طَعَمْتَ دهرَكَ من صَفْصافَةٍ ثمرًا
يا من أضعت مع الأشرار عمرك ما جَنَيْتَ من حنظلٍ شهداً ولا سَكراً
سمع الوزير هذا الكلام فتظاهر بقبوله وأثنى على حسن رأي
الملك. ولكنه قال: إن ما أمر به الملك هو عين الحقيقة، فلو أن هذا
الغلام بقي مع أولئك الأشرار وتربى تربيتهم، فلا بد إذن أن تلزمه
طبيعتهم، أمّا أنا فأمل أنه سيتربى تربية الصلحاء ويتمسك بطبيعة
العقلاء، لأنه لا يزال طفلاً لم تتأثر نفسه بسيرة البغي والعناد التي درج
عليها جماعته. وفي الحديث: «ما من مولود إلّا وقد يولد على الفطرة،
ثم أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه».

قطعة

لم يفدها فضلُ النبوة شيئاً زوجُ لوطٍ لصحبة الأشرارِ
وتعالى عن جنسه كلب أهل الـ كهف صيتاً لصحبة الأخيارِ

هذا ما تشفع به الوزير وأعانه في هذه الشفاعة طائفةً من الندماء
حتى عفا الملك عن دمه، ولكنه قال: وهبتُ وإن لم أر في
الهيئة مصلحة.

رباعية

أتعرف ماذا قال (زال) لـ (رستم) عدوك لا تحقره في حومة الحربِ
فإن قيل الماء في العين ربما يفيض فيلوي بالركابِ وبالركبِ

وصفوة القول أن الوزير أخذه إلى بيته ليرفُل بحلل إنعامه، وعين
استاذاً أديباً لتربيته، فتعلم حسنَ الخطاب وردَّ الجواب وسائر الآداب
الملوكية حتى حاز إعجاب الجميع. وذات مرة أطرئ الوزير بعضاً من
شمائله بمجلس الملك ومما قال فيه: إن تربية العقلاء أثرت فيه تأثيراً
حسناً وتلك الجهالة المتأصلة فيه إمّحت من طبيعته، فتبسم الملك من
هذا الكلام وقال:

بيت

فالسَّمْعُ عُقباه ذئب فاتك حَظِرُ ولو تَرَبَّى مع الإنسان في المُدُنِ
مرت على هذه الحالِ سنَّةٌ أو ستان فأتصلت بالغلام طائفةً من
أوباش المحلة، فعقدَ معهم اتفاقاً على خيانة الوزير حتى إذا سنحت له
الفرصة قتل الوزيرَ وابنيه وأخذ كلَّ ما لديه من المال وذهب مع رفاقه
الى مغارة اللصوص، وقام مقامَ أبيه وأصبح عاصياً، فتحير الملك
وعض بنانُ الندم وقال:

قطعة

من رديء الحديد يمكن أن تصنع يا ذا الحجا حساماً صقيلاً
غير أن اللثيم مهما تَرَبَّى فمحال أن يستحيل نبيلاً

قطعة

لن تحصدَ السنبَل من سَبْخَةٍ فلا تُضْعُ بذركَ فيها سُدى
والشر لا تفعله مع خَيْرٍ ولا تُنَلَّ يوماً لثيماً جداً^(١)

٥- حكاية

رأيت على باب ايوان (أُعْلِمَشْ^(١)) ابنَ (شاوِيش) زائد الوصف في العقل والكياسة، والفهم والفراصة، ومع حداثة سنه فإن آثار العظمة بادية على ناصيته.

بيت

كوكبُ الرفعةِ في أعلى المحيا مُشرق مذ كان في المهد صبياً
وبالجملة فقد جاء مقبولاً بنظر السلطان، لجمال صورته، وكمال معناه. كما قالت الحكماء: بالمعرفة الغنى لا بكثرة المال، وبالعقل لا يكبر السن الكمال. فحسده أبناء جنسه واتهموه بخيانة، وسعوا لإتلافه ولكن بغير طائل.

ما للعدو إذا الحبيب موافق

فسأله الملك: ما هو الموجب للخصام بينك وبين أولئك اللئام؟
فأجاب: لقد أرضيت كل من في ظل دولتك إلا هؤلاء الحساد، فإنهم لا يرضون إلا بزوال نعمتي، ولتبق دولتكم بالسعد والإقبال.

١- اسم ملك من نسل جنكيزخان.

قطعة

في قدرتي ألا أكرّر صاحباً لكنّ حسودي لم يكن بملائم
مثّ يا حسودُ فغيرُ موتك لم يكن فيه خلاصُك من عذابٍ دائمٍ

قطعة

ذو الطالع النحس يهوي جُهدَ طاقته زوالِ نعمةٍ ذي جاهٍ وإقبالٍ
ما ذنبُ شمسِ النهارِ الصحو إن عَشِيَتْ عَيْنُ الخفافيش عنها في السنا العاليِ
أَلْحَقْ تبغي؟ أَلَوْفُ مثْلُ تلكِ بها أولى العمى وتُنِيرُ الشمسُ آصالي

٦- حكاية

حُكي أن أحد ملوك العجم كان قد أطال يده إلى أموال الرعية،
وباداهم بالجور والأذية، فضربَ الناسَ في الأرض هرباً من مكاييدِ
ظلمه، وفضلوا الغربة على المذلة من كُربة جوره، فإذا نقصت الرعية
قبلت الولايةُ النقصانَ، وقرغت خزانة الدولة، وأخذ الأعداء يهددون
المملكة بالقوة من كل مكان.

قطعة

إذا رمت يوم النحر تحظى بمسعفٍ فبهمك يوم السعد أمعن بها نحرا
يفر اللئيم القين إماً عسفته وباللطف والمعروف تستعبد الحزرا

وفي يومٍ من الأيام كانوا يقرأون بمجلسه كتاب (الشاهنامه) في زوال
مملكة (الضحاك)، وقيام دولة (أفريدون)، فسأل الوزير الملك: كيف
أصبحت السلطنة لأفريدون مع أنه ما كان له ملك ولا مال ولا حشم،
فأجابه الملك: كما سمعت أنت أن خلقاً تعصبوا له فقووه وأتدوه فقال
بهم الملك، فقال له الوزير: إذا كان تعصب الناس وتأيدهم يوجب
السلطنة فلماذا شئت شمل رعيتك وأبعدتها عنك؟ فإذا أنت لا تريد
أن تتمسك بالسلطنة.

بيت

بالروح لا بالعسف رب الجندا حتى تكون السيد المفضي
فسأله الملك: ما الذي يؤدي إلى جمع الجند والرعية؟ فقال: يلزم
على الملك أن يكون عادلاً حتى تلتف حوله الخلق، وأن يكون
رحيماً حتى تعيش الناس آمنة بظل دولته، وأنت عاطل من هذين
الحليتين.

قطعة

من حلية الملك منع الظُّلم فالذئبُ ليس راعياً للبهْم
بالظلم منْ أعلى بناء دولته يَقْلَع من الأساس صرْحَ عزِته
ولمَّا لم تأتِ نصيحَةُ الوزيرِ موافقةً لطبع الملكِ أمرَ بأن يُقَيَّدَ ويُزَجَّ
به في غِيَابَةِ السجْن، فلم يَمُضْ زمنٌ طويلٌ حتَّى قام أبناءُ عم الملكِ
لمنازعتِهِ وجَهَزُوا العساكِرَ لمقاومته وطلبوا مُلْكَ أبيه. فاجتمع عليهم
أولئك الذين يتسوا منه وانضموا إلى الذين تفرقوا عنه، فقبضوا أبناءَ عمه
حتَّى انتزعوا في النهاية المُلْك من تصرفه، وتحررت المملكة على
أيديهم من ذل عبوديته.

قطعة

إذا مَلِكٌ بالظلم رَوَّعَ شعبَهُ فَمِنْ صحبه في الضِّيقِ يُرْهَقُ الكَرْبُ
فَشَعْبُكَ صَالِحُهُ وَمِنْ خَصْمِكَ اسْتَرْخَ فَكُلُّ مَلِكٍ عَادِلٍ جَنْدُهُ الشَّعْبُ

٧- حكاية

حكى عن بعض الملوك أنه ركب سفينة وبصحبه غلام أعجمي لم

يَرِ البحرَ أصلاً، ولم يجزّب محنة السفينة، فابتدأ يصرخ ويئنّ وقد
تهافت على نفسه وهو يرتعد من الفرق. وبمقدار ما لطفه الناس لم
يستقر له قرار، فتنخّص عيش الملك حيث أعيته به الحيلة، وصادف أن
كان في تلك السفينة حكيمٌ، فقال للملك: إذا أمرت فإنني سأُسكته.
فأجابه الملك: تكون بذلك قد بلغت غاية اللطف. فأمر بأن يُلقى الغلام
في البحر، فتقاذفته الأمواج حتى إذا أشفى على الهلاك أمر أن يُجذب
من شعره إلى السفينة، فتشبث الغلام بكلتا يديه بسكانها؛ ولما أحس أنه
أصبح على سطحها جلس مزوياً واستقرّ آمناً. فكبر عندئذ تدبير
الحكيم بعين الملك وسأله أن يوضّح له السبب، فقال: إنّ الغلام يا
سيدي لم يتجرّع قبلُ غصّة الغرق حتى يعرف قدر السلامة في السفينة،
وكذلك لا يعرف أحد قيمة العافية من النوائب ما لم تمرّ على رأسه
المصائب، وتحنكه التجارب.

قطعة

خبز الشعير قبيح عند من شبعوا ونورُ جبِي لدى الحساد كالظلمِ
حور الجنان على الأعراف في سقرٍ ومن بها تحسد الأعراف من ألمِ

بيت

كم بين من كفه بالصدر عابثاً وبين من عينه للباب ترتقب

٨- حكاية

قالوا لهزمُ صاحب التاج: ما هو الخطأ الذي رأيته من وزراء أبيك حتى أمرت بحبسهم جميعاً؟ فقال: ما عرفت منهم خطأ، ولكن رأيته مهابتي شديدة على قلوبهم، وأنهم ليسوا معتمدين اعتماداً كلياً على عهدي فخشيت أن يلحقني من خوفهم الضرر فيقصدوا هلاكي، فعملت إذن بقول الحكماء حيث قالوا:

قطعة

من بات يخشاك فاخش الفتك منه ولو عليه بالحرب ألفاً فزت بالظفر
أما ترى الهرَّ معَّ ضعيفٍ به رُبما نالت مخالبه من مقلّة النمر
وربما تلدغ الأفعى مصادفها كيلا يحطم منها الرأس بالحجر

٩- حكاية

يروى أن ملكاً من ملوك العرب المعمرين مرض مرضاً شديداً

أشفي به على التلف حتى قطع أمله من الحياة، وبينما هو على حالة يعالج فيها ألم النزاع إذ دخل عليه فارس يحمل إليه بشرى فقال: لقد فتحنا القلعة الفلانية تحت ظل راية مولانا الملك، وأسرنّا الأعداء وأصبحت رعايا تلك الجهة بظل حمايتكم، فلما سمع الملك هذا الكلام أرسل حسرة تقطعت لها نياط قلبه وقال: ليست هذه البشرى لي ولكنها للأعداء «يريد وارثي مملكته من بعده».

قطعة

جاء البشير وللحلقوم قد وصلث روحي وعما قريب ينطوي خبري
نلت المراد ولكن أيّ فائدة وليس لي أمل في عودة العمر

قطعة

بيد الموت دُثِّقَ طبل الرحيل يا له الله من فراق طويل
ودّعي الرأس يا عيوني ونوحي بعد كفي على البنان الجميل
كلّ عضو مزايل لأخيه فليودعه راثياً بالعويل
ما أراد الأعداء كان فخطأ لي قبراً على الثرى المطلول
أنا بالجهل قد قضيت حياتي فاحذرا من مزالق التضييل

١٠- حكاية

اعتكفتُ في بعض السنين بجانب تربة يحيى عليه السلام بالمسجد الجامع بِدَمَشَق. واتفق أن جاء للزيارة أحدُ ملوك العرب، وكان معروفاً بعدم الإنصاف، وبعد أن صلَّى وتضرَّع لقضاء حاجته.

بيت

أخو البؤس والمشري فقير ببابه وأكثرهم مالاً أشدُّ له فقراً
التفت إليّ وقال: من هذا المقام الذي هو مَبْعُثُ همة الدراويش
وصدقِ معاملتهم وَجَّهَ الخاطرَ بمرافقتي، فإنني في تفكيرٍ ووسواسٍ من
عدوٍ لي صعبِ المِرَاس. فقلت له: ارحم ضعفَ رعيتك حتى لا ترى
صعوبةً من قوة عدوك.

قطعة

أبقوةً في ساعديك ولكمةً بالجمع تخضدُ شوكة الضعفاء
خَفَ إن وقعتَ ولم تجد لك راحماً أو مَنْ يَمُدُّ إليك كَفَّ ولاءٍ

من يزرع الفعل القبيح ويرتجي طيب الجنى يحصدُه شرَّ جناءٍ
فإلّا ألقى السمعَ واعدل في الورى أو لا فيومُ الحشر يوم جزاء

رجز

الناسُ كالأعضاء في التساندِ لخلقهم من كُنه طينٍ واحدٍ
إذا اشتكى عضوٌ تداعى للسهو بقيةُ الأعضاء حتى يستقر
إن لم تُغمِّ لمصاب الناسِ فلست إنساناً بهذا القياس

١١- حكاية

ظهر ببغداد درويش مُستجاب الدعوة. فدعاه الحجاج بن يوسف
إليه وقال له: أَدْعُ لي دعوةً خير. فقال: رب خذ روحه. فقال الحجاج: يا
لله ما هذا الدعاء. فقال الدرويش: دعاء خيرٍ لك ولجميع المسلمين.

رجز

يا من علا وانحطَّ في الأذية حتى متى ظلمك للبرية
وباني الملك بلا أساس موتك خيرٌ من عذاب الناس

١٢- حكاية

حكوا أن ملكاً قليل الإنصاف سأل عابداً: «أيُّ العبادات أفضل»
فأجابه: نومٌ نصفِ النهار، حتى تستريحَ الخلقُ من أذاك في تلك الفترة
من الزمان.

قطعة

رأيتُ غشوماً في الظهيرة نائماً فقلتُ ليومِ الحشر يا فتنهُ ارقُدي
وكل امرئٍ في نومه يقظةُ العلى ففي موته للشعب إحياءٌ سؤددٍ

١٣- حكاية

سمعت أن ملكاً كان يُحيل ليلهُ نهاراً بالأسمار وفي نشوة سكره
كان يقول:

بيت

لم يُلف في الكون صفوٌ مثل ساعتنا السعدُ وافي فلا غمٌ ولا كدرُ

وكان هناك درويشٌ يَرُقُّدُ خارجَ القصرِ عاريَ الجسدِ سمعه فأنشد.

بيت

يا من كإقباله ما في الوري أحدٌ إن لم تُكَدِّرْ ألسنا نحنُ في كدرِ
سمعه الملك فاستحسن قوله، وتناول صرة فيها ألفُ دينار ليلقيها
إليه من الشباك وصاح به: أيها الدرويش أجمع ذيل ثوبك وتلق ما أهَبُهُ
لك. فقال له الدرويش: ليس لي ثوب فأجمع ذيله. فأشفق الملك عليه
كثيراً ورقاً لضعف حاله. فأرسل إليه زيادةً على ذلك خلعاً سنية. وبعد
أن أتلفَ الدرويشُ المال بأقصر مدة رجع إلى حالته الأولى خاويَ
البطن عاريَ الجسد.

بيت

لا المالُ في كفٍ حرٍ يستقر ولا صبرُ المحب ولا ماءُ بغربالٍ
وفي ساعة ليس يوسع الملك أن يلتفت بها لمثله، قصوا عليه قصته،
فانقبض صدره وحوَّل عنهم وجهه. ومن هنا قال أصحاب الفطنة
والخبرة: إن من الواجب الحذر من حدة الملوك وسورتهم. لأن غالب

همة أولئك منصرفَةٌ لحل معضلات الدولة وأمور المملكة وليست
لازدهام العوام ولجاجتهم.

رجز

مواهبُ الملُك حرام والمننُ على الذي يُضيع فرصة الزمن
لا ترسل الكلام قبل الفكر ينحط منك القدرُ تحت الصفرِ
وقال: اطرودوا هذا المبدّر الوقح الذي بعثر هذا المقدارَ من النعمة
بأقصر مدة، ألا يعلمُ أن خزينته بيت المال إنما هي لسد حاجة المساكين
وليست طعمةً لإخوان الشياطين.

بيت

من يوقد الشمع في رَأد الضحى سفهاً ففي الدجى ليس يلقى الزيت في الشرح
فقال أحد الوزراء الناصحين أيها الملك إنني أرى من المصلحة
لمثل هؤلاء أن تُجرى عليهم أرزاقهم متفرقةً على وجه الكفاف حتى
لا يتمكنوا من الإسراف، أما ذلك الذي أمرت به من الزجر والمنع فلا
يناسبُ سيرة أرباب الهمة، فالذي جذبته باللطف إليك لا يليق أن
تُعیده يائساً مكلوم الفؤاد.

بيت

إذا باب إنعام فتحت لطامعٍ فإغلاقه في وجهه ليس بالسهلِ

قطعة

تأبى العطاشُ ورودَ ماءٍ آجنٍ والحرُّ يرمضُ في الحجاز ويُجهدُ
وعلى الغدير العذب تزدحم الوري والعيس ترتع والطيور تغردُ

١٤- حكاية

كان أحد الملوك الأقدمين غافلاً عن رعاية مملكته سائراً بالشدة
مع جنده، فلما ظهر لهم بوجه العدو الصعب، أداروا له قفاهم
في الحرب.

بيت

إذا لم يجد بالمال ملكٌ لجنده فليست بوجه الخصم شهر صارماً
وكان لأحد أولئك الغادرين معي صداقة، فأنحيت عليه باللائمة

قائلاً: إن الوغدَ الدنيءَ ناكِرَ الجميل هو ذلك الذي يُعرض عن ولي أمره القديم لأقلّ تغير في حالته، ويطوي حقوق تلك السنين الطوال من نعمته. فقال: لعلك تقبل عذري إذا قلت لك: إن حصاني كان بلا شعير وأن لباده سرجه مرهون. إذن فالسلطان الذي يَضِنُّ على جنوده بذهبه لا يمكن أن تجود له في الملهمات بأرواحها.

بيت

الجند يجذبهم صوت النصار فمن لم يعطهم ذهباً عن ملكه ذهبوا

شعر عربي الأصل

إذا شبع الكمي يصول بطشاً وخاوي البطن يبطش بالفرار

١٥- حكاية

عُزل أحدُ الوزراء من منصبه، وانتظم بسلك الدراويش فأثرت فيه بركةُ صحبتهم، وحظي باليد العليا من جمعية خواطر رغبتهم، فرضي عنه الملك مرة أخرى، وأمره بالعمل فلم يقبل. وقال: الاعتزال خير من الاشتغال.

رباعية

الزاهدون المنزويون عن الوري
 كسروا اليراعَ مزقوا أوراقهم وتخلصوا من هجو كل جبان
 فقال الملك: لا بد لنا من رجل عاقل ذي كفاءة، جدير بتدبير
 المملكة فقال له: من علامة العقل والكفاءة ألا يُضني المرء جسده
 بمثل تلك الأعمال.

بيت

أفضل الطير (الهَما) لم يفترس حيواناً حيث بالعظم اغتذى
 مثل: قالوا (لعناق الأرض^(١)) بأي وجه وقع اختيارك على ملازمة
 صحبة الأسد. فقال: حتى آكل فضلة صيده، وآمن على حياتي بفضل
 صولته من شر أعدائه. فقالوا له: ما دمت الآن بظل حمايته، معترفاً
 بشكر نعمته، فلماذا لم تزد منه قرباً فيحضرك بمجلسه الخاص به،

١- (عناق الأرض) حيوان من عائلة السنور، وهو أكبر منه قليلاً، له خصلة من الشعر
 الأسود في أعلى كل من أذنيه، وهو من الجوارح الصائدة.

وَيُعَدُّكَ مِنْ مُخْلِصِي خِدْمِهِ. فَقَالَ: وَمَعَ كُلِّ هَذَا فَلَسْتُ آمِنٌ مِنْ بَطْشِهِ.

بَيْت

فَلَوْ عَبْدُ النَّارِ الْمَجُوسِيُّ دَهْرَهُ وَطَاخَ بِهَا يَوْمًا سَتَحْرِقُهُ حَتْمًا
إِذْ نَدِيمُ حَضْرَةِ السُّلْطَانِ تَارَةً يَجِدُ الذَّهَبَ وَتَارَةً يَتَعَرَّضُ رَأْسُهُ
لِلْعُطْبِ. وَقَدْ قَالَتِ الْحُكَمَاءُ: يَجِبُ الْحَذَرُ مِنْ تَلَوْنِ طَبْعِ الْمُلُوكِ لِأَنَّهُمْ
رَبَّمَا جَازَوْا عَلَى السَّلَامِ بِالْآلَامِ وَعَلَى الشَّتِيمَةِ بِالْخَلْعِ الْجَسَامِ. وَقَالُوا:
كَثْرَةُ الظَّرَافَةِ عَرَفَانِ لِلنَّدَامِ وَعَيْبٌ لِلْحُكَمَاءِ.

بَيْت

إِعْرِفْ لِنَفْسِكَ قَدْرَهَا بِوَقَارِهَا وَدَعِ الظَّرَافَةَ لِلنَّدِيمِ الْمَاجِنِ

١٦- حكاية

جَاءَ إِلَيَّ أَحَدُ الرِّفَاقِ بِشَكَايَةٍ مِنْ جَوْرِ الزَّمَانِ، فَقَالَ: رَزَقَنِي قَلِيلٌ
وَعِيَالِي كَثِيرٌ، وَلَيْسَ لِي طَاقَةٌ عَلَى احْتِمَالِ الْفَاقَةِ، وَإِنِّي لَمُهَاجِرٌ إِلَى إِقْلِيمٍ
آخَرَ أَعِيشُ بِهِ بِضَنْكَ أَوْ رِفَاهٍ، فَلَا يَطَّلَعُ عَلَيَّ حَالَتِي أَحَدٌ مِنَ الْأَعْدَاءِ
أَوْ الْأَصْدِقَاءِ.

بيت

كم نام بالجوع لا تدري الأنامُ به ومات لم يتيكه من صحبه أحد
ثم فكرتُ بشماتة الأعداء، إذ يحملون سعيي أمام عيالي على عدم
المروءة مني، ويطعنونني بقفاي ضاحكين ساخرين فيقولون:

قطعة

أنظر لذاك اللئيم الفسل كيف أبى بأن يشاهد يوماً وجه ذي شرفٍ
لا يعتني بسوى إشباع رغبته ولو رأى أهله بالنار والتلفِ
وإن لي بعضُ خبرة بعلم المحاسبة كما تعهدني، فلو حصل لي
بجاهك عمل مُعين، يُريح فكري من عنائه، إذن لما استطعت أن أخرج
من عهدة شكرك مدةً عمري. قلت أيها الصديق: إن خدمة السلطان لها
طرفان، الأمل بالثراء وخوف البلاء، وليس من رأي العقلاء أن تبقى
بالوجل لأجل هذا الأمل.

قطعة

لم يأت يوماً من يُطالب معدماً بخراج كرم أو خراج حصيدٍ

إِرْضَ الحَيَاةَ بُغْصَةً وَمِرَارَةً أَوْضَعَ كُلاكَ أَمَامَ زَاغِ البِيدِ
فَقَالَ: إِنَّ هَذَا الْقَوْلَ لَمْ يَكُنْ مُوَافِقًا لِحِكَايَةِ حَالِي، وَلَمْ يَأْتِ جَوَابًا
لِسُؤَالِي. أَوْ لَمْ تَسْمَعْ مَا قِيلَ: كُلُّ مَنْ بِنَفْسِهِ يَرْتَابُ، تَرْتَعِشُ يَدُهُ
عِنْدَ الْحِسَابِ.

بَيْت

فِي الْإِسْتِقَامَةِ مَا يُرْضِي الْمَلِيكَ وَمَا ضَاعَ أَمْرُهُ فِي طَرِيقِ لَاحِبٍ أَبَدًا
وَقَالَتِ الْحُكَمَاءُ: أَرْبَعَةٌ تَرْتَعِدُ فِرْقًا مِنْ أَرْبَعَةٍ: اللَّصُّ مِنَ السُّلْطَانِ،
وَالسَّارِقُ مِنَ الْخَفِيرِ، وَالْفَاسِقُ مِنَ الْغَمَازِ، وَالزَّانِيَةُ مِنَ الْمُحْتَسِبِ. وَلِمَاذَا
يَخَافُ مِنَ الْمَحَاسِبَةِ مَنْ كَانَ نَظِيفًا فِي الْحِسَابِ.

قِطْعَةٌ

مَنَاصِبُ الْحُكْمِ لَا تَذْهَبُ لَهَا فَرْحًا حَتَّى بَعْزَلَكَ لَا يَهْنَأُ أَخُو حَسَدٍ
يُنْجِي عَلَى الثَّوْبِ قَصَارُوهَ مِنْ وَسْخٍ فَكُنْ نَظِيفًا وَلَا تَرْهَبْ صَدَى أَحَدٍ
فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ حِكَايَةَ ذَلِكَ الثَّعْلَبِ تَنَاسَبَ حَالِكَ إِذْ رَأَوْهُ هَارِبًا

لا يلوي على شيء، حائراً مضطرباً لا تكاد تحمله قوائمه. فقال له شخص: ويحك ما دهاك، وما الداعي لهذا الاضطراب الذي أنت فيه؟ فقال: سمعتُ أنهم يأخذون الجمال للسخرة. فقال له: أيها السفیه الأحمق، ما هي مناسبتك للجمال وما هي مشابھتك له؟ فقال: صَهْ أيها الأبله، إذا قال حسود مُعرض: هذا جمل، وعَلِقُوا بي فَمَنْ عندئذ يسأل عن حالتي فيخلصني من كُرْبتي؟ وإلى أن يُجلب الترياق من العراق يكون لديغ الحية قد نفضت يدها منه الرفاق. وأنت ذو فضل وديانة، وتقوى وأمانة، غير أن الحساد الكامين كالخبايا والمدعين القابعين في الزوايا، إذا أتوا على سيرتك الطيبة بالنقد والتجريح، وجئت في معرض خطاب الملك ومحل عتابه، فمن عندئذ يستطيع أن يدافع عنك بمقال في مثل ذلك المجال؟ وقلتُ له بعد أن ضربتُ له المثل: أرى أن من مصلحتك أن تحتفظ بمُلك القناعة، وتصرف نظرك عن طلب الرياسة، كما قال العقلاء:

بيت

في البحرِ دُرٌّ ليس يُحصى نفعُهُ أما السلامةُ فهي عندَ الساحلِ

فلما سمع رفيقي هذا الكلام اكفهرَ وجههُ وأخذ يرشقني بسهام الملام قائلاً: ما هذا الفهمُ والكياسة، والعقل والفِراسة! فلقد صدق الحكماء حيث قالوا: الأصدقاء هم الذين ينفعونك عند الضيق والبرّحاء، لا الذين يُظهرون لك الصداقة على مائدة الشراب وهم لك أعداء الداء.

قطعة

ليس خلا من بات يُطريك في النُّعَى
مى كثيراً ويَزدهي بالإخاء
غير أن الخليلَ من بات بالسرِّ
اءِ يحنو عليك والضراء

وإذا رأيتَه تَغير وما فهم القصد من نصيحتي، ذهبْتُ إلى صاحب الديوان وعرضْتُ عليه صورةَ حاله، لسابق معرفة بيننا، وبينت له مقدارَ أهليته واستحقاقه، فأسندوا له عملاً بسيطاً، ولم تمضِ أيام حتى رأوا لطافةَ طبعه، وأعجبهم حسنُ تدبيره، فرفعوه من تلك المرتبة إلى مرتبة أعلى، وهكذا ما زال يرتقي به نجم السعادة حتى بلغ به أوجَ الإرادة، فأصبح عند السلطان، يشار إليه بالبنان، ويُعتمدُ عليه عند الأعيان. ففرحت كثيراً بصلاح حاله وقلت:

بيت

لا تفكر بالبؤس وافرح لتحيا ماءً (عين الحياة) في الظلماتِ

شعر عربي الأصل

ألا لا تحزننَّ أخا البليَّة فليرحمن أطفأ خفيه

بيت

إصبر إذا الدهر لم يُسعف وعش فرحاً فالصبر مرٌّ ولكن يُعقب الفرجا

واتَّفَق لي في ذلك الأوان أن سافرتُ إلى مكةَ مع بعض الإخوان، فلما عدتُ من الزيارة استقبلني من مرحلتين، فرأيتُه بهيئة الدراويش، مشتت الأحوال، مبيلٌ الأفكار. فسألته: ما هذه الحال؟ فقال: كما قلت أنت. فلقد أتهمني جماعة من الحساد بالخيانة، ولم يأمر الملك بالتحري عن كشف حقيقة تلك التهمة، وأصحابي القدماء وأخلاي الرحماء، جَبَنُوا عن النطق بالحقيقة، ونسُوا حقوق تلك الصداقة القديمة.

قطعة

أنظر إلى وضع أيدي المادحين على صدورهم حول عرش الملك ذي الباس
وانظر اليهم وقد مال الزمان به كيف استباحوا له دعساً على الرأس
والخلاصة: أنني عوقبت بأشد أنواع العقوبة، حتى وردت البشارة
في هذا الأسبوع بسلامة الحجاج، فأطلقوني من قيد الاعتقال بعد أن
صادروا كل ما ورثته من المال. فقلت له: أنت في تلك الآونة لم تقبل
إشارتي بأن عمل السلطان كسفر البحر. فوائده لا تُعدُّ وأخطاره لا
تُحدُّ، فأنت إما أن تخرج منه بكثر، وإما أن تموت قبل حل ذلك اللغز.

بيت

فإما تُفد منه سبائك عسجد أو الموح يلقي منك شلواً على السيف
ولم أر من المصلحة أن أنكأ جرح فؤاده بأظفار الملامة.
واقصرْتُ بذر الملح على ذلك الجرح بهذين البيتين:

قطعة

أتدري لماذا حَزَّ رجلك قيدها لأنك لم تعمل بنصح مجرب

وما دمت تؤذيكَ السمومُ فلا تضعِ بنانَكَ طولَ العمرِ في غارِ عَقْرِ

١٧- حكاية

كان في صُحبتِي جماعةٌ من المريدين، ظاهرُ حالهم مُزدانٌ بالصلاح، وكان لأحد الأمراء - بهذه الطائفة - حسنُ ظنٍ بالغِ النهاية، فأجرى عليهم مرتبات تُعينهم على الحياة، غير أن أحدهم أتى بحركة لا تتناسب مع حال الدراويش، فتغير ظن ذلك الأمير بهم، وكسدت بضاعتهم بسوقه، فتمنيت أن أجدَ لي طريقةً أستخلص بها كفاف أولئك الأحاب، فقصدتُ خدمةَ الأمير فعاقني البواب، وقابلني بالمجافاة، فأعطيت بيده العذر حيث قالوا:

قطعة

حذارٍ من الطواف بغيرِ داعٍ بباب الملك أو باب الأميرِ
فطوقُ الثوبِ للبوابِ حتماً وذيلُ الثوبِ للكلبِ العقورِ

ولما وقف على حالي جماعةٌ من مقربي حضرة الأمير، قابلوني بالإكرام، ورفعوني لأعلى مقام، ولكنني جلست بأحط مراتب التواضع
وقلت:

بيت

أقلّ من العبيد أحسُّ قدرِي فمن لي أن أقيم مع العبيدِ
فقال الأمير: (فيا لله ما هذا الكلام)

بيت

أُسِرُّ إذا جلستُ بجفن عيني وإما شئتُ فاجلسُ فوق رأسي
وبعد أن جلستُ واصلتُ الحديثُ معه في كل باب، حتى عَرَضْتُ
زَلَّةَ الأحباب فقلت:

قطعة

يا سابق الإنعام أية زلةٍ للعبد تُكبرها وعفوك أكبرُ
فإنَّه ذو لطف علمت وعزةٍ لم يمنع الرزقَ امرءاً لا يشكرُ
فارتاح الحاكم لهذا الكلام، وأمر بأن يهيئوا أسبابَ معاش أولئك
الأصدقاء على القاعدة الماضية، وأن يصرفوا لهم أيامَ تعطيلهم
فشكرت جزيل نعمته، وقبلت أعتاب خدمته، واعتذرت عن جسارتي،
فقبل معذرتي، وعند انصرافي من سدته قلت:

قطعة

ما زالت الكعبةُ الغراءُ وجهةَ مَنْ شوقاً لها لم ينهنه عزمه السفرُ
فالصفح أولى إذن عن مثل هفوتنا فليس يُرجم دوح ما به ثمرُ

١٨- حكاية

ورث ابنُ ملك عن أبيه من المال خزائنَ جمّةً، فبسط يده لمجتمديه،
وفتح باب السخاء لقاصديه، وأفاض على الرعية والعجند نعمةً بلا قياس
ولا حدّ.

قطعة

العودُ لا عَرَفَ به لكنه إن يُلْقَى بالنار يَفْخُ كالعنبرِ
ابْدُرْ من المعروف إن رمّت العلى لا تَنْبُتُ الحبّةُ ما لم تُبْدِرِ
فأخذ أحدُ جلسائه ينصحه لعدم تدبيره بقوله: إن الملوك الذين
سبقوك جمعوا هذه النعمة الوافرة بالسعي المتواصل، وكنزوها ليتصرّف
في سبيل المصالح العامة وفي الأمور الهامة، فقَصَّرَ يدك عن هذه
الحركة، فإن الوقائع أمامك، والأعداء خلفك، فاجتهد ألا تفجأك
الحاجة فتجد نفسك عندئذ عاجزاً عن دفعها.

قطعة

أمولاي لو فرقت ما أنت جامعُ على الشعب ما نال امرءاً بعضُ درهمٍ
فخذ درهماً من كل شخص ضريبةً تحز كل يوم منهم كنز مغنمٍ
فاكفهر وجهُ ابن الملك من هذا الكلام، لأنه لم يأت وفق رغبته،
فزجر ناصحه وقال: إن الله عزوجل جعلني مالكاً أمر هذه المملكة
لأكل وأهّب، ولم يجعلني خفيراً لأحفظ مالها من العطب.

بيت

وما خلدتُ قارونَ يوماً كنوزُهُ وذكرُ أنوشروانَ باقيَ الدهرِ

١٩- حكاية

مما يؤثّر عن أنوشروانِ العادلِ أنه جيءَ إليه بطريدة في محل
الصيد، فلما أرادوا شئها أعوزهم الملح، فأرسلوا غلاماً إلى القرية
ليجلب ما يلزمهم منه، فقال أنوشروانُ: اشترُوا الملحَ بثمنٍ لثلا يكون
ضريبة فتخرب القرية. فقالوا له ما هو الضررُ الذي يحصلُ من هذا

المقدار، فقال: الظلم في الدنيا كان في بدايته قليلاً، وكلُّ شخصٍ أتى
كانَ يريدُ فيه حتى وصل إلى هذه الدرجة التي ترونها.

قطعة

من جَنَّةِ الشعبِ إنْ مَلَكَ جنى ثمرًا فللعبيدِ بأنْ تستأصلَ الشجرا
وإنْ شوى خمسَ بيضاتٍ بلا ثمنٍ فالجندُ من حقها أنْ تشويَ البقرا

بيت

ما إنْ يدومُ أخو ظلمٍ فنغبطه لكنْ تدومُ عليه لعنةُ الأبدِ

٢٠- حكاية

سمعت أن عاملاً كان يخرب بيوت الرعية ليعمر خزائن السلطان،
وغفل عن قول الحكماء حين قالوا: كل من يُغضبُ الملكَ الجبار
بتسلطه على قلب أحدٍ خلقه بالأضرار، فإنه تعالى يسلط عليه خلقه حتى
ينتقموا منه فيهلكوه.

حكمة: يقولون أن الأسد سيدُّ جميع الحيوانات، والحمارَ أخسُّها،

وباتفاق العقلاء أن الحمار الذي يحمل عثا الأثقال خير من الأسد الذي يمزق مئاً الأوصال.

قطعة

إن الحمار ما له تمييزٌ لكنه بحمليه عزيزُ
أفضلُ ممن طبعه التدميرُ للؤمه الثيران والحميرُ
علم الملك بقرائن الأحوال طرفاً من أخلاقه الذميمة، فعاقبه بأشد
أنواع العقاب، حتى هلك بعد أليم العذاب.

قطعة

ما دمت لم ترضِ خدام المليك فلا تأملُ رضاه على حال ولا تَرُم
وإن أردتَ رضاء الله محتسباً فكن لدى خلقه من أَلطف الخدمِ
ومر عليه أحدُ مظالمه فقال:

قطعة

يا دائباً تبتز أموالَ الوري لنفوذك السامي وراءَ بروجهِ
قد تبلغُ العظمَ الكبيرَ وإنما تتمزق الأحشاء قبلَ خروجهِ

٢١- حكاية

حُكِيَ أن إنساناً مؤذياً ضرب فقيراً صالحاً على رأسه بحجر، ولما لم يجد ذلك الفقير مجالاً للانتقام احتفظ بالحجر. واتفق أن غَضِبَ الملك على ذلك الجندي فرج به في غيابة السجن، فجاء إليه الفقير وألقى على رأسه ذلك الحجر فقال: مَنْ أَنْتَ؟ ولماذا أَلْقَيْتَ هذا الحجرَ على رأسي؟ فقال له الفقير: أنا فلان وهذا حَجَرُكَ الذي ضربتني به على رأسي بتاريخ كذا. فقال أين كُنْتَ طَوْلَ هذه المدة؟ فقال الفقير: كُنْتُ أَخْشَى مِنْصَبَكَ، والآن وجدت الفرصة سانحة فاغتنمتها.

رجز

إذا رأيت الغمر أضحى ذا غنى لله سلم واسترخ من العنا
إلا تكن تملك ظفراً خالِباً فلا تعاندُ تحميدِ العواقبا
من قَلْبِ الفولاذِ بالكف نَدِمُ للساعِدِ الفضي أوهاهُ الأَلَمُ
فارتقب الأحداثَ توهِنُ زندهُ وفي رضا الأحبابِ تَثْلُمُ حدُّهُ

٢٢- حكاية

أَصِيبَ أَحَدُ الْمُلُوكِ بِمَرَضٍ عُضَالٍ وَلَا أَحَبُّ أَنْ أُعِيدَ ذِكْرُهُ، وَقَدْ أَجْمَعَتْ طَائِفَةٌ مِنْ حُكَمَاءِ الْيُونَانِ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ عِلَاجٌ مِنْ دَائِهِ إِلَّا مَرَارَةً إِنْ سَانَ ذِي صِفَاتٍ خَاصَّةٍ يُعْرَفُ بِهَا.

فَأَمَرَ الْمَلِكُ أَنْ يُفْتَشَوْا عَنْ صَاحِبِ تِلْكَ الصِّفَاتِ، فَالْتَمَسُوهُ فَوَجَدُوهُ غَلَامَ دُهْقَانٍ، فَاسْتَدْعَى الْمَلِكُ أَبُوهُ وَأَغْدَقَ عَلَيْهِمَا نِعْمَةً، وَلَمَّا آتَسَ مِنْهُمَا السَّرُورَ فَاتَحَهُمَا بِأَمْرِ الْغَلَامِ، فَلَمْ يَكُنْ مِنْهُمَا إِلَّا التَّسْلِيمَ لِإِرَادَتِهِ، وَأَفْتَى الْقَاضِي بِجَوَازِ إِرَاقَةِ دَمِ أَحَدِ الرِّعْيَةِ لِسَلَامَةِ نَفْسِ الْمَلِكِ، وَعَلَى هَذَا أُحْضِرَ الْجَلَادُ، فَلَمَّا رَأَى الْغَلَامَ حَوَّلَ وَجْهَهُ شَطْرَ السَّمَاءِ وَضَحَكَ. فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيُّ مَحَلٍّ لِلضَّحْكِ فِي هَذِهِ الْحَالِ الَّتِي أَنْتَ عَلَيْهَا؟ فَقَالَ الْغَلَامُ تِلْكَ ضَحْكَةٌ دَلَالُ الْأَطْفَالِ عَلَى أَبْوَيْهِمَا. وَمَاذَا بَعْدَ فَهَذِهِ الدَّعْوَى قَدْ أَصْبَحَتْ بَيْنَ يَدَيِ الْقَاضِيِ وَالْعَدَالَةُ إِنَّمَا تَطْلُبُ مِنَ الْمُلُوكِ، وَالْآنَ فَإِنْ أَبِي وَأُمِّي قَدْ أَسْلَمَانِي إِلَى التَّلْفِ، وَرَضِيَا أَنْ يُرَاقَ دَمِي بِمَا نَالَاهُ مِنْ حَطَامِ الدُّنْيَا، وَالْقَاضِيِ أَفْتَى بِحُلِّ دَمِي، وَالْمَلِكُ يَرَى هَلَاكِي يُبْرِئُ نَفْسَهُ مِنْ عِلَّتْهَا، إِذَنْ لَمْ يَبْقَ لِي هُنَاكَ مَلْجَأٌ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي لَا مَلْجَأَ لِلْمُظْلُومِ سِوَاهُ. وَأَنْشُدُ:

بيت

إلى الله أشكو منك ما قد ينوبني وأنت رجائي في الخطوب وموئلي
فرقاً له قلبك الملك واغرو رقت عيناه بالدموع، وقال: يا الله إن
الأولئ بي أن أهلك بعلي علي أن أريق دم مثل هذا الغلام البريء،
وضمه إليه وقبّله بين عينيه، ونفحه بهدية نفيسة وأطلق سراحه، فقيل
إنه لم يمض أسبوع على ذلك الملك حتى من الله عليه بالشفاء.
شعر على سبيل المثال.

قطعة

ما زلت أذكر بيتاً قاله لبِقْ قد كان بالأمس فيلاً على النيل
يا حاطماً نملة لم تدرِ حالتها من تحت رجلك إحذر وطأة الفيل

٢٣- حكاية

أبق عبد لعمر بن الليث، فتعقبه ناس وردّوه إليه، وكان لأحد
الوزراء غرض معه فأشار بقتله حتى لا يفعل أحد من العيد فعلته. فقَبِلَ

العبدُ الأرض بين يدي عمرو وقال:

بيت

مهما يكن فليكن ما دمتَ ترضى فما للعبد دعوى على عدلٍ مَلِكِ الأنام

وحيثُ أني قد تريتُ بنعمة هذا البيت، فلا أريدُ أن تؤخذ بدمي
يومَ القيامة، وإذا كان لا بُدَّ من قتل هذا العبدِ فاقتله بتأويل شرعي حتى
لا تؤاخذ به يومَ القيامة، فقال الملك: وكيف يكون التأويلُ؟ فقال:
مُرني بقتل الوزير واقتصّ مني به، فيكونُ عندئذ قتلُك لي بحق،
فضحك الملك وقال للوزير: ما رأيك في هذه المصلحة؟ فقال: أيها
الملك اعتق ابن الزنا بحق ثرية أهلك حتى لا أقع في البلاء وأحبل
خطيئته، إذ لم أعتبر بقول الحكماء حيث قالوا:

قطعة

جريت في الحرب مع رامي السهام لذا عرّضت رأسك جهلاً منك للتلف
فإن تكن رامياً سهماً بوجهٍ عدوّ فلا تقف أبداً في موضع الهدف

٢٤- حكاية

كان لملك (زوزن) محاسبٌ كريم النفس حسنُ المحضر، يَخدمُ مَنْ يَأْتِي إليه، وإذا غاب عنه يُثني عليه، واتفق أن بدرت منه بادرة جاءت غيرَ مقبولة بنظر الملك، فأمر بمصادرة ماله ومعاقبته، وكان له فضل على موظفي السجن فاعترفوا له بذلك الفضل فرفقوا به ولاطفوه، ولم يروا من المروءة أن يعاقبوه ويزجروه.

قطعة

إذا رمتَ صلحاً مَعَ عدوك فآلَقَهُ بصفح عن الماضي ولا تلحُه عتْباً
وقولُكَ مَجْراه اللسانُ فَأَحْلِهْ وإن مَرَّ فاجعل شُرْبَه سائفاً عذْباً

وكان ما رتبَه عليه الملك لم يستطع أداءه، فلبث في السجن مدة بسبب ما نبَقى عليه. وبينما هو على تلك الحال إذا ورد عليه خُفية كتابٌ من أحد ملوك تلك النواحي يقول له فيه: إن ملوكَ ذلك الطرف لم يعرفوا للعظمة قدراً ولا للعة قيمةً، وإن فلاناً أحسنَ الله عواقبه إذا كلَّفَ خاطره العزيز فوجه التفاته إلينا، فسيجدُ منا السعيَ التامَ لرعاية خاطره، لأن أعيانَ هذه المملكة بثاقب نظره يفتخرون وهم لجواب

الرسالة منتظرون. فلما وقف السيد على هذا الخبر فكَّر في الخطر، فرأى من الأصلح أن يُعطي جواباً مختصراً، فخطَّه على ظهر الرسالة وبعثه مع حاملها، واطَّلَعَ على الحالة أحدُ ذوي العلاقة بالملك، فأعلمه بالأمر وقال: إن فلاناً السجينَ له مراسلة مع ملوك النواحي، فغضب الملك وأمر بالكشف عن هذا الخبر، فقبضوا على القاصد وقرأوا ما خُطَّ على ظهر الرسالة، فإذا هو: إن حسن ظن الأعيان بهذا العبد يزيد عن الحد، وما أمروا به مُشَرَّف لي ولكنَّ قبوله ليس بإمكانني، لأنني لا يمكنني أن أكونَ عديم الوفاء لولي نعمتي لأنفه سبب تكدَّر فيه خاطري. حيث قالوا:

بيت

مَنْ تَجَنَّ إِنْعَامَهُ فِي كُلِّ آوْنَةٍ فاعذره إِنْ مَرَّةً فِي عَمْرِهِ ظَلَمَكَ
فَأَعْجَبَ الْمَلِكُ بِرَعَايَتِهِ لِحَقِّهِ، فَخَلَعَ عَلَيْهِ وَجَاهَهُ بِإِنْعَامِهِ، وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ
قَائِلاً: لَقَدْ أَخْطَأْتُ بِحَقِّكَ حَيْثُ آذَيْتُكَ بِلَا ذَنْبٍ جَنَيْتَهُ، فَقَالَ: أَيُّهَا
الْمَلِكُ إِنْ عَبْدُكَ لَا يَرَى هَذِهِ الْحَالَةَ خَطِيئَةً مِنْكَ، فَرُبَّمَا أَنْ تَقْدِيرَ اللَّهُ
هَكَذَا بِالَّذِي وَصَلَ إِلَى الْعَبْدِ مِنْ مَكْرُوهِهِ، فَحَصُولُهُ إِذَنْ عَلَى يَدِكَ أَوْلَى
لِمَا لَكَ عَلَى هَذَا الْعَبْدِ مِنَ الْيَادِي الْمُثْلَى. وَقَدِيمًا قَالَتِ الْحُكَمَاءُ:

رجز

لا تأسَ إنْ نالَكَ مِنْ خَلْقٍ ضَرُرٌ ما النفعُ والضُرُّ بمقدورِ البشرِ
أو مِنْ عَدُوٍّ أَوْ صَدِيقٍ فاعِلِما مقلَّبُ القلوبِ جبارِ السما
وإنْ تر السهمَ عَنِ القوسِ صَدَرَ فبارئِ الكونِ رَماءَ لا الوترُ

٢٥- حكاية

أمر أحد ملوك العرب ذوي العلاقة بديوانه أن يضاعفوا لفلان أجرته، حيث أنه مترصدٌ للأمر، ملازمٌ للديوان دون سائر الخدم، فإنهم باللهو واللعب مشغولون، وبأداء الخدمة متهاونون، فسمع بذلك أحد العارفين فقال: علُّو درجات العيد بحضرة الحق عز وجل على هذا المثل.

قطعة

إذا زرتَ مَلَكاً في صباحين سائلاً فلا بد في الأخرى سَيَشْمَلُكَ العطفُ
وهل تُحَرِّمُ العِبَادَ من فيضِ جوده تعالى ومنه الجودُ يُسألُ واللفظُ

قطعة

بامتثال الأمر نُجِجْ وعُلا وبترك الأمر حرمانٌ ودُّلْ
كل مَنْ سارَ بنهجٍ لاجِبٍ بمدى الخدمة لابد يُجَلْ

٢٦- حكاية

يُروى أن ظالماً كان يشتري الحطب من الفقراء بالغب، ويبيعه
للأغنياء بتطفيف الوزن، فمر به رجل صالح وقال له:

بيت

أعقربُ أنتَ مَنْ تلقاه تلسعه أم بومةٌ حيث حلتْ نابتا العطبُ

قطعة

أتبدي كثيراً من قواك أماناً وليست لتبدو عند من يسمعُ النجوى
فإياك من ظلم العباد فإنما إلى الله من أكبادهم تصعد الشكوى
فلم يَرْقُ للظالم هذا الكلامُ، فأكفهراً وجهه ولوى عنه عُنَقَه وأخذته

العزة بالإثم. وفي ذات ليلة طارت شرارة من مطبخه ووقعت بمخزن الحطب، فثبَّت النار والتهمت كلُّ ما يملك، حتى أنه قعد بعد الفراش الوثير على حرارة الرماد ويا لسوء المصير. واتفق أن مر به ذلك الرجل الصالح فسمعه يقول لأصحابه: لم أدر من أين جاءت هذه النار فوقعت على قصري فأحرقته؟ فأجابه: جاءت من دخان قلوب الفقراء.

قطعة

حذارِ بأنْ تُثِيرَ دَخَانَ قَلْبٍ جَرِيحٍ فَهَوَّ يعلو بالشكايةِ
ولا تنكأ إِنْ ما اسطعَّتْ قَلْباً قَلْبُ الكونِ يَغْضِبُ للأذاةِ
حكمة: يقال إنها كانت مكتوبة على تاج كيخسرو:

قطعة

دهورٌ وآمادُ تمر مُغَدَّةٌ على رأسنا فيها شعوبٌ وتخطرُ
ورثنا عن الأسلاف مُلكاً موطداً ونورته أبناؤنا حين نُقْبَرُ

٢٧- حكاية

يحكى أن رجلاً بلغ النهاية في فن المصارعة، فحذق في ذلك

الغن النفس ثلثمائة وستين باباً مما يحق له أن يتناول بها على الأقران، وفي كل يوم كان يلعب بواحد منها، وقد تعلق قلبه بأحد تلامذته لجماله، فعلمه كل ما يعرفه إلا باباً واحداً فقد ضنَّ عليه به وتهاون بتعليمه إياه. وحاصل القول أن التلميذ بلغ الغاية في القوة والمصارعة ولم يكن لأحد من نظرائه أن يجزؤ على مجاراته في ذلك المضمار، حتى أنه لازدهائه بنفسه واعتداده بقوته قال مرةً بحضرة الملك: إذا كان للأستاذ فضلٌ عليّ فلم يكن إلا من جهة كبر السن وحق التربية وإلا فلست أقلُّ منه قوةً وأنا وهو في الصنعة كفرسي رهان، فلم يقع منه هذا الكلام الذي يدُل على قلة الأدب عند الملك موقعَ القبول، فأمر بأن يتصارعاً، فعينَ لهما محلٌّ متسعٌ حضره أركانُ الدولة وأعيانُ المملكة: فأقبل ذلك الفتى وكأنه الفيل المهتاج وتقدم بعزيمة ثابتة، فلو أن جبلاً من الحديد قابله لاقتلعه من أساسه. علم الأستاذ عندئذ أن لا طاقةً له بتلميذه فاشتبك معه من ذلك الباب الغريب الذي كان قد أخفاه عنه، فلم يعرف الفتى كيف يُدافع عن نفسه فخطفه الأستاذُ بكلتا يديه ورفعه فوق رأسه وجلد به الأرض، فهتف الحاضرون هتافَ الاستحسان. فأمر الملك أن يُخلعَ على الأستاذ وأن يوبخ التلميذ ويلام. ومما قيل له: إنك حاولتَ مقاومةَ مريبك وولي نعمتك ومع ذلك

لم تصل إلى غاية. فقال التلميذ أيها الملك إن الأستاذ لم ينل الظفر عليّ بئاسه وقوته، ولكنّ باباً واحداً في فن المصارعة كان أخفاه عني واليوم من ذلك الباب انتهز الفرصة فتغلب عليّ. فقال الأستاذ: أجل لمثل هذا اليوم احتفظت به لنفسي، فقد قالت الحكماء: «لا تُظهر لصديقك كلّ قوتك لتقدّر عليه إذا أصبح في يومٍ ما عدواً لك» أو لم تسمع ما قاله ذلك الذي لاقى جفاءً ممن أدبه وأحسن تربيته.

قطعة

إما الوفاء خيال لا وجود له أو أنه لم يقم يوماً به أحد
على الرماية ما دربت أيّ فتى لذلك لم تُصمِ قلبي بالسهماء يدُ

٢٨- حكاية

كان أحد المتجردين من الفقراء منقطعاً عن الناس بطرف الصحراء، فمرّ عليه ذات يوم ملك بلاده، فلم يرفع الفقير إليه رأسه ولم يلتفت إليه لتجرده إلى ربه وفراغ قلبه من الدنيا، فهزت الملك سطوة السلطنة فغضب على ذلك الفقير وقال: هذه الطائفة الملتفة بالخرق كبهيمة الأنعام ليس لها قابلية ولا تعرف الإنسانية. وبادره

الوزير قائلاً: أيها الدرويش مرَّ بك ملك الزمان فلماذا لم تتقَّف له برسم الخدمة ولم تقم بشرط الأدب والحشمة؟ فأجابه الدرويش: قل للملك أن يتوقع الخدمة ممن يتوقع منه النعمة، واعلم أيضاً أن الملوك وُجدت لأجل حفظ الرعية، وما وجدت الرعية، لأجل طاعة الملوك.

قطعة

لحفظ نفوس البائسين ملوكها وإن رتعت في ظل نعمة مولاها
وما غنم الراعي أعدت لأجله ولكنما الراعي أعَدَّ ليرعاها

قطعة

بنعيم بعض الورى وكثير من بهم ضاق في الحياة المجال
إنما الحكم للبلى وبقاء الدمر حياً على الزمان محال
فاطلب الفرق بين ملك وعبد هل ترى حين تنتهي الآجال
يتساوى أخو الغنى وأخو الفقر إذا كان للتراب المآل

فتلقى الملك كلام الدرويش بالقبول وقال له: تمنَّ عليَّ ما تريد.
فقال الدرويش: إن كلَّ ما أتمناه ألا تُثقل عليَّ مرة أخرى. فقال الملك:

انفحني بنصيحة فقال:

بيت

بملكك فانعم ما حييت ففي غد إلى وارث لا بد تُسلمه قسراً

٢٩- حكاية

حضر أحد الوزراء أمام ذي النون المصري قُدّس سرّه، وطلب منه أن يُمدّه بالهمة، فقال: أنا يا سيدي مشغول ليلاً ونهاراً بخدمة السلطان، وإن ما أرجوه من خيره دون ما أخشاه من عقوبته. فبكى ذو النون وقال: لو خفتُ أنا من الله مثل خوفك من السلطان لأصبحتُ من الصديقين.

٣٠- حكاية

أمر ملكٌ بقتل إنسان بريء فقال: أيها الملك لا تطلب أذية نفسك بسبب غضبك عليّ، فقال الملك: وكيف ذلك فقال: إن هذه العقوبة ستمر عني بتفيسٍ واحدٍ ألفظهُ، ولكن أثرها سوف يبقى عليك خالداً أبداً الدهر.

رباعية

كالريح أعمارنا وقد ذهبَتْ بالحو والمَرِّ والمكروه والحسنِ
يا ظالمًا خال نيرَ الظلم دام بنا عليك دَامَ وعنَّا مَرَّ كالوسنِ
ولقد أثرت نصيحته هذه بالملك فعفا عن إراقة دمه.

٣١- حكاية

كان وزراء أنوشروان يُديرون الرأي بمهمة عويصة من مصالح المملكة، وكل واحد منهم أبدى رأيه بها على مقدار ما يعلم، وكذلك الملكُ أبدى بها فكرة، فوقع اختيارُ بزرجمهر على رأي الملك، فقال له الوزراء سرًّا: ما هي المزية التي رأيتموها برأي الملك حتى رجَّحت رأيه على سائر الحكماء؟ فقال: حيثُ أن العاقبة لم تكن معلومةً بعد، ورأي الجميع تحت مشيئة الله؛ إما أن يجيء خطأً أو صواباً، إذن فموافقهُ رأي الملك أولى، حتى إذا جاء على غير الصواب نكون عندئذ قد أمنا من معاتبته بعلّة متابعته.

قطعة

حذارِ خلافَ رأي الملك تبغي فما لك إن أردت الموتَ عُذْرُ
إذا قال: النهارُ اليومَ ليلُ فقل: ليلُ به نجمٌ وبدرُ

٣٢- حكاية

دخل إلى البلدة مع قافلة الحجاز دجالٌ ضفر شَعْرَه كما يصفره العلويونَ وادعى أنه علويّ آب من الحج، وقد ألقى قصيدة بين يدي الملك نسبها لنفسه، فقال أحدُ ندماء الملك - وكان في تلك الآونة قافلاً من السفر - : أنا في عيد الأضحى رأيته بالبصرة فكيف أصبح حاجاً؟ وقال آخرُ: أبوه كان نصرانياً بمدينة ملاطية فكيف صار علوياً؟ ولما بحثوا عن القصيدة وجدوها بديوان الشاعر (أنوري). فأمر الملك عندئذ بحبسه ونفيه لاحتiale وكذبه. فقال الدجال: يا ملك الزمان بقي لي أن أقول كلمة فإن لم تكن حقاً فعاقبني بالعقوبة التي أستحقها. فقال الملك: وما تلك؟ فقال:

قطعة

إذا ما غريب رام خاترك القَهْ بمغرتي ماءٍ وطفف من الأخرى
ولا تنزعج من لغو عبد حَقَرْتُهُ فأكذبْ هذي الناس من جَرَبِ الدهرِ
فتبسم الملك وقال: لم تنطق طول حياتك بأصدق من هذا الكلام.

وأمر بأن يبلّغوه مأمولّه ليذهب من عنده فرحاً مسروراً.

٣٣- حكاية

رووا أن أحد الوزراء كان يرحم الرعايا ويرغب في صلاحهم،
واتفق أن أوثقه الملك في نقمة، فبذل الجميع لاستخلاصه الهمة.
والموكلون بمعاقبته عاملوه باللطف والإحسان، والأعيان أثنوا على
حسن سيرته عند السلطان، حتى عفا الملك عن خطيئته وأغضى عن
زلته. فاطلّع أحد العارفين على تلك الحال فقال:

قطعة

لك الخير كل الخير لو بعث جنة وراثته جد في رضاء صديق
وبذلك ما تحويه أفضل ما يرى على ما يسرّ الصحب كل شروق
فلا تمنع المعروف عن غير أهله وإن كان لا هتأ بطريق

٣٤- حكاية

جاء أحد أبناء (هارون الرشيد) إلى أبيه مُغضباً وقال له: إن ابن

فلان الشرطي شتمني بأمي. فقال هارون لأركان دولته: ماذا يكون جزاء هذا؟ فأشار أحدهم بقتله، وآخر بقطع لسانه، وثالث بالمصادرة والنفي. فقال هارون لولده: أي بني، من المروءة أن تعفو عنه، فإذا لم تستطع فاشتّمه كما شتمك. أما إذا تجاوزت حد الشتم إلى الرغبة في الانتقام فعندئذ يكون الظلم من جهتنا. وتقام الدعوى علينا من قبل الخصم.

قطعة

وليس شجاعاً حازماً عند ذي الحجا فتى يطلبُ الفيلَ المغيظَ يُصاوِلُهُ
ولكنه من لو مِنَ الغيظِ ينشوي لما قالَ إلّا الحقَّ أو نامَ باطلُهُ

قطعة

لثيْمُ الطبعِ سبَّ فتىً نبيلًا فأعرض عن بذائه وأغضى
وقال جهلتَ أقبحَ ما بنفسِي فليستُ بكاشفٍ عيبي لترضى

٣٥- حكاية

كنت في سفينة مع طائفة من الكبراء، فغرق زورق من خلفنا ووقع

منه أَخَوَانِ فِي دَوْرَانِ التَّيَّارِ. فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلْمَلَّاحِ: خَلِّصْ هَذَيْنِ الْأَخَوَيْنِ وَلَكَ مِنِّي مِائَةُ دِينَارٍ. فَمَا أَنْقَذَ الْمَلَّاحُ أَحَدَهُمَا حَتَّى هَلَكَ الْآخَرُ. فَقُلْتُ: حَيْثُ نَفَذَ عَمْرُهُ حَصَلَ التَّوَانِي بِإِنْقَازِهِ. فَتَبَسَّمَ الْمَلَّاحُ وَقَالَ: إِنْ مَا قَلَّتْهُ صَحِيحٌ، غَيْرَ أَنْ مِيلَ خَاطِرِي لَخُلَاصِ هَذَا كَانَ أَكْثَرَ، وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّنِي كُنْتُ مَرَّةً مَنقُطَعًا فِي الصَّحْرَاءِ فَحَمَلَنِي هَذَا عَلَى جَمَلِهِ، وَأَمَّا ذَاكَ فَذَقْتُ مِنْهُ سَوْطًا لَا أَنْسَاهُ ضَرْبَنِي بِهِ فِي عَهْدِ صِبَايَ، فَقُلْتُ: صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾.

قطعة

إِيَّاكَ أَنْ تَخْدَشَ قَلْبَ امْرِئٍ فَذَا طَرِيقُ شَوْكِهِ مُتَلَفٌ
وَأَسْعِفِ الْبَائِسَ إِنْ تَلَقَّاهُ فَرِيماً احْتَجَّتْ لِمَنْ يُسْعِفُ

٣٦- حكاية

كَانَ أَخَوَانِ أَحَدُهُمَا بِخِدْمَةِ السُّلْطَانِ وَالْآخَرُ يَسْعَى لَخَبْزِهِ بِكَدِّ يَمِينِهِ، وَذَاتَ مَرَّةٍ قَالَ الْغَنِيُّ لِلْفَقِيرِ: لِمَاذَا لَمْ تَخْدَمْ السُّلْطَانَ حَتَّى تَسْتَرِيحَ مِنْ مَشَقَّةِ الْعَمَلِ؟ فَأَجَابَهُ الْفَقِيرُ: وَأَنْتَ لِمَاذَا لَا تَعْمَلُ حَتَّى

تخلص من مذلة الخدمة وقد قالت الحكماء: لأن تأكل خبزك
وتستريح خير من أن تمنطق بالذهب وتقف ذليلاً بخدمة الأمير.

بيت

ضع الكف في جبر ولا ترص عقدها على الصدر في ذل أمام أمير

قطعة

إلى متى تقطع العمر العزيز سدى حاجة لم تُنل غاياتها أبدا
بلقمة الخبز فاقنغ إن أردت غلا ولا تذلل لملك تبغيه جدا

٣٧- حكاية

أتى رجل ببشارة إلى (أنوشروان العادل) فقال: إن الله عزوجل
أهلك عدوك فلاناً. فقال له: أطرق سمعك أنني سأخلد بعد موته.

بيت

أيفرحنا موت العداة ولم نكن بموتهم نحيا على الدهر سرمدا

٣٨- حكاية

تكلم جماعة من الحكماء بحضرة كسرى وكان يزجرهم ساكناً، فقالوا له: لماذا لم تشترك معنا في هذا البحث؟ فقال: الوزراء كالأطباء والطبيب لا يُعطي الدواء إلا للعليل، وحيث بان لي أن رأيكم على نهج الصواب فليس من الحكمة إذن أن أشترك معكم في ذلك الخطاب.

شعر

إذا عملي يجيء بلا فضولٍ فمالي عنده في القول حكمُ
وإن أبصرتُ أعمى حولٍ بثرٍ وما نَبَّهْتُ فالصمتُ إنمُ

٣٩- حكاية

لما سُلِّمَ مُلْكُ مِصْرَ لهارونَ الرشيد قال: إنني خلافاً لذلك الطاغية الذي اغترَّ بملكِ مِصْرَ قادَعى الألوهية، لا أهب هذه إلا لأخس عبيدي. وكان له عبدٌ أسودٌ بليدٌ اسمه (خَصِيب) فاختره لملكِ مِصْرَ،

وقيل إن عقله كان ناقصاً وكفاءته محدودة. فجاء إليه جماعة من الزراع يشكون من الضرر الذي لحق مزروعاتهم فقالوا: لقد جاء المطر في غير أوانه فأتلف القطن الذي زرعناه بأطراف النيل. فقال: الأمر سهل فيلزم أن تتعاضوا عنه بزراعة الصوف فسمعه أحد النبهاء فقال:

قطعة

فلو أن رزق المرء يزداد بالحجا لما نال ذو جهل فتيةً من الرزقِ
ولكن رزق الجاهلين ميسرٌ لذا احتار فكر النابهين من الخلقِ

رجز

بالعلم لا تحرز نيل الجاه إلا بتأييد من الإله
فكم جهولٍ حظه سعيدٌ وكم عليمٍ حظه منكودٌ
ذو الكيمياء يقضي بوجه شاحبٍ والبُلّه تلقى الكنز في الخرائب

٤٠- حكاية

أحضروا لأحد الملوك جاريةً صينيةً، فأرادَ وهو في حالةٍ من السكر

أن يوافقها، فمأنته الجارية، فغضب الملك ووهبها لعبد أسود من عبيده، شفته العليا جاوزت أرنبة أنفه، والسفلى تهدأت تحت جيبه، هيكمل المسخ في صورته، و(صخرة) الجنى يرتعد فرقا من طلعتة، وعين القطران تجري من صنان إبطيه وسرته.

بيت

كقبح محياه إلى الحشر لا يرى كما لا يرى يوماً جميل كيوسف

قطعة

قبح غريب عجيب لا نظير له تعيا بأوصافه أذاذ تبريز
من نتن إبطيه بالله استعد فهما كالفيح من جيفة في شمس تموز

وروي أن الأسود في تلك الآونة مالت نفسه إليها فغلبته شهوته وحركته غريزته فافتض بكارتها. وعند الصباح طلب الملك الجارية فلم يجدها، فأخبروه بما جرى. فتملكه الغضب وأمر بأن يحكم وثاق رجلي الأسود والجارية ويديهما، وأن يرميا من أعلى الجوسق إلى أسفل الخندق. وكان أحد الوزراء حسن المحضر، فقبل الأرض بين

يدي الملك مستشفعاً وقال: الأسودُ في هذه الحالة يا سيدي لم يكن مخطئاً، إذ سائر العبيد والخدم على المواهب الملوكية مُعتادون. فقال الملك: ما كان عليه لو استبقاها ليلتها. فقال: أيها الملك أما سمعت ما قالوا:

قطعة

لو أبصرت عين ماءٍ عينُ ذي ظمأٍ وقد رأى حولها فيلاً أيمتنعُ
وملحدٍ صائمٍ جوعانٍ منفردٍ والزادُ في يده هل عنه ترتفعُ
وسُريَّ عن الملك بهذه اللطيفة. فقال: وهبتُ لك الأسودُ أما
الجارية فماذا أصنع بها؟ فقال: هبها كذلك للأسود فهي تليق له لأنها
فضلةُ طعامه.

قطعة

أتمتدُ من مَلِكٍ يَدُ لُتْرَنْجَةٍ على الروثِ طاحتُ وهو بالعينِ يَنْظُرُ
وهل يستسيغُ الماءَ في الكوزِ ظامئٍ وقد عَبَّ منه نحوَ ثُلْثَيْهِ أَبْخُرُ

٤١- حكاية

سألوا الأسكندر الرومي: بماذا ملكت ديار المغرب والمشرق وقد كان الملوك القدماء أكثر منك مالاً وأوسع مُلكاً وأطولَ عمراً وأعز جنداً، ولم يتيسر لأولئك من الفتح ما تيسر لك. فقال: بعون الله تعالى، كلُّ مملكة حُرَّتْها ما آذيتُ رعيَّتها، ولا جرى ذِكْرُ ملوكها على لساني إلا بالخير.

بيت

ما إن يُعَدُّ عَظِيماً عِنْدَ ذِي أَدَبٍ فَتَنَى بِفَضْلِ عَظِيمٍ لَيْسَ يَعرُفُ

قطعة

بعد موتي لم يبقَ أمري ونهبي وحظوظي وتاج عزي وملكي
فاذكر الغابرين بالخير كي يَـ فنى لك الذكْرُ خالداً بعدَ هُلُكِ

الباب الثاني:

في أخلاق الفقراء

١- حكاية

قال رجلٌ من الكبراء لأحد العُبَّاد: ماذا تقول بحق فلان العابد فإن ناساً ألحُّوا عليه بالطعن. فقال: ما رأيتُ عيباً في ظاهره وليس عندي علم بما في باطنه.

قطعة

عُدَّ في الصالحين من بان منه زِيُّ أهل الصلاح في غير طعنٍ
أفتدري ماذا يُكْزَرُ وظلمُ أن تجاسَ الديارُ من دون إذنٍ

٢- حكاية

رأيتُ درويشاً واضعاً رأسه على عتبة الكعبة وقد مرَّغ وجهه على الثرى وهو يتضرع ويقول: يا غفور، يا رحيم، أنت تعلم بما يليق بك مما يأتي به الظلومُ الجهول.

قطعة

قدمتُ عذري عن التقصير يا أُملي إذ لا اعتمادَ على نُسكي وطاعاتي
تاب العصاةُ وأما العارفون فقد تَبَرَّأوا لك من تلك العباداتِ
العابدون يطلبون منك ثوابَ طاعتهم، والتجار يطلبون ثمنَ
بضاعتهم، وأنا العبد جئتُك بأُملي لا بطاعتي، وبذلي واحتياجي
لا بتجارتي. إصنع بي ما أنتَ أهله، ولا تفعل بي ما أنا
أهله.

بيت

إن تعفُ أو رُمْتَ قتلي لا إرادةَ لي فالرأسُ مِنِّي مَحْنِي على البابِ

قطعة

على باب بيت الله أبصرت سائلاً يقول ويُذري الدمع سحاً من الكربِ
إلهي لا أبغي قبولاً لطاعتي فجزّ يراع العفو منك على ذنبي

٣- حكاية

رأيت عبد القادر الكيلاني قدّس سره في حرم الكعبة واضعاً رأسه
على الحصى وهو يقول: إلهي اعف عني، وإن كنت مستوجباً العقوبة
فاحشرنني يوم القيامة أعمى حتى لا أذوب خجلاً من رؤية وجوه
الصالحين.

قطعة

أعقرُ وجهي كلما هبت الصّبا على التراب كي ترضى لعجزتي وتقصيري
فيا شاغلاً قلبي بذكراك يا ترى أعندك لي ذكري تُديمُ سروري

٤- حكاية

دخل لصّ إلى بيت عابِدٍ، وبعد البحث الكثير ضاق صدره لأنه لم

يجد ما يسرقه، ولما فطن له العابد ألقى البساط الذي ينأى عليه في طريقه لئلا يعود محروماً.

قطعة

السالكو طريق أهل الهدى لم ينكأوا حتى قلوب العدى
وأنت ما دمت كذئب على أخيك لن تبلى هذا المدنى
فمودة إخوان الصفا سواء في الوجه وفي القفا، إذ ليسوا كمن
أمامك يستميحك عرفك وفي قفاك يروم حتفك.

بيت

في الوجه كالحمل الوديع وفي القفا كالذئب لا يبقى عليك ولا يذر

بيت

من عدى عيب الناس عندك فهو عن إحصاء عيبك عندهم لا يحجم

٥- حكاية

اتفق على السياحة جماعة من المتجردين وعزمت على مشاركتهم

في السراء والضراء، ولما طلبتُ مرافقتهم امتنعوا عن تحقيق رغبتِي،
فقلتُ: إن من الغريب في أخلاق الكبراء أن يُعرضوا بوجههم عن
مرافقة الفقراء، وأن يَغفلوا عن الاستفادة من صحبتهم، وأنا أُحس أن
في نفسي من القوة والمقدرة ما أستطيع به أن أخدم إخواني بحذق
وإخلاص، وألا أكونَ عالَةً عليهم.

شعر عربي الأصل

إن لم أكن راکبَ المواشي أسعى لكم حاملَ الغواشي
فقال لي أحدهم: لا يضيقُ صدرك بما سمعتَ فقد جاء إلينا منذ أيام
لصٌ بصورةِ الدراويش لا بصفتهم، وانتظمَ بسلكِ صحبتنا.

بيت

ماذا وراء ثيابه يُخفي الفتى يدري بمضمونِ الكتابِ الكاتبُ
وحيث أن شأنَ الدراويش حُسنُ الظنِّ بالناس، ما فطنا لسوء قصده
وقبلناه رفيقاً لنا.

بيت

الدُّلُى مِرآة حَالِ العَارِفِينَ وَذَا يَكْفِي رِيَاءَ لَهُمْ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ

قطعة

كُنْ عَامِلًا مُخْلِصًا وَاخْتَرِ لِنَفْسِكَ مَا تَهْوِي لَبُوسًا وَضَع تَاجًا عَلَى الرَّأْسِ
لَيْسَ التَّصَوُّفُ لِبَسِّ الصَّوْفِ تَحْسَبُهُ فَالْبَسْ حَرِيرًا وَلَيِّنْ قَلْبَكَ الْقَاسِي

قطعة

الزَّهْدُ فِي تَرْكِ هَوَى النُّفُوسِ وَلَمْ يَكُنْ بِالزَّهْدِ فِي اللَّبُوسِ
فَالدَّرْعُ مِنْ مَلَابِسِ الشَّجْعَانِ وَالسِّيفُ لَا يَصْلَحُ لِلْجَبَانِ
وَصَفْوَةُ الْقَوْلِ أَنَّا سَرْنَا فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ حَتَّى دَاهَمَنَا الظَّلَامُ، فَبِتْنَا
تَحْتَ قَلْعَةٍ هُنَاكَ، أَمَا اللَّصُّ عَدِيمُ التَّوْفِيقِ فَحَمَلَ إِبْرِيْقَ رَفِيقٍ لَنَا وَذَهَبَ
لِلطَّهَارَةِ وَلَمْ نَدْرِ أَنَّهُ تَأَهَّبَ لِلْغَارَةِ.

بيت

أَنْظُرْ فَذَا عَابِدٌ يُزْهِى بِخَرْقَتِهِ وَكَسَوَةُ (الْبَيْتِ) قَدْ تُزْهِى بِهَا الْحُمْرُ

ولما توارى عن نظرك الفقراء صعد إلى برج وفاز منه بسرقة
 دُرج، وما لاح النهار حتى أوغل ذلك المظلم القلب في القفار، وأما
 الرفاق الأبرياء ففي الصباح سيقوا جميعاً إلى القلعة، وزج بهم في غيابة
 السجن. ومن ذلك التاريخ قلنا بترك الصحبة، ولزمتنا طريق العزلة،
 وأيقنا أن (السلامة في الوحدة).

قطعة

إذا ما بدت من فسل قوم مثالب فكل كبير أو صغير يذمم
 وإما عدا ثور على الزرع خلصة فثيران ذاك الحقل طراً ستظلم
 فقلت المنة لله عز وجل، اذ لم أبق محروماً من فوائد الفقراء، ولئن
 صرفت عن صحبتهم فقد استفدت من قصتهم، فعلى كل غير مثلي أن
 يعمل بهذه النصيحة مادام على قيد الحياة.

قطعة

إذا حل في نادي كرام ملوث فكل ذكي عنه في ألم ينبو
 فبركة ماء الورد مع طيب عرفها تنجس إن يوماً بها فطس الكلب

٦- حكاية

أضافَ أحدُ الملوكِ زاهداً، فلما جلسوا على المائدة أكل الزاهدُ أقلَّ من استطاعته، وحينَ قاموا للصلاة صلَّى أكثرَ من عادته حتى يظنوا به الصلاحَ زيادةً عن طبيعته.

بيت

دليلي لا يُفضي إلى (البيت) دربنا وخوفي إلى يهماءٍ يفضي بنا الدربُ
ولما عاد إلى منزله طلب السُّفرةَ لتناولِ الطعام وكان له ابن ذو
فِراسة، فقال: أيُّ أبتِ أما أكلتَ شيئاً في دعوة السلطان؟ فأجابه لم
آكل كفايتي بنظر أولئك لثلاث يظنوا أن تلك عادتِي. فقال الولد لأبيه:
إقضِ الصلاةَ أيضاً لأنك لم تفعل شيئاً كعادتك.

قطعة

أَتَظْهَرُ بين الناسِ فضلاً مُزَيَّفاً وتخفي الذي يُخزِيكَ من عيبك المزري
فيا أيها المغرورُ ماذا ستشتري بزائفِ هذا النقدِ في أرذلِ العُمُرِ

٧- حكاية

لا أزال أذكر أنني كنتُ في عهد طفولتي مولعاً بإحياء الأسرار، زاهداً متقياً، وفي ذات ليلة قعدتُ لخدمة أبي والمصحف الشريف في حجرٍ أقرأ منه ما شاء الله أن أقرأ، ولم ينطبق لي جفنٌ على جفن. وكان الجماعة الذين أتوا للسمر عندنا قد غرقوا بنومهم. فقلت لأبي: إن واحداً من هؤلاء لم يرفع رأسه ولم يتهدج بركعتين، ولقد استغرقوا في نومهم فكأنما هم أموات. فقال لي: يا روح أبيك أنت أيضاً لو أنك نمتَ لكان خيراً لك من أن تمزق جلودَ خلق الله.

قطعة

ما إن يرى المدعي للناس موهبةً لأنه من غرور النفس في حُجبٍ
ولو رآهم بنور الله كان رأى لعجزه نفسه في أخقر الرُتبِ

٨- حكاية

أثنى جماعةٌ في محفلٍ على أحد الكبراء، فأشادوا بأوصافه

الجميلة وبالغوا بإطرائه. فرفع إليهم رأسه وقال: أنا نفسي الذي أعرف من أنا.

شعر عربي الأصل

كفيت أذىً يا من تعد محاسني علا نيتي هذا ولم تدر باطني

قطعة

لي ظاهر حسن في العين منظره وباطن قبحه ما زال من شغلي
يستحسن الناس في الطاووس رونقه وقبح رجله يدعو إلى الخجل

٩- حكاية

دخل جامع دمشق رجل من صلحاء جبل لبنان، وكانت له في بلاد العرب مقامات مذكورة وكرامات مشهورة. ولما جلس على طرف بركة (الكلاسة) ليتوضأ زلت قدمه، فوقع فيها ولو لم تتداركه العناية لغرق. وبعد أن أدّى المصلون الصلاة المكتوبة، قال له أحد الأصحاب: أيها الشيخ عندي مشكل. فقال الشيخ: وما ذاك؟ فقال: أذكر أنني كنت رأيتك تمشي على وجه بحر المغرب ولم تبتل لك قدم.

واليوم كِدَتْ تغرق بما لا يزيد عن عمق قامة من الماء، فما السرُّ في هذا يا تُرى؟ فأدخل الشيخ رأسه في جيبه وبعد تأمل طويل رفع إليه رأسه وقال: أَلَمْ تسمعْ ما قاله سيد العالم محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم «لي مع الله وقتٌ لا يسعني فيه ملكٌ مقرب ولا نبي مرسل» ولم يقل كلُّ وقتي كان هكذا. وإلا لما تفرغ لجبريل وميكال، ولما بنى بحفصة وزينب وغيرهما بأوقاتٍ أخرى. لأن مشاهدة الأبرار بين التجلي والاستار تُلَمَحُ فَتُخْتَطَفُ.

بيت

بحسبك تُغريني وتطلبُ عصمتي ونارَ الهوى تُذكي وتأمُرُ بالتقوى

شعر عربي الأصل

أُشاهدُ من أهوى بغيرِ وسيلةٍ فيلحقني شأنُ أضل طريقاً
يؤجج ناراً ثم يطفي برشةٍ لذاك تراني مُحرقاً وغريقاً

قطعة

قالوا لفاقد طفلٍ لا نظير له في الحسن يا خير من أودى وقد صبرا
أظهرت من بعد ذاك اليأس معجزةً يكاد ينكر راويها لنا الخبرا

شممت من (طيبة) ريح القميص وما
فقال نحن كمثل البرق تلمحه
فتارة لا نرى ما تحت أرجلنا
وتارة غاربُ الأفلاك مَقْعَدُنَا
ولو جرت باطراد حالنا لخلتُ
أبصرت من جب كنعان له أثرًا
طوراً خفياً وطوراً يخطفُ البصرا
كالعمي تدراً عنها بالعصا الخطرا
حتى ليزحَمَ فيها عزمُنا القدرَا
من الحياتين كفي فاتركوا الهذرا

١٠- حكاية

كنتُ مرةً بجامعِ بَعْلَبَكْ أَقَرُّ كَلِمَاتٍ بقصد الوَعْظِ على جماعة
قلوبهم متحجرةٌ مَيِّتَةٌ وَعَقُولُهُمْ لم تنصرفْ عن عالمِ المبنى الى عالمِ
المعنى، فرأيتُ أنْ أنفاسي الملتهبةً لم تجذبهم إلى حظيرة القربِ،
ونارَ روعي المتأججة لم تؤثر في حطبهم الرطب، فتأسفتُ أشدَّ
الأسفِ على ضياع تربيتي، فيمن يُضارع الحيوان، وعلى وضع مرآتي
المجلوة في زاوية العميان، ومع كل هذا فقد انفتح عليَّ بابُ المعنى،
وأنسج أمامي مجالُ القول في هذه الآية الكريمة ﴿ونحن أقرب إليكم
من حبل الوريد﴾ فكنتُ أوصِلُ القول إلى الغرض المراد منه عن
أقرب الطرق حتى قلتُ:

قطعة

اللهُ أقربُ من نفسي إليَّ وإنَّ نأيتُ عنه وهذا أعجبُ العجبِ
 ما حيلتي ولمن أشكو هواه وقد أحاط بي ورماني الهجرُ بالحربِ
 وبيننا كان سُكري من خمر هذا الكلام لا يُحَدُّ، وفضلة الكأس
 لا تزال في اليد إذا بعبار سبيل مرَّ من طَرَفِ المجلس، فأثَّرت فيه تلك
 الفضلة فانتشَى وصاح صيحة ردَّدَ صداها آخرونَ، وأصبح المجلسُ
 يموجُ بعضُه في بعض من الوجد. فقلتُ: سبحان الله البعيدُ حاضرٌ
 بالخبر، والقريبُ غائبٌ لفقد النظر.

قطعة

إذا لم يكن يقوى على الفهم سامعٌ فلا تطلُبِ الإعجازَ من مُتكلِّم
 فَهَيِّئِ لِمِيدَانِ الإِرَادَةِ فُسْحَةً يُدهِي لك المزجي كراتٍ مِنَ الفَمِ

١١- حكاية

عجزتُ عن السير ليلةً من الليالي في بادية مكة، فلم أستطع أن
 أنقل قدمي لشدة السهر، فوضعتُ رأسي على الثرى لأستريح، وقلت
 للجَمَّال: انفضْ يدك مني.

قطعة

ماذا تلاقيه أقدامُ الحفاة وقد أعيَا البَخَاتِيَّ طولَ السيرِ في البِيدِ
لأنَّ يَعودَ صَليبُ العودِ من لَعَبٍ مِثْلَ الخلالِ نَحيفُ العودِ قد يُودِي
فقال لي: أيها الأخ، الحرمُ أمامك، واللصوصُ وراءك، فإذا سرتَ
نَجوتَ، وإذا نمتَ هَلكتَ.

بيت

تحت (ام غيلان) ما أحلى الكرى سحرا عند الترحُّلِ لو لا شدةُ الخطرِ

١٢- حكاية

رأيتُ عابداً على ساحلِ البحرِ قد عَضَّه النمرُ، وأزَمَنَ معه الداءُ وما
شُفي بدواء، ومع طولِ مرضه وشدةِ ألمه كان لا يفتُرُّ عن شكرِ الله
تعالى قائلاً: الحمد لله الذي أوقنني بمصيبة لا بمعصية.

قطعة

إذا رمت قتلي يا حبيبي فإنني حقيِرُ وموتي ليس إلا مِن الهَمِّ

ومالي من ذنب ولا أنا جازعٌ ولكنما آسى عليك من الغمِّ

١٣- حكاية

حكوا أن درويشاً الجأته الضرورة إلى أن يسرق بساطاً من بيت صديق له، فأمر الحاكم بقطع يده، فتشفع له صاحبُ البساط وقال: أنا بحلٍّ مما فعل. فقال الحاكم: لا أُعْطِلُ حَدّاً من حدود الشرع لأجل شفاعتك. فأجابه صاحبُ البساط: الحق ما حكمت به، ولكن ليس كلُّ من يسرق من مالِ الوقفِ شيئاً يلزم أن تُقَطَعَ يده؛ لأن «الفقير لا يملك شيئاً ولا يُملِكُ» وكلُّ الفقراء بحاجة المال الوقف. فملكه الحاكم يد السارق وقال له: أضاعت عليك المسالك حتى لا تسرق إلا من بيت صديق كهذا؟ فقال: أيها الأميرُ ألم تسمع بالمثل القائل «اكْشُ بيتَ الأصدقاء ولا تَدْخُ بابَ الأعداء».

بيت

إن عَضَّكَ الجوعُ لا تكسلُ وكنِ نِمراً أغرِ الأجابة واسلخُ جلدَ أعداكَا

١٤- حكاية

رأى أحد الملوك عابداً فقال له: هَلَّا تذكرني أصلاً؟ فأجابه: نعم
في الوقت الذي أذهل فيه عن ذكر ربي.

بيت

يسعى لغيرك مطرود لشقوته ومن يرجيك لا يسعى إلى أحدٍ

١٥- حكاية

رأى أحدُ الصالحاء في منامه مَلِكاً في الجنة وعابداً في النار، فسأل:
ما السبب الذي جعل هذا في درجات النعيم، وجعل ذاك في دركات
الجحيم، مع أن الحال بخلاف ما كنا نظن؟ ف قيل له: «الملك لحبه
الفقراء أصبح في الجنة، والعابدُ لحبه الملوك أصبح في النار».

قطعة

لا الدَّلْتُ يُجديك نفعاً أو مرقة مادمت من شهوات النفس في حَطرٍ
فدع (كُلاها) من الأوبارِ تلبسه واستشعر الفقر والبس بِرَّةَ التَّترِ

١٦- حكاية

خَرَجَتْ قافلة من الكوفة تريد الحجاز، فرافقها رجلٌ عاري الرأس
حافي القدمين طُروبٌ لم يفتر عن الترنم بهذين البيتين.

لستُ بغلاً تحت حملي لا ولم أركبُ بعيراً لم أكن عبدَ ملك لا ولم أصبحُ أميراً
الغني والفقير سياتن فما مرا بفكري جد سهل أنني في نفسٍ أقطعُ عمري

فقال له راكب جمل: أيها الدرويش أين تذهب؟ عُدْ أدراجَكَ لئلا
يُضنيكَ التعب فتهلك، فلم يلتفت إليه ومشى ضارباً في البادية على
قدميه. حتى إذا انتهينا إلى (نخلة محمود) أدرك الأجلُ ذلك الراكب
الغني فمات. فوقف الدرويش عند رأسه وقال: نحن مع شدة التعب لم
نمُتْ وأنت مع الراحة مُتَّ. وأنشد:

بكى صحيحٌ مريضاً طولَ ليلته وحين أصبح أودى والمريض نجا

قطعة

كم سَلَّهَبَ بات دون القصدِ من لَغِبٍ وكم حمار كسير راحَ لم يَبِتْ
وكم أصحاء في جوف الثرى دَفَنُوا وكم جريحٍ عميقِ الجرحِ لم يَمُتْ

١٧- حكاية

استدعى أحد الملوك عابداً لحضرته، ففكر العابد في أن يتناول دواءً فيشربه ليظهر ضعيفاً فيزداد اعتقاد الملك به. وقيل إن الدواء كان قاتلاً فشربه فمات.

قطعة

تَحَسُّبُهُ فُسْتَقَّةٌ لُبًّا بَعِينِ الْمُجْتَلِي إِذَا بِهِ قَشْرٌ عَلَى قَشْرٍ كَرَأْسِ الْبَصْلِ
يَسْتَدِيرُ الْقِبْلَةَ فِي الصَّلَاةِ مِنْ مِرَائِهِ وَوَجْهُهُ مُوجَّهٌ لِلْخَلْقِ مِنْ رِيَائِهِ

بيت

إِذَا الْعَبْدُ لَا يَرْجُو سِوَى اللَّهِ دَاعِيَاً فَلَا يَدْعُ غَيْرَ اللَّهِ إِنْ عَزَّ مُطْلَبُ

١٨- حكاية

أغار جماعة من قطاع الطريق على قافلة كانت تسير في أرض يونان، فسلبوا كل ما تملكه من مالٍ ومتاع، فناحت القافلة وأعوكت وتشفعت بالله ورسوله، فلم يجدها ذلك نفعاً.

بيت

متى نالَ لُصٌّ من سليب مرادةً فهيئات أن يرثي لنوح سليب
 وكان في القافلة لقمانُ الحكيم، فقال له أحدُ المسلوين: ألا تُلقي
 يا سيدي على هؤلاء كلماتٍ من الحكمة والموعظة، فعسى أن يتركوا
 بيدنا بعض ما سلبوه منا، فوا أسفا على هذه النعمة الوافرة التي تضيع
 سُدى. فقال له لقمان: ويا خسارة الكلمة الحكيمة التي تُلقى على
 أمثال هؤلاء.

قطعة

إن الحديد متى أودى به صدأٌ فليس بالصقل تبدو منه آثارُ
 لا يدخلُ الوعظُ قلباً مظلماً أبداً ولا يغوصُ بقلب الصخر مِسْمَارُ

قطعة

بَرَّ المساكينَ إِمَّا كُنْتَ ذا سعةٍ فجبر خاطرهم يُنجي من العطبِ
 واعطف على السائل الشاكي فربّما ألوتَ بمالكٍ قسراً كُفُّ مُغتصِبِ

١٩- حكاية

طالما أمرني شيخي الأجل شمس الدين أبو الفرج ابنُ الجوزي بترك السماع، وكم أشار عليّ بالخلوة والعزلة، فغلبنِي عُنفوانُ الشباب وطلبُ الهوى والهوس، ولقد كنتُ بالضرورة ذاهباً بخلاف رأي المربي، آخذاً بحظي من السماع والمخالطة مع صحبي، وكلما فكرتُ في نصيحة شيخي أقول:

إذا مَعَنَا القاضي تُصَفِّقُ كَفَّهُ فحاسي الطُّلا المِخْمُورُ في يده العِذْرُ
حتى وصلتُ ليلةً إلى مجلس قوم فرأيتُ بينهم مُطرباً.

بيت

تُجَدُّ نياطُ القلب من نقر عوده كصوتِ أبيه وهو يَنحَطُّ في القبرِ
تارةً أصابعُ الإخوان توضعُ في الآذان، وتارةً على الشفاه أن صَه
أيها الحيوان.

شعر عربي الأصل

يُهَاجِ الي صوت الأغاني لطيبه وأنت مُعَن إن سكتَ تَطِيبُ

بيت

لا يرى المرء في سماعك خيراً من سكوتٍ يريحه أو نزوحٍ

رجز

لما سمعتُ صوتَ ذاك العازفِ قلتُ لرب الدار بالله انصفِ
ضع زئبقاً في أذنيّ تُخرقاً أو افتح الباب فما أهوى البقا
والخلاصة أنني وافقت على البقاء رعايةً لخاطر الأصحاب،
وقضيت ليلةً نكراءً إلى أن لاح النهار بكل جهد واكتئاب.

قطعة

بالفجر صاح مؤذنٌ وأراه لم يشعُرُ بطول الليل قبلَ طلوعِهِ
فسلوا إذن عن طوله جَفَنِي فقد أحصى نوائيه بقطرِ دموعِهِ
وفي الصباح حسبَ التبرك حلت عِصَابَتِي عن رأسي وأخرجت
ديناراً من حزامي ووضعتُهما أمام المغني واحتضنته وشكرته كثيراً،
فرأى الإخوانُ مني هذه الحفاوةَ به على خلاف العادة، وحملوا ذلك
مني على خفة عقلي وتضاحكوا خفيةً من فعلي، وأطالَ أحدُهم لسانَ

اعتراضه وابتدرني بالملامة قائلاً: إن هذه الحركة لا تناسب حال العقلاء، وكيف تبذل خرقة الفقراء لمثل هذا المطرب الذي عمره ما وقع درهم في كفه ولا قرصة في دفه.

رجز

مُغْنٍ كهذا لا تُحْلُوهُ دَارَكُمْ فما حل في دار وحل بها السعدُ
إذا ما بدا من حلقه الصوتُ أَرَعِدْتُ فرائص من يُصْغِي له حينما يَشْدُو
فقلت: تلك هي المصلحة، فلا تُطِلْ لسان الاعتراض، ولقد ظهرت
لي منه كرامة. فقال: أطلعني على تلك الكيفية حتى أتقرب كذلك إليه
وأقدم لملاطفته والاستغفار منه. فقلت: إن الشيخ طالما أمرني بترك
السماع ووعظني ببلغ المواعظ فما استقرت بسمعي، وفي هذه الليلة
هداني طالعي الميمون وحظي العظيم حتى بُتُّ على يد هذا المطرب،
وإنني بعد هذه الليلة لا أُجِيز لنفسي السماع ولا مخالطة الرِّعَاع.

قطعة

يؤثر في النفس صدى من مليحة وإن لم يكن في السمع يُلْفَى له وقع
ويكره ممن لا نحب لقاء وإن كان للأوتار في لحينه سجع

٢٠- حكاية

سألوا لقمان الحكيم: ممن تعلمت الأدب؟ فقال: من عديمي،
الأدب؛ لأن كل ما يقع عليه نظري منهم فأراه غير لائق أن يفعل
احترز من فعله.

قطعة

لا ينبسون بحرف مازحين وهل سوى النصيحة ترجى من ذوي الحكم
وليس يلقي جهول سمعه أبداً لواعظ لو حباه حكمة الأمم

٢١- حكاية

حكوا أن عابداً كان يأكل في كل ليلة من الطعام وزن عشرة
(أمان) ويقوم إلى الصلاة، فلا يأتي وقت السحر إلا ويكون قد
ختم القرآن. نسمع به أحد العارفين فقال: لو أنه يأكل نصف
رغيف وينام لكان أفضل له من ذلك العمل الشاق الذي يدل على
الرياء والنفاق.

قطعة

أَخْلَى الْفَوَادَ مِنَ الطَّعَامِ فَإِنَّهُ إِنْ يَخْلُ مِنْهُ بِالْمَعَارِفِ يَمْتَلِي
لَمْ يَخْلُ مِنْ حَكَمِ الْإِلَهِ لَوْ أَنَّه لَمْ يُحَسَّ مِنْ خَبَثِ الطَّعَامِ فَأَقِيلَ

٢٢- حكاية

أَنَارَتِ الْمَوَاهِبُ الْإِلَهِيَّةُ سِرَاجَ طَرِيقِ التَّوْفِيقِ، فَهَدَتْ ضَالًّا فِي يَدَاءِ
الْمَعَاصِي حَتَّى انْخَرَطَ فِي سَلَكِ أَهْلِ التَّحْقِيقِ، فَيُؤْمِنُ صَحْبَةً أَوْلَثَكَ
الْفُقَرَاءُ وَصَدَقَ أَنْفَاسَهُمْ تَبَدَّلَتْ أَخْلَاقُهُ الذَّمِيمَةُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ،
وَقَصُرَتْ يَدَاهُ عَنْ تَنَاوُلِ مُشْتَهَاهِ. فَطَالَتِ أَلْسِنَةُ الطَّاعِنِينَ بِحَقِّهِ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لَمْ
يَتَحَوَّلْ عَنْ أَسْلُوبِهِ الْأَوَّلِ، وَلَيْسَ عَلَى زَهْدِهِ وَصَلَاحِهِ مُعَوَّلٌ.

بيت

تَسْطِيعُ تَهَرُّبُ إِمَّا تَبَتْ مِنْ سَقَرٍ وَمِنْ لِسَانِ الْوَرَى لَا يُمَكِّنُ الْهَرَبُ
وَلَمَّا ضَاقَ ذَرْعًا بِجَوْرِ أَلْسِنَتِهِمْ، شَكَا أَمْرَهُ إِلَى شَيْخِ الطَّرِيقَةِ، فَبَكَى
الشَّيْخُ وَقَالَ لَهُ: بِمَاذَا تَوْدِي شُكْرَ هَذِهِ النِّعْمَةِ إِذْ أَنْتَ أَفْضَلُ مِمَّا ظَنُّوْا.

قطعة

كم ذا تقولُ عدوّي والحقودُ على إظهار عيب امرئ مثلي قد اتّحدا
 إما يقوموا فقتلي نُصبَ عينهما أو يقعدا فلهيني رُبّما قعدا
 كن خيراً عند لؤم القادحين ولا تكن لئماً وتبدو خيراً أبدا
 ولكن انظر إليّ فإن الجميع يُحسنون الظنَّ بي ويعتقدون أنني
 بأعلى درجات الكمال، والحقيقة أنني بأدنى دركات النقصان.

بيت

لو ان ذاك الذي قد قلتَ تفعله لكنتَ حقاً بحسن الطبع تتصفُ

شعر عربي الأصل

اني لمستتر عن عين جيرانى والله يعلم أسرارى وإعلانى

قطعة

قد نُغلق الباب على نفسنا كيلا ترى عيوبنا الأعين
 وليس يجدي غلقه عند مَنْ يعلم ما نخفي وما نعلنُ

٢٣- حكاية

أعلنت شكواي لأحد المشايخ بأن فلاناً شهد علي بأنتي متصف بالفساد. فقال لي: أخجله أنت بعمل الصلاح.

قطعة

كن أنت ذا سيرة في الناس طيبة كيلا يرى فيك نقصاً قاصر النظر
فالعود بالعزف لم تُعرك له أذن إلا إذا اختلت الأنعام بالوتر

٢٤- حكاية

سألوا أحد مشايخ الشام عن حقيقة التصوف: ما هي؟ فقال: كانت
هذه الطائفة في غابر الزمان متفرقة في المبنى مجتمعة في المعنى، أما
اليوم فهي في الظاهر متحدة وفي الباطن متفرقة.

قطعة

لا ترج يوماً صفاء العيش مُختلياً مادام قلبك بالأغيار يشتعل
وأنت في خلوة مادمت مرتبطاً بالله لو بنعيم المُلْك تشغل

٢٥- حكاية

لا أزال أذكر ذات ليلة أننا سرنا مع قافلة طول ليلتنا حتى إذا كان السحر نمنا على طرف غابة. وكان يرافقنا في تلك السفرة رجلٌ مُدَّةٌ مجذوبٌ، فمذ هام في تلك البطاح ما فتر لحظة عن الصباح، فلما وضع النهارُ قلت له: ما هذه الحال التي كنت عليها؟ فقال: رأيتُ البلابل تترنم على الأغصان، وأبصرتُ الحَجَلَّ ينحدر على صوتها من الجبل، وسمعت نقيقَ الضفادع يناجي خَرير الماء، وأصوات الوحوش في الغابة ترن في أذن الجوزاء. فمر بخاطري انه ليس من المروءة أن تذهب في التسبيح تلك العجاواثُ وأسكت أنا سادراً في الغفلات.

قطعة

أمير غنى حتى الصباح صدوح فسي مهجتي وبُلبَلِ حالي
وصديق بمسمعيه ترامى صوتٌ نوحى وكان ثمَّ حيالي
قال ما كنتُ موفناً أن طيراً بات يَرميك هكذا بالخبال
قلتُ: تبغي سكوتَ مثلي وقد سبَّح طيرٌ: فذاك فوقَ احتمالي

٢٦- حكاية

رافقتني في السفر إلى الحجاز طائفةٌ من الشبان أرباب القلوب،

فكانوا بأغلب أوقاتهم يترنمون، أو بأبيات ذات معانٍ دقيقةٍ يتباحثون، وكان معنا في الركب عابداً يُنكر على المتجردين حالهم لغفلته عن لوعة قلوبهم، حتى إذا انتهينا إلى (نخيل بني هلال) خرج علينا غلامٌ أسودٌ من حيٍّ هناك عربي، فصاح صيحةً أوقف بها طيورَ الهواء عن الطيران والماء المنحدرَ عن الجريان، فرأيتُ جملَ العابد رقص به فأوقعه عن ظهره، وشرّد في طريق البادية. فقلت له: أيها الشيخ قد تأثر الحيوان ولم تتأثر أنت أيها الإنسان.

قطعة

أَتَعْلَمُ ماذا قال لي أَمِيسُ بَلْبُلُ أباالعشقي يا مغرورُ هل لك أخبارُ
يُؤَثِّرُ في العيسِ الحداً فتنثشي فإن لَمْ تَذُبْ عِشْقاً فَأَنْتَ حِمَارُ

قطعة

بذكره كُلُّ شيءٍ لاهِجٌ أبداً والقلبُ يفهمُ معناه ويسمعه
ما سَبَّحَ اللهَ فوق الوردِ منفرداً هزارُ دوحٍ بتغريدٍ يُرجّعه
وإنما كُلُّ شوكِ الوردِ أَلْسِنَةٌ لها من الذكرِ والتسبيحِ أَرْوَعُهُ

٢٧- حكاية

لما رأى أحدُ الملوك أن مدةَ عمره قد قاربتْ نهايتها ولم يكن له وارث يقوم مقامه، أوصى بأن يُوضع تاجُ السلطنة على رأس أولٍ داخل عند الصباح من باب المدينة، وأن تُفَوَّضَ له أمورُ المملكة. واتفق أن أولَ من دخل مُتسولٌ كان طولُ عمره يجمع قوته لقمةً فلقمةً وكساءه خرقه فخرقة. فنقذ أركانُ الدولة وأعيانُ المملكة وصيةَ الملك، ففوضوا إليه المُلكَ والخزائنَ، وأطاعوا أمره، فقام بإدارة المملكة مدةً من الزمن، ولكن بعضُ أمراء الدولة خلعت عن أعناقها ربْقَ طاعته، وملوك الأقطار المجاورة قامت لمنازعته، وجهزت العساكر لمقاومته. وصفوة القول أن الجندَ والرعية قلبتْ له ظَهَرَ المجنِّ، وخرج قسم غير قليل من بلاده عن قبضة تصرفه، فأصبح ذلك المسكين مشتت الأفكار، مجروح الفؤاد مما حل به.

وفي تلك الأثناء عاد من السفر درويشٌ كانت تربطه وإياه صداقة قوية في أيام الفاقة، فرآه في تلك المتزلة الرفيعة. فقال له: المِنَّةُ لله عزوجل أن كان السعدُ قائدك، والإقبالُ رائدك، حتى خرج وردك من شوكٍ ذلك، وشوكُ الحفا زال من رِجْلِكَ، فتسنمت ذروة العرش الرفيع، فإن مع العسر يسراً، إن مع العسر يسراً.

بيت

تَعْرِى من الْوَرَقِ الْأَشْجارُ آوَنَ والزهرُ في الروض يزدهرُ
فقال له الملك: أيها الأخ إن التعزية في هذا المقام أَلَيَقُ من التهنئة،
ألا ترى أنَّ همي في ذلك الحين رَغِيْفٌ خَبِرَ أَسَدٌ به رمقي، وأما اليوم
فإنَّ سَقَمي من كل ما في هذه الدنيا.

قطعة

تُلَوِّعنا الدنيا إذا لم تواتنا وإن هي واتتنا ففي حُبها السُّمُّ
فما فتنةٌ منها أشدَّ على الوريِّ بلاء وكلتا حالتِها لنا هُمُّ

قطعة

إذا رمت الغنى فحذارِ تبغي سؤى مُلْكِ القناعة في الوجودِ
وإن نثر الغنيُّ الثَّبرَ نثرًا فلا تحسبه عن كرم وجودِ
فما بذلُ الغني كصبرِ ثاوٍ على الرمضاء في دنيا الجدودِ

٢٨- حكاية

كان لأحد الناس صديقٌ من عمال الديوان انقطع عن رؤيته ردحاً من الزمن. فقال له شخص: إنك لم تر فلاناً منذ أمد بعيد. فقال: أنا لا أود أن أراه. وكان أحد أخصاء العامل حاضراً، فقال له: ما الخطأ الذي عمله حتى مللتَ رؤيته؟ فأجاب: ماله أي خطأ، ولكن الصديق المتعلق بالديوان لا يُشاهد إلا إذا عزل، ولا يليق بي أن أتعبه لراحة نفسي.

قطعة

في كراسي حكمهم وغناهم لا يرى ظلهم أخ في الطريق
وإذا ما مُنوا بعزلٍ وعجزٍ أظهروا داءَ قلبهم للصديق

٢٩- حكاية

كان أبو هريرة رضي الله عنه يأتي على الدوام لخدمة المصطفى ﷺ، فقال له: يا أبا هريرة زُرني غباً تزددُ حباً. يعني لا تأتِ إليّ كل يوم لترداد محبتك عندي.
لطيفة: قال ناس لأحد العارفين: إن الشمس مع حسنها الباهر لم

نسمع أن أحداً عشقها. فقال: بسبب أنها في كل يوم تمكن مُشاهدتها،
إلا في الشتاء فإنها تكون محجوبة ومحجوبة.

قطعة

لا عيب في أن تزور الخيل مفتقداً وإنما العيب في الإكثار فاقصد
إن لمت نفسك تبغي كبح شهوتها فلست تسمع عنها اللوم من أحد

٣٠- حكاية

استدار ربح بأمعاء أحد الكبراء وما ملك القدرة على ضبطه،
فصدر عنه بدون اختياره، فقال لجلسائه: أيها الإخوان إن ما حدث مني
لم يكن عن اختياري، فوزرته إذن لم يكتب عليّ، وقد وصلت منه راحة
إلي فتكرموا أنتم أيضاً واقبلوا معذرتي.

قطعة

أبطن سجنُ الرّيح يا ذا الحجا والريح لا يحبسه عاقلُ
حملُ على القلب فلا تُبقِه إن دار بالأمعاء يا حاملُ

بيت

إن راح يوماً ثقیلاً عنك مرتحلاً فدعّه يمض ولا تمدد إليه يدا

٣١- حكاية

اعتراني مللٌ من صحبة إخواني في دمشق، فخرجتُ هائماً على وجهي في بادية القدس، وأنستُ بصحبة الوحش بعد صحبة الإنس، ولكنني وقعتُ أسيراً بيد الإفرنج، فأصبحتُ أشتغل بالطين مع اليهود في خندق طرابلس، حتى مرَّ بي أحد رؤساء حلب وكان بيننا سابقُ معرفة، فقال لي: ما هذه الحال، وكيف صرتَ إلى هذا المآل؟ فقلت:

قطعة

هربتُ إلى الصحراء عن صحبة الوري إلى الله لا أبغي سواء أنيساً
تصوّر بهذا الوقتِ ما هي حالتي مع البهائم في الإسطبل صرت حبيساً

بيت

الرجلُ في القيد عند الأصدقاء ولا رياضةٌ في جنانٍ عند أعدائي

فرحمني ورقّ لحالي واقتداني من أسر الفرنجة بعشرة دنانير
وأخذني معه إلى حلب. وكانت له ابنة فعقد لي نكاحها بمائة دينار،
وبعد أن بُنيتُ بها، ظهر لي أنها سيئة الطبع مجبولة على العناد، مخلوعة
العنان، سليطة اللسان، فنَغَصْتُ عليَّ عيشي، وكأنا عناها الراجز بقوله:
سَيِّئَةُ الْخُلُقِ بَدَارِ الْخَيْرِ جَهَنَّمُ مِنْ قَبْلِ يَوْمِ الْمَحْشَرِ
حَذَارٍ مِنْ أَمْثَالِهَا حَذَارٍ وَقُلْ: قِنَا رَبِّ عَذَابِ النَّارِ
وَذَاتَ مَرَّةٍ أَطَالَتْ بِي لِسَانَهَا وَاسْتَمَرَّتْ تَقُولُ: أَلَسْتُ أَنْتَ ذَاكَ
الَّذِي اشْتَرَاكَ أَبِي فَأَعْتَقَكَ مِنْ قَيْدِ الْفَرَنْجَةِ بِعَشْرَةِ دَنَانِيرٍ؟ فَقُلْتُ: بَلَى هُوَ
الَّذِي اشْتَرَانِي بِذَلِكَ الْمَقْدَارِ، وَلَكِنَّهُ أَوْقَعَنِي بِأَسْرِ يَدَيْكَ بِمِائَةِ دِينَارٍ.

قطعة

رَأَى سَيِّدُ كِبْشَا بِأَنْيَابِ أَطْلَسٍ فَخَلَّصَهُ عِنْدَ الْأَصِيلِ مِنَ الْكَرْبِ
وَعِنْدَ الْمَسَا سَمَّى وَأَزْهَقَ رَوْحَهُ فَصَاحَتْ، وَقَدْ طَارَتْ إِلَى اللَّهِ: مَا ذَنْبِي
أَيَا مَنْقَظِي مِنْ مَخْلَبِ الذُّبِّ رَحْمَةً لَقَدْ عَدْتُ عَقَبَى الْأَمْرِ مِنْ شَقَوَتِي ذَنْبِي

٣٢- حكاية

سأل أحد الملوك عابداً: كيف تقضي أوقاتك العزيرة؟ فقال:

أَقْضِيَ اللَّيْلَ كُلَّهُ بِالْمُنَاجَاةِ، وَالسَّحَرَ بِالدَّعَاءِ وَالْحَاجَاتِ، وَعَامَةً النَّهَارِ
بِقَيْدِ الْإِخْرَاجَاتِ. فَأَمَرَ الْمَلِكُ بِأَنْ يُعَيَّنَ لَهُ عَلَى وَجْهِ الْكَفَافِ مَقْدَارٌ مِنْ
الْمَالِ لِيُخَفِّفَ عَنْ قَلْبِهِ أَثْقَالَ هَمِّ الْعِيَالِ.

قطعة

أَيُّهَا الْمَبْتَلَى بِهِمَّ الْعِيَالِ أَطْلُقِ الْفِكْرَ مِنْ قِيودِ الْخِيَالِ
هَمَّ رِزْقِ الْعِيَالِ كَمْ عَاقَ فِي السَّيْرِ رَ مُرِيداً لَدَى مَرَاقِي الْكَمَالِ
بِنَهَارِي أَقُولُ: إِنْ جَنَّ لَيْلِي فَسَاحِيهِ فِي هَوْنِ ذِي الْجَلَالِ
وَإِذَا اللَّيْلُ جَنَنِي كَانَ هَمِّي «بِصَاحِي مَاذَا أَقُوْتُ عِيَالِي»

٣٣- حكاية

رُويَ أَنَّ أَحَدَ الْمُتَعَبِّدِينَ فِي دِيَارِ الشَّامِ عَكَفَ عَلَى الْعِبَادَةِ فِي غَابَةِ
سَنِينَ طَوِيلَةٍ، وَكَانَ يَتَغَذَّى بِأَوْرَاقِ الْأَشْجَارِ، فَتَوَجَّهَ لَزِيَارَتِهِ مَلِكٌ
تِلْكَ الْجِهَةِ وَقَالَ لَهُ: إِذَا رَأَيْتَ مِنَ الْمَصْلُحَةِ أَنْ تُهَيِّئَ، لَكَ مَقَاماً
فِي الْمَدِينَةِ أَمَرْنَا بِتَنْفِيزِ مَا تَرِيدُ؛ لِأَنَّ تَفَرُّغَكَ لِلْعِبَادَةِ فِيهَا أَيْسَرُ
عَلَيْكَ، وَتَكُونُ النَّاسُ عِنْدَكَ قَدْ اسْتَفَادَتْ مِنْ بَرَكَاتِ أَنْفَاسِكَ
وَاقْتَدَتْ بِصَالِحِ أَعْمَالِكَ. فَلَمْ يَقْبَلِ الزَّاهِدُ كَلَامَ الْمَلِكِ. فَقَالَ لَهُ

أركان الدولة: نرى من المصلحة أن توافق على ما رغب فيه الملك فتقيم بالبلد أياماً وترى مقامك بها، فإن استقام لك فهو المطلوب، وإن رأيت أن صفاء وقتك العزيز تكدر من صحة الأغيار فعندئذ يكون لك في نهاية الأمر الخيار، فقل إن العابد صدع بالأمر وانحدر إلى المدينة، فهياؤا له بستاناً حول قصر الملك الخاص بغاية الزينة، فكان مقاماً يبهج النفوس ويسر القلوب، فكأنه جنة الفردوس، كما قيل فيه:

شعر

سنبله غداً تُرسلُ وأرسلتُ وورده مثل خدود الحسان
كلاهما من خوف (برد العجوز) ما ارتضعا من ثدي غيث ليلان

شعر عربي الأصل

وأفانينُ عليها جلنارُ علقت بالشجر الأخضر نارُ
وأرسل إليه الملك في الحال جاريةً بديعةً الجمال.

قطعة

فتاةٌ كحسنِ البدر فتنةٌ عابِدٍ بزينةِ طاووسٍ وطُهرِ ملائِكِ
إذا ما بَدَتْ للزاهدينِ تخاذلوا عن الصبرِ أو طاحوا بغيرِ حراكِ
وأرسل إليه على أثرها غلاماً بديع الجمال لطيف الاعتدال.

شعر عربي الأصل

«هلك الناس حوله عطشاً وهو ساق يرى ولا يسقي»
ليس تروى عيون ناظره كُفُراتٍ حلا لمستسقي
فأخذ العابد يأكل الطعام الشهوي ويلبس الكساء البهي ويتمتع بحلاوة
الثمار ويستشوق غير الأزهار ويتملى جمال الجارية والغلام، وقديماً قال
العقلاء: صُدغ الجميلة زنجير ساق العقل الخَطَر وفخ طائر القلب الحذر.

بيت

صرفتُ عقلي وديني في هواك وقد أصبحتُ فحاً لقلبي الطائر الحذرِ
وحاصل القول أن دولة زهده آذنت شمسها بالأفول كما قيل.

قطعة

كم من مريدٍ وذِي نَسكِ ومجتهدٍ وواعظٍ ذِي بيانٍ طاهرٍ النَّفْسِ
لَمَّا بَدَنِيَا الدَّنَايَا رَاحَ مَنْغَمَساً أَمْسَى (كَنَحْلٍ جَنَى) بِالشَّهَدِ مُنْغَمِسٍ

وَذَاتَ مَرَّةٍ رَغِبَ الْمَلِكُ فِي مَشَاهِدَتِهِ، فَرَأَاهُ قَدْ تَغَيَّرَ عَنْ حَالَتِهِ
الْأُولَى، فَقَدْ عَادَ أَبْيَضَ سَمِيناً مُشْرِباً بِالْحَمْرَةِ، وَالْأَفَاهُ مَتَكِّئاً عَلَى وَسَادَةٍ
مِنَ الدِّيَاجِ وَغِلَامٍ أَحْوَرُ الطَّرْفِ مَلَائِكِي الطَّلَعَةِ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِهِ يَرُوحُ
لَهُ بِمَرْوَحَةٍ طَاوُوسِيَّةٍ، فَسَّرَ الْمَلِكُ كَثِيراً مِنْ حَسَنِ حَالِهِ، وَأَخَذَ يَتَفَنَّنُ
مَعَهُ بِالْحَدِيثِ وَيَفْتَحُ لَهُ أَبْوَاباً مِنَ النُّوَادِرِ، حَتَّى قَالَ فِي نَهَايَةِ الْكَلَامِ: أَنَا
أُحِبُّ مِنْ دُنْيَايَ هَاتَيْنِ الطَّائِفَتَيْنِ، الْعُلَمَاءَ وَالزُّهَّادَ. وَكَانَ فِي الْمَجْلِسِ
وَزِيرٌ فِيلَسُوفٌ مَجْرَبٌ، فَقَالَ أَيُّهَا الْمَلِكُ، شَرَطُ الْمَحَبَّةِ أَنْ تَفْعَلَ
مَعْرُوفاً مَعَ كِلْتَا الطَّائِفَتَيْنِ. فَقَالَ الْمَلِكُ: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: أَنْ تُعْطِيَ
الزُّهْبَ الْعُلَمَاءَ حَتَّى يَسْتَعِينُوا بِهِ عَلَى التَّحَرُّكِ بِالْعِلْمِ، وَأَلَّا تُعْطِيَ الزُّهَّادَ
شَيْئاً حَتَّى يَبْقُوا عَلَى زَهْدِهِمْ.

بيت

أَخُو الزَّهْدِ لَا يَبْغِي لُجِيناً وَعَسْجَداً فَإِنْ رَامَهُ فَاطْلُبْ سِوَاهُ أَخَا زَهْدٍ

قطعة

لِفَاضِلِ الْأَخْلَاقِ مَا إِنْ يُبْتَغَى خَبَزَ الرِّبَاطُ وَلَقَمَةُ الْمَتَسَوِّلِ
وَكَذَلِكَ الْحَسَنَاءُ لَيْسَ يَزِينُهَا فِي عَيْنِ عَاشِقِهَا التَّجْمُلُ بِالْحُلِيِّ

٣٤- حكاية

مما يطابق هذا الكلام أن ملكاً عَرَضَتْ لَهُ مهمة، فقال: إذا جاءت في النهاية على حسب مرادي فسأعطي الزهَادَ مقدارَ كذا من المال. فلما قضيت لزمه الوفاء بالندَر، فأعطى عبداً من خاصته كيساً من الدراهم وقال له فَرَّقْ ما فيه على الزهَاد. وقيل إن الغلام كان عاقلاً لیبياً فمضى طول نهاره، ولما كان المساء عاد ومعه الكيس فقبَّله ووضعهُ بين يدي الملك وقال: ما وجدت زاهداً. فقال الملك: ما هذه الحكاية؟ إنني أعرف في هذه البلدة اربعمئة زاهد. فقال الغلام: يا ملك الزمان، الزاهد لا يقبل النقود، والذي يقبل النقود ليس بزاهد. فتبسم الملك وقال لندمائهُ: على قدرِ إِذْعَانِي ورغبتِي في هذه الطائفة من العَبَاد قد استولت على هذا الوقع فيهم العداوة والزهادة، ولكن مع كل هذا فالحق معه.

بيت

إذا ما رأيتَ المال في يد زاهدٍ فدعْ نَهْجَهْ واطلبْ سواءَ أخا زُهْدِ
سألوا أحدَ العلماءِ الراسخين: ماذا تقول بجماعة على خبز الوقف
مجتمعين؟ فقال: إذا أخذوه ليستعينوا به على التفرغ للعبادة فهو حلال،
وإن كان ليس إلا لأكله فلا أُفتي بحله.

بيت

يُطلبُ الخبز للعبادة والعكس مشين بسمعة العقلاء

٣٥- حكاية

وصل درويش إلى مُتَدَيِّ صاحبه كريم النفس رفيف الحس لديه
جماعة من ذوي الفضل والبلاغة، وكل منهم يُبدي نكتة لطيفة أو
يتندَّر بفكاهة ظريفة على رسم الأدباء وقاعدة الظرفاء، وذلك البائس
لم يسترخ بعدُ من وَعْثاء السفر، وقد ألهب أحشائه الجوعُ وأعباه
اللَّغَب. فخطبه أحدهم بطريق الانبساط: ألا ترى أنتَ كذلك أن

تُتحفنا بشيء مما عندك؟ فقال: لست من فرسان هذا الميدان، وما لي
كغيري بلاغة ولا بيان، فأرجو أن تكتفوا مني بهذا البيت. فأجابه
الجميع قُلْ، فأنشد:

قد ألهب الجوع أحشائي وسفرتكم من فوقها الخبزُ محفوفٌ بألوانٍ
فحالتني معكم قد أشبهتُ عزباً لا يبرحُ البابُ في حمامِ نسوانٍ

فاستحسنوه ووضعوا المائدة بين يديه. فقال له صاحب الدعوة:
أيها الصديق تمهل قليلاً فإن عييدي يهيئون الشواء، فأطرق الفقير ملياً
وقال:

بيت

ما لمثلي وما لأكل الكبابِ أنا بالخبزِ قانع يا صاحبي

٣٦- حكاية

قال مريدٌ لشيخه: إنني متضايقٌ من كثرة زيارة الخلق لي، وإن
أوقاتي الثمينة ضاعت لاستمرارهم بالتردد عليّ، فأجابه أقرض فقيرهم
واستدين من غنيهم يَنْفُضُوا من حولك فلا تجد منهم أحداً.

بيت

لو أَنَّ عسْكَرَ إِسْلَامٍ تَقَدَّمَه شَحَاذُ فَرِّ الْعَدُوِّ مِنْهُ إِلَى الصِّينِ

٣٧- حكاية

قال فقيه لأبيه: إن كلمات الوعاظ الآخذة بمجامع القلوب لا تُؤثّر في نفسي أصلاً، وذلك لأنني لا أرى أفعالهم توافق أقوالهم، كقوله تعالى ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾.

رجز

أَتَأْمُرُ النَّاسَ بِتَرْكِ الدُّنْيَا وَتَكْنِزِ الْمَالِ لَكَيْمًا تَغْنَى
فَعَالِمٌ يَقُولُ مَا لَا يَفْعَلُ عِنْدَ امْرِئٍ أَقْوَالُهُ لَا تُقْبَلُ
مَنْ وَعَظَ النَّفْسَ فَذَاكَ الْعَالِمُ وَمَنْ لَغَا بِالْقَوْلِ فَهُوَ الْآثِمُ

بيت

هيهات يُمسي دليلاً في طريق هُدى من بات بالجسم لا بالنفس ينشغل

فقال الأب: أي بني لا يجوز لمجرد هذا الخيال الباطل أن تُعرض
 بوجهك عن تربية الناصحين وتسلك طريق البطالة، وتنسب العلماء الى
 الضلالة، فإن من طلب العالم المعصوم عاش وهو من فوائد العلم
 محروم، فمثله كمثل ذلك الأعمى الذي وقع ذات ليلة في الوحل،
 فقال: أيها المسلمون ضعوا سراجاً في طريقي، فسمعت امرأة فاجرة
 فقالت له: أنت لا ترى السراج فبالسراج ماذا ترى. وهكذا مجلس
 الوعظ كحوائيت البرازين، ما دمت هناك لا تُعطي النقد لا تستلم
 البضاعة، وهنا ما لم تبذل الارادة لا تنال السعادة.

قطعة

إسمع بروحك نصح الواعظين وإن يُخالفوا ما نهوا عنه وما أمروا
 فباطل ما أدعاه المدعون وهل بنائم غافل تستيقظ البشر
 وإن ذا اللب يلقي في مسامعه قول النصيح وإن زينث به الجدر

حكاية منظومة

جاء ذو نهية لمدرسة العلم سم وعاف الرباط والنساکا
 قلت ما بين طالب ومريد أي فرق حتى تخيرت ذاکا
 قال ذاك النجاة يبغي من المو ج وذا للغريق يلقي الشباکا

٣٨- حكاية

غلب السكر على شخص فنام على قارعة الطريق، وقد خرج عن حد اعتداله وأُفِلَّت من يده زمام اختياره، فمر عليه عابد واستقبح حالته، فرفع الشاب إليه رأسه وقال: ﴿وإذا مروا باللغو مروا كراماً﴾.

شعر عربي الأصل

إذا رأيت أثيماً كن ساتراً وحليماً يا من يُقبح لغوي لِم لا تمرُ كريماً

قطعة

لا تُعرِضَنَّ عن الأثيم أخا التقى وامنن عليه بنظرة وتعطفُ
إلا أكنُ في الخيرين لِشِقوتي فعليَّ مرٌّ كخيرٍ وتَلَطَّفُ

٣٩- حكاية

ألح طائفة من الخلعاء على درويش بالإنكار، وآذوه بما لا يليق بحق أمثاله من الأبرار، فشكا ما ناباه من أولئك الزناديق الى شيخ الطريق، فقال له: أي بني، خِرقة الفقراء هي ثوبُ الرضا بما حكم به

القضاء، فمن لم يتحمل مع كسوته ما نفذت به الأحكام، فخرقة
التصوف عليه حرام.

بيت

أَتُكَدِّرُ الْبَحْرَ الْخِضَمَّ حِجَارَةً فَإِذَا أَلِمْتَ فَأَنْتَ حَوْضٌ نَاضِبٌ

قطعة

تَحْمَلُ إِذَا أُودِيَتْ وَاعْفُ فَإِنَّمَا سَتُجْزَى عَنِ الْعَفْوِ الْجَمِيلِ ثَوَاباً
إِذَا لَمْ يَكُنْ بُدٌّ بِأَنَّكَ صَائِرٌ تُرَاباً فَكُنْ لِلْعَالَمِينَ تُرَاباً

٤٠- حكاية منظومة

إسمع حواراً طريفاً قد جرى قدماً	بين الستارة في بغداد والعلم
سما إليها على عتب وقال لها	مما يعانيه في الأسفار من ألم
أنا وأنتِ كلانا عبدُ سيده	وعند سلطانه من جملة الخدم
لم أسترح ساعة من خدمتي فإذا	أقامَ جندُ الحمى في السلم لم أقيم
وأنتِ لم تعرفي دُلَّ الحصار ولا	زعازعَ البيد والإدلاج في الظلم

بالسَّعي لي قدُمُ سِباقةٍ فلِما أُفِرِدَتِ بالعزِّ دوني داخلَ الحرمِ
 في القصرِ أنتِ مع الولدانِ عابِقةٌ بالياسمينِ وبين الحورِ في نِعمِ
 وها أنا بيد الغلمانِ مُضطربُ في القيدِ رجلي ورأسي في يدِ العدمِ
 قالت تواضعتُ بل نكَّستُ في أدبِ رأسي ورأسك سام في الذُرَى فهِمِ
 وكل مستكبر في غير مَقْدرة يلقى الهوانَ فعش ما عشت في سأمِ

٤١- حكاية

رأى أحدُ العارفين رجلاً (من المتمرنين على حمل الأثقال)
 مكفهرَ الوجه، واضعاً يده على خده وقد استشاط غضباً.
 فقال: ما شأن هذا؟ فأجابه أحدُ الحاضرين: شتمه فلان.
 فقال: هذا الدنيءُ يحمل ألف رطل من الحجارة ويعجز عن
 تحمل كلمة.

قطعة

بِجُمعِ كَفك لا تَفخرِ فَقوَّتُه لَيْسَتْ تَميِزُ لَكَ الأُنثى مِنَ الذَكَرِ
 إن رَمَتْ فَضلاً فَكُنْ عَذبُ الحَدِيثِ فَمَا فَضْلُ المَلاَكِمِ فِي الدُنْيا عَلى البَشَرِ

قطعة

إذا ما صدمت الفيل أوفقت وزنه فليست بإنسانٍ خليقٍ باكباري
من التراب خلقُ الآدمي وطبعه فلا تكنُ تُزياً فأنت من النارِ

٤٢- حكاية

سألوا أحد الكبراء عن سيرة إخوان الصفاء، فقال: الناقص هو
الذي لا يُقدِّم رغبة الصديق على مصالح نفسه، فالحكماء قالوا: الذي
يُقَيِّدُ سعيه بخاصة نفسه لا يُعدُّ أخاً ولا صديقاً.

بيت

إذا ما امرؤ بالأمر يعجل فاقله ولا ترتبط إلا بمن ليس يعجلُ

قطعة

إذا ما قريبٌ في الخصومة لم يكن ليرقب إذ يؤذك ديناً ولا تقوى
فلا تصطحبه واقطع الرحم التي شقيت بها واهجر مودة ذي القربى

وأذكر أن أحد المدعين اعترض على قولي في هذا البيت، فقال:
الحق جل وعلا نهى في كتابه المجيد عن قطع الرحم وأمر بمودة ذي
القربى، وما قلته مناقض لذلك. قلت: إنك واهم فإن ما قلته موافق
للقرآن. قال الله تعالى ﴿وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك
به علم فلا تطعهما﴾.

بيت

الغريب القريب من رحمة الله يُفدَى بألف خلٍ بعيدٍ

٣٤- حكاية منظومة

ظريفُ مسنٌ كان أنكح بنته	بيغداد إسكافاً يُنسِلُها الولدا
فصادف أن قد كان فظاً فعصّها	دعاباً فأدمى مرشفاً يشبه الورد
فهاهنا أباهما حين أصبح ما رأى	فراح مغيظاً مُحَنَقاً يسأل الوغدا
أيا فسل قل ما ذلك السنُّ واعترف	بأن الذي قد لكته لم يكن جلدًا
وما قلتُ هذا القول مزحاً كما ترى	فدع عنك مزحاً لم يفد وخذ الجدا
لئن كان قبجُ الطبع فيك سجيةً	فليس ليمحى أو يوسدك اللحد

٤٤- حكاية

كانت لفقيه ابنة بغاية الدمامة، وقد عَنَسْتُ وما رغب أحد في
نكاحها مع وجود جهازها ووفرة نعمتها.

بيت

أرى الديقيَّ والدياج ضائعةً على العروس اذا ما فُبِحَها اشتهرًا
غير أن أباهَا عقد - بحكم الضرورة - نكاحها على ضرير. وقيل إنه
حضر بذلك التاريخ طيبٌ من (سَرنديب) اشتهر بإنارة أعين العمي، فقال
ناس للفقيه: لماذا لا تعالجُ صهرَكَ عنده؟ فقال: أخشى انه متى رأى وجه
ابنتي أن يطلقها. فخير للمرأة الدمية أن يكون زوجها أعمى.

٤٥- حكاية

نظر مَلِك إلى طائفة من الصوفية بعين الاحتقار، فأدرك أحدهم منه
ذلك بالفِراسة، فقال: أيها الملك، نحن في هذه الدنيا أقلُّ منك جيشاً
وأهناً عيشاً، وأنا وإياك في الموت سواء، وفي يوم القيامة أفضل منك
عند الله. وأنشد:

قطعة

سوى الخبز لا يُلْفَى لأعظم فاتح ولا لفقير إن تأملتَ مَطْلُبُ
وليس من الدنيا لمن ماتَ منهما سوى كفنٍ والموتُ ما عنه مَهْرُبُ
وما دمتَ تبغي المُلْكَ سهلاً موطأً فلا تبغِ عرشاً إنَّ فقرَكَ أَطْيَبُ

فشعار الصوفية الظاهر ثوبٌ مرقعٌ وعباءةٌ من الصوف، وأما
شعارهم الحقيقي فقلْبٌ حَيٌّ بالأذكار ونفسٌ ميتة بالانكسار.

قطعة

يا من على باب دعواه أقام وإن رأى من الناس نقداً ثار معتدياً
لو جِدَّتْ عن حَجَرٍ من رأس شاهقة هوى لما كنتَ للعرفان منتهياً

وطريق الصوفية الذكر والشكر والطاعة والإيثار والقناعة والتوحيد
والتوكل والتسليم والتحمل، فكل من اتصف بهذه الصفات فهو
بالحقيقة صوفي وإن كان في الظاهر ذا لباس فاخر، وأما المولع
بالهذيان المتهاون بالصلاة العابدُ هوَ الشاغل نفسه بالعُتْبِ والهوس
الذي يَصُلُّ نهاره بليله منغمساً بالشهوات ويصل ليله بنهاره مستغرماً

بالغفلات، يَلْتَهُمْ كُلُّ ما يَقَعُ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ حَلالٍ أَوْ حَرَامٍ، وَيَنْطِقُ بِما يَجْرِي عَلَى لِسَانِهِ مِنْ فَاوَرِغِ الْكَلَامِ، فَذاكَ هُوَ الْفاسِقُ الْخَلِيعُ وَإِنْ التَفَّ بَعاءَ تِهْ وَتَسْتَرَّ بِدَرَّاعَتِهِ.

قطعة

يا من خلا من حساب النفس باطنه ويات ظاهره بالغش معموراً
اخلع لباساً كطيف الشمس صبغته واطوِ الحصيرَ الذي في الدارِ منشوراً

٤٦- حكاية منظومة

على قبة باقات ورد رأيته وقد ربطت بالشعب ربطاً مُحْكَمًا
فقلت: وهل للعُشبُ قدرٌ وقيمةُ فيجلسَ في صفِّ الزهورِ مَكْرَمًا
فقال: اتنِّدْ وانْهَلْ واكفُ دمعهُ ولا تنسَ لي فضلَ انتسابي فأظْلَمًا
إذا لم أظب عَزْفاً وحُسناً ومنظراً ولم أَكْ زرعاً في الجنانِ مُقَوِّمًا
فإني لَعَبْدٌ للكريمِ وطالما بآلائهِ العظمى رَبِيتُ مُنْعَمًا
سواء إذا لم أدرِ أو كُنْتُ دارياً فإن رجائي فيه أن لستُ أحرماً
ومع كل ذالٍ رأسُ مالي من التقى ولم أَجْنِ بالطاعاتِ ما عشتُ مُغْنَمًا
إذا انقطعت سبيلُ النجاةِ فإنه لطيفٌ بحالِ العبدِ إن هُوَ أَجْرَمًا
ومن عادةِ الأسيادِ عتقُ عبيدها متى لَفَعَ الفودَّ المشيبُ وعمماً

فيا مُبْهَج الدنيا بأنوار لُطفه على عبدك الشيخ الضعيف تَكْرِما
ويا (سعدُ) فاستهدي إلى منهج الرضا ولا تسلكنْ نهجاً سواء فتحرماً
فما كانَ أشقى من لَوْنٍ عنه رأسه ففي غير هذا النهج يقتلك الظَّما

٤٧- حكاية

سألوا حكيماً: أيهما أفضل السخاء أم الشجاعة؟ فأجاب: كل من
وُجد في طبعه السخاء فليستْ به حاجةٌ إلى الشجاعة.

بيت

بقبر بهرام خَطُوا سطرًا بصافي اللُّجين الجودُ بالكف خيرٌ من قوة الساعدين

قطعة

لم يبقَ حاتمٌ حياً في الوجود وقد أحيا اسمَه الجودُ بين العُجم والعربِ
فزكَّ مالكَ إنَّ الكرمَ يُصلِّحُه الـ تَقْلِيمُ حتى يُرينا أطيَبَ العِنَبِ

الباب الثالث:

في فضل القناعة

١- حكاية

كان سائلٌ مغربي ينادي بسوق البزازين بحلب: يا أرباب النعمة
لو أنكم كنتم منصفين وكنا نحن قانعين لارتفع رسم السؤال
من الدنيا.

قطعة

دعوتك يا كنز القناعةِ فاغنني أيا بلُسمًا ما مثله لكليم
قد اختارَ كنز الصبر لقمانَ حِكْمَةً فَمَنْ ليسَ ذا صبرٍ فغيرُ حَكِيمٍ

٢- حكاية

كان في مصرَ ولدا أميرٍ عكفَ أحدهما على طلب العلم، والآخر على جمع المال، فذاك أصبح علامة الدهر، وهذا صار عزيز مصر، وكان الغني ينظر إلى الفقير بعين الاحتقار ويقول: أنا وَصَلْتُ إلى السلطنة وَأَنْتَ بَقِيتَ في الدَلِّ والمسكنة. فقال له الفقير: أيها الأخ هذه نعمة من الله تعالى يجب عليَّ شكرُها حيث وَجَدْتُ ميراثَ الأنبياء «يعني العلم» وَوَجَدْتُ أَنْتَ ميراثَ فرعونَ وهامان «يعني مُلْكُ مصر».

قطعة

كنملةٍ أنا تُؤذي وهي غافلة ولم أكن عقرباً تؤذي فتنبجرُ
فكيف لي أنْ أوفي شكرَ ذي نِعَمٍ إن لم أُطِقْ حملَ ما تُؤذي به البشرُ

٣- حكاية

سمعت أن درويشاً احترق بنار الفاقة وخاط ثوبه خرقَةً على خرقَةٍ، وكان على الدوام يُسلي نفسه بهذا (البيت):
بالدلق مع يابس الخبز اقتنع أبداً واحمل جفاك ولا تحمل جدا بشرٍ

فقال له شخص: ما قعودك على ما أنت فيه وفلان في هذه البلدة ذو طبع كريم وفضل عميم، قد شدَّ وسطه لخدمة الأحرار، وجلس على باب إرادتهم، فلو اطلع على حقيقة حالك لما تأخر عن مراعاة خاطرك العزيز قبل سؤالك، فقال له: اسكت فإن الموت بالفقدان خير من عرض الحاجة أمام إنسان. لأنهم قالوا:

قطعة

خَطُّ رُقْعَةٍ فَوْقَ أُخْرَى إِنْ عَرِيتْ وَلَا تَخُطُّ يَوْمًا لِمَلِكٍ رُقْعَةً أَبَدًا
فَكَا لِحَجِيمٍ عِقَابًا لَا نَظِيرَ لَهُ بَأْنَ تَمَدَّدَ لِحَارٍ فِي النِّعِيمِ يَدَا

٤- حكاية

أرسل أحد ملوك العجم لخدمة المصطفى طيباً حاذقاً، فلبث عدة سنين في بلاد العرب وما أتى عنده أحد لتجربة ولا قصده إنسان لمعالجة، فجاء في أحد الأيام أمام سيد الأنام وشكا إليه قائلاً: إني كنت مُرْسَلًا لمعالجة الأصحاب وفي كل هذه المدة ما التفّت إليّ أحد أصلاً حتى أقوم بأداء ما عليّ من الخدمة. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن طريقة هذه الطائفة ألا يتناولوا شيئاً من الطعام ما لم

يغلبهم الاشتهاؤُ اليه، وأن يرفعوا أيديهم عنه قليل استكمالِ شهوتهم منه. فقال الطيب: هذا هو سببُ العافية. وقبّل الأرض بين يديه وانصرف.

رجز

لا يبتدي الحكيم بالقول ولا بطرفِ الأصبع يبغي المأكلا
إلا اذا بصمته نقصاً يرى أو من زهيد الأكل يلقى الضرا
عندئذ من قوله تبدو الحكم والأكل يُنجي نفسه من السقم

٥- حكاية

كان شخص يكثر التوبة ثم يعود فينقضها. فقال له أحد المشايخ:
مما لا أشك فيه أن عادتك أن تأكل كثيراً. وقيدُ النفس «يعني التوبة»
أدقُّ من الشعرة، فكلما سمّنت نفسك تقطّع زنجيرها من الضيق،
وسياتي يوم يكون لك فيه التمزيق.

بيت

ربّي امرؤ جرو ذئبٍ من جهالته وحين أصبح ذئباً فاتكأ أكله

٦- حكاية

ورد في سيرة ازدشير بن بابك أنه سأل طبيباً عربياً: ما مقدارُ الطعام الذي يلزم للتغذية في اليوم الواحد؟ فقال له الطبيب: يكفي وزنُ مائة درهم. فقال ازدشير: هذا المقدارُ ماذا يُعطي من القوة؟ فأجابه الطبيب: «هذا المقدارُ يحملك ومازاد على ذلك فأنت حاملُهُ».

بيت

الأكلُ ما كان إلا للحياة ولم تُلَفَ الحياةُ لأجل الأكل فاستفدِ

٧- حكاية

كان درويشان من أهل خُراسانَ صديقين حميمين، فاتفقا مرة على السياحة، وكان أحدهما ضعيفاً يأكل في كل ليلتين مرة، والآخر قوياً يأكل في اليوم ثلاث مرات، وصادف أن ألقى القبضُ عليهما بتهمة الجاسوسية على باب إحدى المدن، فحُسِرَ كل منهما في دار وطُيِّنَ عليه بابها، وبعد اسبوعين تبين أنهما بريتان من هذه التهمة، ففُتِحَ البابُ على القوي فوُجِدَ ميتاً، وعلى الضعيف فوُجِدَ حياً، فعجب الناس من

أمرهما. فقال أحد الحكماء: كان لكم أن تعجبوا لو كان الحال على خلاف هذا؛ لأن الذي كان يأكل كثيراً لَمَّا فقد القوت لم تبق له طاقة على احتمال ألم الجوع، والآخر كان قد تعود على كبح جماح نفسه فصبر على المكروه وبقي سالماً.

قطعة

من اعتادَ مَطْلَ الجوع حتى يُمِيتَه فليس يعاني غُصَّةَ الجوع في المحلِ
ومن بلذِذ العيش رفَّه نفسه وصادف محلاً مات من قلة الأكلِ

٨- حكاية

نهى أحد الحكماء ابنه عن كثرة الأكل قائلاً: إن الشبع يوقع الإنسان بالمرض. فقال الولد والجوع يا أبت يهلك، ألم تسمع قول الظرفاء: الموت بالشبع خير من الحياة بالجوع؟ فقال الأب: حسناً، ولكن تمسك بالاعتدال، قال الله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾.

بيت

لا تتركِ الجوفَ مملوءاً على تَأَقٍ ولا تَسِرْ لنحول الجسم بالجوع

قطعة

أشهى المآكل مما قد تُسر به لو زادَ عن حده يؤذيك من جشع
يضرُّك العسلُ الماذي مُتَّخِماً ويابسُ الخبز لا يؤذي بلا شبع

٩- حكاية

قالوا للمريض: ماذا يُريد قلبُك؟ قال: ما لا يُريده قلبي أصلاً.

بيت

متى حل بالأمعاءِ داءٌ لتخمة فما بعلاجٍ عند ذلك تَصْلُحُ

١٠- حكاية

كان لجزار بواسط مقدار من الدراهم على بعض الصوفية، فأخذ يغدو عليهم ويروح في كل يوم ويغلظ لهم الكلام، فتكدر خاطر الأصحاب من عنته، وما وجدوا بُدأً سوى تحمل غلظته، فتصدى لتأنيبهم ورِعٌّ منهم وقال: وعدُّ النفس بالمطاعم أيسرُ من وعدِّ الجزار بالدراهم.

قطعة

أرئى ترك إحسانِ الأمير مفضلاً على جفوة الحُجابِ تُخزيك بالعارِ
وللموتُ خيرٌ من تمنيك مُضغَّةً من اللحم تَلْقَى بعدها لؤمَ جزارِ

١١- حكاية

حُكي أن أحد الكرماء أصيبَ بجراحٍ خَطِيرةٍ في الحرب التي
نشبت بين الفرس والتار. فقال له أحد عارفيه: إن فلاناً الغني عنده
مرهم جيد فلو طلبت منه مقدار حاجتك فلعله يعطيك. وقيل إن ذلك
الغني كان مشهوراً بالبخل.

بيت

فلو حلّت محل الخبز في سفرته الشمسُ لما شامت مُحيّاها الأخرى دهرها الإنسانُ
فقال الجريح: إذا طلبتُ منه المرهم، فإما أن يعطي وإما ألا يعطي،
وإذا أعطى فيجوز أنه ينفعني ويجوز أنه لا ينفع، وعلى كل حال فإن
طلبي منه شيئاً سمّ قاتل.

بيت

فما تبتغيه من دنيء بمنة به بسطة في الجسم إذ تنقص الروح
وقديماً قالت الحكماء: إذا فُرض أن ماء الحياة لا يُباع إلا بماء
الوجه فإن العاقل لا يشتريه «لأن الموت بالعر خير من الحياة بالذل».

بيت

كَلِّ الحنظلَ من كف جَوادِ حَسَن الطبعِ ولا الماذيَّ من كف امرئٍ أَقْذَر من نِطْعِ

١٢- حكاية

كان لأحد العلماء عيالٌ كثيرٌ ودخلٌ يسيرٌ، فشكا حاله إلى أحد الكبراء
وكان يُحسِنُ الظن به كثيراً، فلوى وجهه عن أمنيته ولم يحز عَرْضُ
السؤال من أهل الأدب قبولاً عند حضرته.

قطعة

لخلك لا تذهب بوجهٍ مُقَطَّبٍ فتعديه مما أنت فيه وتجرحُ

بل اذهب بوجهٍ بالبشاشة طافحٍ فكلُّ زَهي الوجه بالنجح يَفْرَحُ
وروي أنه زاد قليلاً في مرتبه، ونقص كثيراً من تقربه، وبعد أيام
قليلة لما رأى أن محبته السابقة لم تبق على ما كان يعهد. قال:

شعر عربي الأصل

بئس المطاعُ حينَ الذلِّ تكسبها القِدرُ منتصبٌ والقدرُ محفوضُ

بيت

زاد رزقي وقل ماءُ المحيا فاحتياجي ولا مدَّةُ نفسي

١٣- حكاية

قال أحد الظرفاء: ظهرت علائم الإملاق على رجل من النبلاء،
فقلت له: إن فلاناً يملك من المال ما لا يحصى فلو أوقفته على حاجتك
فمن الجائر أنه لا يتأخر عن قضاء مأمولك. فقال: أنا لا أعرفه، قلت:
أنا أكون دليلك إليه، أخذت بيده حتى انتهيت به إلى منزل ذلك
الرجل، فلما دخل عليه رأى رجلاً قد جلس متهدّلاً الشفة، عابس

الوجه، فلم يَقل شيئاً وعادَ أدراجَه. فسألته ماذا صنعتَ؟ فأجاب: وهبتُ
عطاءًهُ للقائه.

قطعة

لعابس الوجه لا تبد احتياجك إذ بقبح أخلاقه تؤذي فتضطربُ
إن كنت لا بد مضطراً فأبدِ لمن ترتاحُ من حسن لُقياه وتكتسبُ

١٤- حكاية

جاءت سنة على الاسكندرية بقحط شديد حتى أُفِلت من يد
الخلق زمام الطاقة على احتمال الفاقة، وغلّقت السماء أبوابها عن
الغبراء، وارتفع صُراخ أهل الأرض بالدعاء إلى عَنان السماء.

قطعة

لم يبقَ وحش ولا طير ولا بشرُ إلا علا نوحه للعرش من سَعْبِ
دُخان أكبادهم إن لم يُعد سُحباً والدمع غيثاً قَضِيْتُ العمر بالعجبِ
وهكذا في هذه السنة النكراء ألجأ الاضطراؤ إلى ذكر مخنث

أبعده الله عن الأحبة الأبرار، لأن الكلام في وصفه ترك للأدب، وخاصة بحضرة أرباب الرتب، والاعراض كذلك عن وصف مثله لا يليق، لأن طائفة من الناس ربما حملوا ذلك على العجز في البيان، إذن سأختصر وصفه بهذين البيتين، فالنزر اليسير يدل على الجم الغفير، وقبضة شعير بمقدار نموذج لحمل حمار.

قطعة

إما يُطح تترى رأسَ ذي حَنَثٍ فليسَ للناس أن تقتَصَّ من تترى
شبيهه جسر بغداد بأسفلهِ تجري المياه وظهْرُ الجسرِ للبسرِ
هكذا أسمعني شخصٌ طرَفًا من وصفه في تلك السنة بأنه يملك
نعمة لا تحصى، وأنه يهب الفضة والذهب لأهل الضيق، وسفرته
مدودة للغادين والرائحين على قارعة الطريق، وقد همّت جماعة من
الفقراء من جور الفاقة، أن يقصدوا سماطه وأتوا لمشورتي فأملتُ
رأسي عن موافقتهم وقلت:

قطعة

لا يقربُ الليثُ صيدَ الكلب من شرفٍ لو مات في غابه من شدة السغبِ

فأطعم الجسمَ للجوعِ المميتِ ولا تمد كفاً لنذلٍ غير ذي أدبٍ
لا تحسب الغمر انساناً بما ملكت يده لو كان «أفريدون» في الرتبِ
فإنه ببرودِ الوشي زاهيةً مثلُ الجدار إذا تطلّيه بالذهبِ

١٥- حكاية

قال ناس لحاتم الطائي: أرايتَ أو سمعتَ بمن هو أعلى منك همّةً
في هذه الدنيا؟ فقال: نعم، نَحَرْتُ يوماً أربعين جملاً وخرجتُ إلى
طرف البادية لأدعو أمراء العرب، فرأيتُ حاطباً يحمل على ظهره
حزمةً شوك يريد بها المدينة. فقلت له: لماذا لم تذهب إلى ضيافة
حاتم؟ فإن خلقاً كثيراً قد التفوا حول مائدته. فالتفت إليّ وأنشد:

بيت

أرى كل من بالكدح يُدرك خبزه فليس بمحتاج لمنه حاتم
فالحق أقول لقد رأيت ذلك الرجل أعلى مني همّة وأكرم.

١٦- حكاية

رأى موسى (عليه السلام) فقيراً قد سترَ جسمه بالرمل من العري.

فقال لموسى: ادعُ ليَّ الله أن يرزقني كفافاً فقد كاد الفقر يزهق روحي، فدعا له الله أن يمنحه ثروةً، وبعد عدة أيام عاد موسى للمناجاة فرآه موثقاً وقد اجتمع عليه خلقٌ كثيرٌ، فسأل موسى عليه السلام عن الداعي لهذه الحال. فأخبرَ بأنه شربَ خمرًا فعربدَ وقتل نفساً، وقد سبق الآن للقصاص.

بيت

لو أن الفقير الهرَّ أضحي مجنحاً لما كان للعصفورِ ذكرٌ على الدنيا

بيت

فلو أن ذا عجزٍ تُوافيه قوَّةٌ لكسَّرَ أيدي العاجزين بلا ذنب
فعندئذ أقر موسى عليه السلام بحكمة خالق العالم ومُقدِّرِ أقواتهم، واستغفر من تجاسره على ربه، وتلا معنى هذه الآية: ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض﴾.

شعر عربي الأصل

ماذا أخاضك يا مغرورٌ بالخطرِ حتى هلكت فليت النمل لم يطرِ

قطعة

إذا ما وضيع نال جاهاً وثروة ففي نيلها قتلٌ له وأذاهُ
وذا مثلُ ثانٍ يفيدُكَ ضربه بغير جناحٍ للنمال حياةُ

حكمة

عسل الوالد كثيرٌ، ولكن الولد حرارته طبيعية، فليس بحاجة إليه.

بيت

ذاك الذي معُ نِعْماء فقدتَ غنى بما يفيدُكَ أدري منك يا ولدُ

١٧- حكاية

رأيت أعرابياً في سوق الجوهريين بالبصرة، فسمعتَه يقول: ضللت الطريق بالبادية منذ أيام ولم يبقَ معي من الزاد ما أتبلَّغ به، وفجأة عثرتُ على كيس من الدرُّ فطار لي من الفرح إذ ظننت أنه سويقٌ، وما أنسَ من شيء لا أنسَ مرارة ذلك اليأس الذي اعتراني لما علمتُ أن ما في داخله لؤلؤ لا سويق.

قطعة

في قسوة البئد والرمضاء محرقه
سيان عند العطاش الدر والصدف
وعند فاقد زاد عي من لعب
سواء الذهب الوهاج والخزف

١٨- حكاية

كان أحد الأعراب في الصحراء لشدة ظمئه يقول متمنياً:

شعر عربي الأصل

يا ليت قبل منيتي يوماً أفوز بمُنيتي
نهرُ يلاطم ركبتي فأظل أماً قربتي

١٩- حكاية

وهكذا تاه مسافر في فيافي الصحراء، ولم تبق له قوة ولا قوت
سوى دربهات شدد عليها حزامه، وبعد الجهد الجهد ما اهتدى إلى
الطريق، فهلك من المشقة بعد الشُّقة، ومرَّ به ناس فرأوه قد وضع

دراهمه قدامه وخط على الثرى هذين البيتين:

قطعة

لو ان النصارَ الجعفري جميعه بكفك ما أغنى وأنت بلا زاد
ولو نلت في البداء قطعةً سلَّجَمٍ على الجوع قد تُغنيكَ عن كل إسعادٍ

٢٠- حكاية

عمري ما شكوتُ من جور الزمان، ولا عبستُ في وجه الفلَكِ مدة
الدوران إلا في وقتٍ واحدٍ اشتد فيه من الحفا أَلَمي، ولم أملك القدرةَ
على شراء حذاء أسترُّ به قدمي، فدخلتُ مسجد الكوفة وأنا مضطربُ
القلب، وإذا برجلٍ مقطوع الرجل، فوعظتني حالته، ورأيتُ أن الحفا
بالنسبة اليه نعمةٌ يجب عليَّ لله شكرها.

قطعة

الطائر المشوي في نظر امرئٍ شبعانٍ دون البقلة الحمقاء
والسلجم المطبوخ أهنأ أكلةً في عين جوعانٍ على الرمضاء

٢١- حكاية

خرج أحد الملوك للصيد مع نفر من المقربين إليه، فذهَبَهم الليل وقد ابتعدوا عن العاصمة فلاح لهم بيت دهقان. فقال الملك: لنذهب الليلة إلى هناك حتى لا نعاني شدة البرد. فقال أحد الوزراء: لا يليق بقدر الملوك الالتجاء إلى بيت دهقان صعلوك، فيجدر بنا أن نصرب هنا خيمةً ونضرم النار. ولما وصل خبرهم إلى الدهقان هباً من الطعام ما قدر عليه وأحضره أمام الملك وقبّل الأرض بين يديه وقال: قدر الملك السامي مع هذا المقدار لا يتّضع، ولكن قدر الدهقان يريد أن يرتفع. فلقي كلامه قبولاً عند الملك، فانتقل في تلك الليلة إلى منزله، وفي الصباح أغدق عليه نعمه وخلع عليه خلعةً سنيةً. وسمعت أنه مشى عدة خطوات في ركاب الملك وأنشد مترنماً:

قطعة

لم ينتقص شرف المليك وقدره لما أتى لضيافة الدهقان
لكنما الدهقان لما زاره ملكُ الوري استغنى على كيوان

٢٢- حكاية

حكوا عن متسولٍ ملحاحٍ يملكُ نعمةً وافرةً، فقال له أحد الملوك: نرى أنك تملك من المال ما لا يُحصى وعلينا مهمةً، فإذا ساعدتنا ببعض مالك بصفة قرض فسنرده إليك متى ورد محصولُ الولاية. فقال المتسول: لا يليق بقدر ملك الأنام السامي أن يُلَوَّثَ يدَ همته بمال متسولٍ مثلي جميع حبةً فحبةً. فأجابه الملك: لا تغتم فأنا أعطيه التار، لقوله تعالى ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾.

شعر عربي الأصل

قالوا عجيبُ الكاس ليس بظاهرِ قلنا نَسُدُّ به شقوقَ المبرزِ

بيت

إذا ماءٌ بثر للنصارى منجس فميت اليهود اغسلُ به دون أن تمشي

وسمعتُ أنه لوى برأسه عن أمر الملك وأخذ يقيم الحجج الواهية
بوقاحة متناهية. فأمر الملك بعد أن رأى منه ذلك الصنيع أن يُستخلص

مضمون أمره من ذلك الوقع بالزجر والتقريع.

رجز

إِلَّا يَجْنُكَ عَمَلٌ بِاللُّطْفِ فَلْيُخْرِجْ حَتْمًا بِأَقْوَى الْعَسْفِ
إِذَا كُلُّ مَنْ لِنَفْسِهِ لَا يَرْحَمُ فَحَقُّهُ مِنْ غَيْرِهِ لَا يُرْحَمُ

٢٣- حكاية

رأيت غنياً يملك من المال حِثْلَ مائة وخمسين جملاً، وله أربعون عبداً، ومثلهم من الغلمان. دخل عليّ غرفتي ليلةً في جزيرة (كيش) ولم يسترح طول الليل من كثرة الهذر. فكان يقول: فلان شريكى بتركستان ولي بضاعة بهندستان، وهذه البطاقة سندٌ بأرضٍ على فلان والشيء الفلاني بكفالة فلان. وتارة كان يقول: إن السفر إلى الاسكندرية يملكُ عليّ فكري لأن جوّها لطيفٌ، ومرة يقول: لا، لأن بحر المغرب مخوف، وقال لي غير مرة: يا سعدي ورائي سفرٌ آخرٌ فإذا انتهيتُ منه فسأجلس بزاوية اعتزالي بقية عمري وأترك التجارة. فقلت: أي سفر ذاك؟ فقال: أريد أن أذهب بالكبريت الفارسي إلى الصين، لأنني سمعت أنه هناك ذو قيمة غالية، ومن هناك سأجلب الأقداح الصينية إلى

بلاد الروم، والديباج الرومي إلى الهند، والفولاذ الهندي إلى حلب،
والمرايا الحلبيّة إلى اليمن، والبرود اليمانية إلى فارس، ومن بعد ذلك
سأترك التجارة وأتخذ لي دكاناً أجلس فيه. وظل يهدي هذيانَ
المحموم بمثل هذه الأفكار الفاسدة. ولمّا لم يبقَ بجعبته شيء من ذلك
الهُراء قال لي: يا سعدي حدّثني أنت بما رأيت أو سمعت. فقلتُ:

رباعية

أما سمعتَ بحادي الركب حينَ هوى بجانب (العُور) عن إحدى نجائبه
فقال: لا تمتلي عينَ الحريض سوى من الترابِ فهل ينأى بجانبه

٢٤- حكاية

سمعت أن غنياً كان مشهوراً بالبخل شهرةً حاتم الطائي بالسخاء،
ظاهرُ حاله مُزدانٌ بنعمة الدنيا، وخسة طبيعته متمكنة كذلك
في ترارة نفسه، ما جادت يده لأحد من الخبز بكسرة، ولا خادعَ
هيرةً أبي هريرة بلقمة، ولا ألقى لقلب أهل الكهف
عظمة، والخلاصة أن داره ما رآها بشرٌ مفتوحةً، وسفرته ما شهدها
أحدٌ ممدودة.

بيت

ما شم مسكينٌ روائحَ زاده والطيرُ لم تَلْقُ فُتاتَ طعامِهِ
فسمعت أنه قصد مصرَ عن طريق بحر المغرب متخيلاً فرعونَ في
سر قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ﴾ وإذا بعاصفةٍ هوجاءَ دارت
بالسفينة كما قالوا:

بيت

ملولُ السجايا لم يوافقهُ قلبُهُ وقد تُغرق السفنَ العواصفُ في البحرِ
فرفع يديه بالدعاء وأخذ ينوح ويستغيث بلا جدوى، كقوله تعالى
﴿فَإِذَا رَكبُوا فِي الْفُلِّ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾.

قطعة

برفعك الكفين نحو السما ماذا تفيد البائسَ المعدماً
تديرها لله عند النداء وتحت إبطيك بوقت الندى

قطعة

جُدْ بما أنتَ جامعٌ من نُضارٍ وعلى النفس لا تكن بالبخلِ
إن قصرًا شَيْدَتْهُ لخلودٍ سوف يُمسي لوارثٍ أو خليلٍ

وروي أنه كان له بمصرَ أقاربُ فقراء، فاغتوا ببقية ما ورثوه من ماله، ومزقوا بموته أسماهم البالية، ولبسوا بدلها الخز الدميّطي، ولقد رأيتُ أحدهم في ذلك الأسبوع على جوادٍ فارٍ، وغلّامٌ ملائكيّ الطلعة يجري وراءه. فقلتُ في نفسي:

قطعة

يا إلهي لو أن ميتاً بلحدٍ عاد حياً عن أهله لن يحولا
لتمنى المماتَ مَنْ ورثوه دون رد الميراث رداً جميلاً

ولسابق المعرفة ما بيننا أخذتُ بكمه وقلت:

بيت

كُلْ هنيئاً فأنْتَ أفضلُ ممن ماتَ من بعد كدِّه جوعاناً

٢٥- حكاية

وقعت سمكة قوية في شبكة صياد ضعيف، ولم يُطق ضبطها فغلبته واختطفَت الشبكة من يده وغاصَّت في الماء.

قطعة

وردَ النهرَ يطلبُ الورْدَ طفلُ فطغى ماؤه فنالَ الهلاكَا
كل حين تصيدُ حوتاً شباكُ رَبِّ حوتٍ بالبحرِ صادَ الشباكا
فأسفَ الصيادون ولا موه قائلين: أيقع مثل هذا الصيد في شبكتك
ولا تستطيع أن تحتفظ به؟ فقال: أيها الإخوة ماذا أصنع، لم تكن رزقاً
لي وهي كذلك قد بقي لها رزق في الدنيا.

حكمة

الصيد العديم الرزق في دجلة لا يصيد سمكة، والسمكة التي لم
ينقطع رزقها لا تموت ولو كانت في اليابسة.

٢٦- حكاية

رجل مقطوع اليد والرجل قتل (أم الأربع والأربعين) فمر به

متدين فقال: سبحان الله مع هذه الأرجل الكثيرة التي لها ما استطاعت الهرب ممن لا يد له ولا رجل حين انتهت أجُلها.

رجز

إن لَزَكَ العدو في يوم الوَهْل وقَيَّدَ الرجلَ عن الجزي الأَجَلُ
وقد تلاحَقَتْ وراءك العدى فما سلاحٌ مُنجياً من الردى

٢٧- حكاية

رأيت أحمرَّ سميناً يرتدي كساءً ثميناً تحته مُهرٌّ عربيٌّ، وعلى رأسه برُشٌّ مصري . قال لي شخص: يا سعدي كيف ترى هذا الديباجَ المُعلَّم على هذا الحيوان الأعجم؟ فقلت:
«خط قبيحٌ، ولكنه مكتوبٌ بماء الذهب».

شعر عربي الأصل

قد شابه بالورنى حمارُ عَجلاً جسداً له خوارُ

قطعة

لم أقل صارَ ذا آدمياً بنقوش تُزهى على أثوابه

كُلْ مُلْكٌ لَدَيْهِ يَحْرُمُ إِلَّا دَمُهُ لَوْ يُرَاقُ فِي مَحْرَابِهِ

قطعة

لَا تَظُنَّ الشَّرِيفَ يُمَسِّي وَضِعاً إِنَّ وَهْتَ لَافْتِقَارِهِ أَسْبَابُهُ
وَالْيَهُودِيُّ لَا يَصِيرُ شَرِيفاً إِنْ تُصَفَّحَ بِعَسْجِدِ أَبْوَابِهِ

٢٨- حكاية

قال لص لمتسول: أما تستحي أن تمد يدك أمام كل لثيم لأجل
(حبة فضة)؟ فأجابته المتسول:

بيت

لَمُدُّ يَدِي خَيْرٌ لِحَبَّةِ فِضَّةٍ وَلَا قَطْعُهَا يَا لِصٍّ فِي رُبْعِ دِينَارٍ

٢٩- حكاية

حكوا أن ملاكماً زهقت روحه من معاكسة الدهر، فشكا إلى أبيه

سعة الحلق وضيق الرزق، والتمس منه أن يأذن له بالسفر قائلاً: لعلي
بقوة ساعدي أضم ذيل مرامي إلى راحة يدي.

بيت

هباءً يضيع الفضلُ مادامَ لا يرى ضعِ العودَ في نارِ وَفَتْ من المِسكِ
فقال الأب: أي بني أزلْ عن رأسك خيالَ المحال، وجُرَّ رجل
القناعة في أذيال السلامة؛ لأنَّ العظماء قالوا: الحظ ليس بالسعي
فخفّض من غلوائك.

قطعة

بالعزم لا تُدرِك ما تشتهي لكي تُرى بين البرايا أميرُ
فسعيك الباطلُ شبهُ له وسمُ على حاجب عين الضريزِ

بيت

بزُلفك لو كلُّ العلوم تعلّقت لما زدت إفضالاً وحظك نائمُ

بيت

تخور القوى مَعَ قلة الحظ فالفتى بطالع سعدٍ لا بقوة ساعدٍ
فقال الولد: أي والدي، فوائدُ السفر كثيرةٌ، فمنها نزهُهُ الخاطرُ،
وجذبُ الفوائد، ورؤيةُ العجائب، واستماعُ الغرائب، والتفرُّجُ على
البلدان، ومحاورَةُ الخلان، وتحصيلُ الجاه والأدب، وزيادة المال
والمكسب، ومعرفةُ الأنام، وتجربةُ الأيام، هكذا قال سالكو الطريق.

قطعة

ما دمتَ في حانوتِ دارك قابِعاً لم تُمسِ إنساناً لنفسك هادياً
سرٌّ في فجاج الأرض وانظر حُسْنَهَا من قبل أن تُمسي بلحدك ثاوياً
فقال الأب: أيها الولد، منافعُ السفر على هذا النمط الذي قلته
لا تحصى، ولكنَّ المسلَّم بفائدتها خمسة أصناف؛ الأول: تاجرٌ
لوفرة نعمته وامتلاكه الغلمان والجواري الحسان هو كل يوم
في مدينة وكل ليلة بمقام وكل حين بمَتَرَةٍ يتمتع بنعيم
الدنيا.

قطعة

بالْقَفْرِ لَا يَلْقَى الْمَنْعَمَ غُرْبَةً مَا دَامَ يَتَخَذُ الْخِيَامَ مُقَامَا
أَمَّا الْفَقِيرُ فَخَامِلٌ فِي دَارِهِ وَيَقْطُرُهُ لَمْ يَعْرِفْ إِلَّا كِرَامَا
الثاني عالمٌ يعذب منطقهُ وقوة فصاحته ووفرة بلاغته، أتى ذهب
يكون مُقَدِّمًا ويعيش مُكْرَمًا.

قطعة

كخَالِصٍ تَبَرُّ ذُو الْمَعَارِفِ قَدْرُهُ لَدَى النَّاسِ مُحْفُوظٌ يُزَانُ بِهِ الْإِلْفُ
وَذُو الْجَهْلِ فِي الْبَيْتِ الرَفِيعِ عِمَادُهُ كَزَائِفٍ نَقْدٍ لَا تَقْلُبُهُ كُفُّ
الثالث ذو محيا جميل تَمِيلُ قُلُوبُ الزَّهَادِ لِمَخَالَطَتِهِ وَتَنْجَذِبُ
لِمَحَادَثَتِهِ، فتعد صحبته غنيمة، وخدمته منة عظيمة، كما قيل: جمال
قليل خير من مال كثير، والوجه الجميل مرهم جراح القلوب المرهقة،
ومفتاح الأبواب المغلقة.

قطعة

ذُو الْحَسَنِ يَلْقَى احْتِرَامًا حَيْثُ حَلَّ وَإِنْ لَاقَى مِنَ الْأَهْلِ تَعْذِيبًا وَتَغْرِيبًا

رَأَيْتُ رِيْشَةَ طَاوُوسٍ لَدَيْ وَرَقٍ بِمَصْحَفٍ غَيَّبَهَا فِيهِ تَغْيِيْباً
فَقُلْتُ: ذِي رُتْبَةٍ كَيْفَ انْفَرَدَتْ بِهَا فَحُزْتُ مَا لَمْ يَكُنْ فِي الدَّهْرِ مُحْسُوباً
فَقَالَتْ اسْكُتْ فَأَهْلُ الْحَسَنِ حَيْثُ مَضُوا يَلْقَوْنَ عِزّاً وَتَكْرِيماً وَتَقْرِيْباً

قطعة

إِذَا وَلَدُ يَسْبِي الْقُلُوبَ مُوَافِقُ تَبَرَّأَ مِنْهُ وَالِدٌ فَاطْرِدِ الظَّنَّ
فَذَا لَوْلَوْ قَدْ كَانَ فِي صَدَفَاتِهِ فَلَمَّا نَأَى عَنْهَا بِجَوْهَرِهِ أَغْنَى
الرَّابِعُ ذُو الصَّوْتِ الْحَسَنِ الَّذِي بَحْنَجَرْتَهُ الدَّادِيَّةُ يُوْقِفُ الْمَاءَ عَنْ
الْجِرْيَانِ وَالطَّيْرِ عَنِ الطَّيْرَانِ، وَبِوَاسِطَةِ هَذِهِ الْفَضِيلَةِ يَصِيدُ قُلُوبَ
الرِّجَالِ وَيَرْغَبُ أَرْبَابُ الْمَعَانِي فِي مَنَادِمَتِهِ فِي كُلِّ حَالٍ.

شعر عربي الأصل

سمعي الى حسن الأغاني من ذا الذي جَسَّ المثنائي

قطعة

فَمَا أَحْسَنَ الصَّوْتِ الرَّخِيمَ فَإِنَّهُ لَسَمِعَ النَّدَامَى فِي الصَّبَاحِ صَبُوحُ

يَزِيدُ بِهِ حُسْنُ الْمَحْيَا مَلَا حَةً إِذِ الصَّوْتُ سَحَرُ مَا إِلَيْهِ طُمُو حُ
 فَحُسْنُكَ هَذَا تَبْلُغُ النَّفْسُ حَظَّهَا بِهِ وَبِحَسَنِ الصَّوْتِ تَنْتَعِشُ الرُّوحُ
 الْخَامِسُ ذُو الصَّنْعَةِ الَّذِي يَحْصُلُ قُوَّتُهُ بِكَدِّ يَمِينِهِ وَعَرَقِ جَبِينِهِ، حَتَّى
 لَا يَرِيقُ مَاءً وَجْهَهُ أَمَامَ نَذْلِ لِرْغِيفٍ خَبَزَ كَمَا قَالَتِ الْعُقَلَاءُ:

قطعة

وَمُحْتَرِفٍ نَائِي الدِّيارِ لَوْ أَنَّه مُرْقِعُ أَثْوَابٍ فَلَيْسَ يَجُوعُ
 وَمَالِكُ نَصْفِ الْأَرْضِ لَوْ سَاءَ حَظُّهُ سَبِيحًا حَيَاةً فِي الْأَنَامِ تَرَوُعُ
 فَهَذِهِ الصِّفَاتُ الَّتِي يَتَّبِتُهَا هِيَ الْمَوْجِبَةُ لَجْمَعِيَةِ الْخَاطِرِ وَطَيِّبِ
 الْعَيْشِ لِلْمَسَافِرِ، وَأَمَّا مَنْ خَلَا عَنْ هَذِهِ الْقَضَائِلِ فَسَعِيهِ فِي الدُّنْيَا خِيَالٌ
 بَاطِلٌ، وَمَا أَحَدٌ يَسْمَعُ اسْمَهُ أَوْ يَحْسُ رَسْمَهُ.

قطعة

أَلَا كُلُّ مَنْ دَارَ الزَّمَانَ بَعَكَسَهُ فَأَيَّامُهُ تَهْدِيهِ فِي غَيْرِ صَالِحٍ
 وَكُلُّ حَمَامٍ لَيْسَ يَأْلَفُ عُشَّهُ فَلَا بَدَّ أَنْ يَرْمِيَ بِأَحَدِي الْجَوَائِحِ
 قَالَ الْوَلَدُ: بِأَيِّ بَرَهَانٍ يَا أَبْتَ أَخَالَفُ قَوْلَ الْحُكَمَاءِ حَيْثُ قَالُوا:

الرزق ولو أنه مقسومٌ، ولكن التعلُّقُ بأسباب الحصول عليه شرط واجب، والبلاء ولو أنه محتوم، فإن الاحترازَ عن الدخول في أبوابه من أوجب المطالب.

قطعة

إن كان رزقك مقسوماً فليس بلا سعي ليأتيك إذا العقل والدين
أو كانُ عمرك محتوماً فمن سَفِه أن تُلقِيَ النفسَ في أشدِّ اق تَيْنينِ
فبهذه الصورة التي استطيع فيها أن أصادم الفيل الحردان، وأصارع
الأسد الغضبان، فمن المصلحة أن أسافر إذ لم تبق لي طاقة على
احتمال هذه الفاقة.

قطعة

إذا ما امرؤ عن داره طَوَّحَتْ بِهِ يدُ الدهر فالآفاق طُرّاً مسارحُه
إلى قصره يأوي الغنيّ عشيّةً وذو الفقر في الظلماء كُنْزُ مطارِحُه
قال هذا، ونهض مشمراً عن ذيل الهمة، فودَّع أباه وجرى مسرعاً
وسمعه ينشد عند ذهابه:

بيت

العارفُ الفذُّ إمَّا الحظُّ عاكسه فحيثما حلَّ لم يذكر لدى الناسِ
حتى انتهى إلى ساحل ماء شديد الاضطراب والمدتدحرج
الحجارة منه حين يطغى عن الحد، وإلى مسافة فرسخ دويه يمتد.

قطعة

ماء مخوف لو أن البطَّ عام به لما رأى الأمن بل ألوى به التلفُ
بسيفه لو رحنى طاحونة قذفت إذن لظلت بأوهى الموج تنجرفُ
فرأى جماعةً من الرجال متأهين للسفر، وكلُّ امرئٍ منهم جالسُ
بأجرته عند المعبر وقد ربط أمتعته، وحيث كانت يد الفتى مغلولة عن
العتاء بسطَ للحاضرين لسانَ الشاء، ومع كثرة توجعه ما أعانوه، بل قالوا
وعَنوه.

بيت

بلا ذهب لم تقوَ يوماً على امرئ فإن حُزته أغناكَ عن قوة الجسمِ

وكذلك الملاح عديم المروءة، سخر منه وقال:

بيت

بلا ذهب لَن تركب البحر غاصباً ولا بقوى عَشْرِ فَهَيِّ لَنَا الأَجْرَا
فاستشاط الشابُّ غضباً من هذه الطعنة النجلاء، وصمم على
الانتقام منه، وكانت السفينة قد أَقْلَعَتْ، فصرخ قائلاً: إِذَا قَنِعَتْ بهذا
الثوب الذي يسترني فارجع وخذه غيرَ آسف عليه، فأدار الملاح
السفينة طمعاً فيه.

بيت

إِن الشراهةَ تُعْمِي عَيْنَ صاحبها ويهلك الطيرُ بالأطماع والسملكُ
فبمجرد ما وصلت يد الفتى إلى طوق الملاح ولحيته جذبه إليه
وانهال عليه باللكمات دون محاباة، وأسرع صديقه من السفينة ليكون
ظهيراً له، فلقى كذلك لكماتٍ قاسيةً فولَّى مدبراً، ورَأَى من المصلحة
أَن يصالحاه ويسامحاه بأجرة السفينة.

رجز

متى ترّ الشر فكن ذا صبرٍ فاللینُ قد يغلق باب الشرِّ
كن ليناً في المأزق الخطيرِ فالسيفُ لا يعملُ بالحريـرِ
تقدر بالعذبِ من الخطابِ بشعره تقود فيل الغابِ

فوقعا على قدميه معتذرين عما بدر منهما وقبلا رأسه وعينيه نفاقاً،
وأدخلاه السفينة وأقلعاه، حتى إذا انتهوا إلى عمود في عمارة يونان قائم
بالماء، قال الملاح: حصل خلل بالسفينة فمن كان منكم أشد قوة
وشجاعة وسطوة فليصعدْ إلى أعلى العמוד فيربط به حبل السفينة
لنصلحها، فهمّ ذلك الشاب لغرور القوة الذي برأسه، وما افترى بكيد
العدو المجروح الفؤاد، ولا عمل بقول الحكماء حيث قالوا: من أدقّت
قلبه الألم مرةً ولو أعقبها في راحته مائة كرة، فلا تأمن أن يفتكر ذلك
الألم الفرْدَ، لأن النصل يخرج من الجرح ويبقى تألم القلب.

قطعة

يا حسنَ ما قاله بكدأش من قَدَمٍ لخيلناشٍ لكيلا يجهل الخدعا

إِنْ تُلَفِ خَصَمَكَ فِي الْهَيْجَاءِ مَرْتَعْدًا أَمَامَ سَيْفِكَ فَاتَرَكُهُ بِهِ قِطْعًا

قطعة

فَإِيَّاكَ لَا تَأْمَنُ فَتَى ضَاقَ صَدْرُهُ لَخَطَبَ رَمَاهُ مِنْ يَدِيكَ عَلَى ضِغْنٍ
عَلَى قَلْعَةٍ لَا تَرْمُ يَوْمًا حِجَارَةً فَتَلْقَى بِأَحْجَارٍ عَلَيْكَ مِنَ الْحِصْنِ

وما كاد يُلْفُ حبل السفينة على يده ويصعد إلى أعلى العمود، حتى قطع الملاحُ الحبل وأقلع، فبقي ذلك المسكين في مكانه مشدوهاً يكابد المحنة ويعاني الشدة، وفي اليوم الثالث عَقَدَ النَوْمُ أَجْفَانَهُ فوقَ في الماء، وبعد يوم وليلة قذفه الموج على الساحل وهو بآخر رمق، فأخذ يأكل أوراق الأشجار وجذور النباتات، حتى إذا وجد قليلاً من القوة مضى على وجهه هائماً في الصحراء، وبعد الجوع والعطش والنزنى وصل إلى حافة بحر عليها أناس التفوا حولها حين رأوه، وكانوا يبيعون شَرِبَةَ الماء بَقَلَسْ، وهو صِفر اليد، فاستسقى، فأبوا، فمدَّ لهم يد التعدي فما قدر، وتكاثر عليه من حضر فغلبوه، فوقع بعد الصدام جريحاً.

قطعة

إِنَّ الْبَعُوضَةَ تَوْذِي الْفِيلَ مَعَ حَرْدٍ بَطْبَعَهُ وَاعْتَزَّازَ فِي ضَخَامَتِهِ

والنمل إن يجتمع يوماً على أسدٍ يمزق الجلد منه مع شراسته

فسار وراء القافلة مضطراً لمرضه وجرحه، حتى وصلوا ليلاً إلى محل خطر تكمن فيه اللصوص، فرأى جماعته يرتعدون من الخوف وقد أيقنوا بالهلاك. فقال لهم الشاب: لا تخافوا مادام بينكم بطلٌ مثلي يستطيع أن يصرعَ خمسين رجلاً، وعلى الشبان المساعدة، فقويت بكلامه عزائمهم وفرحوا بصحبته وأسعفوه بالزاد والماء، وقد كانت نار معدته عاليةً اللهب وعنان الطاقة من يده قد ذهب، فتناول من الطعام قدرَ مشتهاه وشرب من الماء ما كان يتمناه، فارتاح شيطانُ معدته، واختطفه النوم فنام. وكان في القافلة شيخُ حنكته التجارب، وعركته من الأيام النوائب، فقال: أيها الأحباب إن خوفي من حاميكُم هذا أكثر من خوفي من اللصوص. فقد حُكي أن أعرابياً جمع دريهمات، وخوفاً من اللصوص لم يرقد بمنزله منفرداً، فأحضر أحدَ أحبابه لترول وحشته برؤيته، فأقام بصحبته عدة ليالٍ حتى عثر على الدراهم فأخذها وهرب. وفي الصباح رآه الناس عُرياناً باكياً، فسألوه: ما دهالك، هل سرق لصٌ دراهمك؟ فأجاب: لا؛ ولكن حامي الدار هو الذي سرقها.

قطعة

ما كنت آمنُ للأفعى فأمسكها مادام يكمنُ في أنيابها أجلي
فكيف آمنُ من يُبدي مودته ونابُه نابُ أفعى حينَ يبسمُ لي

قال الشيخ: وما يدريكم أيها الأحباب أن يكون هذا الشاب أيضاً
من جملة اللصوص واندس بينكم لهذا الغرض حتى إذا سنحت له
الفرصة دل عليكم أصحابه، فأرى من المصلحة أن نتركه نائماً ونسرع
بالذهاب، فجاء تدبير الشيخ محكماً، وتملكت مهابة الشاب أفئدتهم،
فشدوا رحالهم وتركوه نائماً، فما أحس حتى ألهمت الشمس كنفه،
ورفع رأسه فإذا القافلة قد سافرت، وبحث كثيراً عن الطريق فلم يهتد
إليه، فوضع خده على الثرى وقلبه على التهلكة غرثان صادياً.

شعر عربي الأصل

من ذا يُحدثني وزمَّ العيسُ ما للغريب سوى الغريب أنيسُ

بيت

إذا ما النوى لم يكسب المرء رقّةً يكن قاسياً دوماً على الغرباء

وبينا هو في هذا الكلام إذا بابن ملك كان قد تباعد عن العسكر وراء
طريدة، فوقف على رأسه وسمع ما قاله، وتفرّس في هيئته فرأى طهارة
ظاهر صورته، وتَشَبَّت حالته، فسأله: من أين أنت؟ وكيف وقعت في
هذا المكان؟ فقَصَّ عليه طرفاً مما مر على رأسه، فرقَّ له وأغدق عليه
نعمه، وقرنه برفيق معتمد حتى أوصله إلى بلدته، وفرح أبوه بمشاهدته
وشكر الله على سلامته، وفي تلك الليلة حكى لوالده كل ما جرى على
رأسه من حالة السفينة، وجور الملاح والقرويين، وغدر الجماعة
المسافرين. فقال الأب: يا ولدي، ألم أقل لك حين سفرك أن فراغ اليد
يغلُّ يد الشجاعة، ويقلِّم أظفار البطولة؟

بيت

يا حسنَ ما قال صِفْرُ الكفِّ ذو خطرٍ نزرُ من التَّبَرِّ خير من قوى أسدٍ

فقال الولد: أي والدي، ما لم تظهر المشقة لم تستخرج الكثر،
وما لم تخاطر بالنفس لم تنل الظفر على العدو، وما لم تبدر
الحب لم تحصد البيدر، ألا ترى أنني برأسمال يسير من الألم
أدركت هذه الخزائن الثمينه، وبالسّم الذي تجرّعته ذقت حلاوة
ما جمعته.

بيت

وإن لم تكن إلّا نصيبك أكلاً فلا تقعدنّ ما عشتّ عن طلب الرزقِ

بيت

فلو رهب الغواصّ تمساح بحره لما نال في يوم نفيساً من البحرِ

حكمة

حجر الطاحون الأسفل غير متحرك، فلا جرم كان يتحمل الحمل
المثقل.

قطعة

أبرتزق الضرغام في الخيس مضغة وإن وقع البازي فيه فهل يغني
وإن أنت رمت الصيد في الدار أصبحت شباكك نسج العنكبوت من الوهنِ

فقال الأب: يا بني، في هذه المرة ساعدتك دورة الفلك، وهداك الإقبال
إلى النوال، فخرج وردك من شوكة إذ أخرجت الشوك من قدمك،

واتصل بك صاحب دولة فرحمك وأنعم عليك، وبتفقدته جبر كَسْرَ
حالك، ومثلُ هذا يقع في النادر، والنادر لا يُبنى عليه حكم.

بيت

ما ابنُ آوى لصائد كل حين رب يوم بنمر غابٍ يُصادُ

تشبيهه

كما أن ملكاً من ملوك فارس كان عنده حجر خاتم ثمين، فخرج
للتفرج مرة مع عدد من أخصائه إلى (مُصلَّى شيراز) فنزعه من
يده، وأمر أن يوضع على قبة (عُضد الدولة) وأن كل من أجاز سهمه
منه فهو له، واتفق أن كان في خدمته أربعمئة من أمهر الرماة، وكلُّ
أخطأ المرمى إلّا غلاماً كان على الإسطبل يتلاعب بالسهام، فأجاز منه
سهمه، فمُنِعَ له الخاتم، وما لا يحصى من النعم، وبعد هذا أحرق
الغلامُ القوسَ والسهام. ف قيل له: لماذا فعلت هذا؟ فقال: حتى يبقى
اعتباري الأولُ بمحله.

قطعة

قد يزُلُّ الحكيم ذو النظر الثا قب لما يخونه التدبيرُ

ويصيب الأهداف عن غير قصد حين يرمي السهامَ طفلٌ غريبٌ

٣٠- حكاية

رأيت درويشاً أوى الى كهف وانقطع عن الدنيا بغلق بابها عنه، ولم
تبقْ شوكةُ لسلطين الدنيا وملوكها بنظر همته.

قطعة

من راح يفتح أبواب السؤال على النفس الضعيفة أودى وهو في تعبٍ
دغٍ عنك ذا الحرص في الدنيا نعش ملكاً ولا تكن طامعاً تصعد إلى الرتبِ

واتفق أن أشار لكرم أخلاقه أحدُ ملوك تلك الجهة، راجياً منه
أن يوافقه على لقمة خبزٍ وملح يتناولهما عنده، فرضي الشيخُ لأن
إجابة الدعوة منه، وعاد الملك في يوم آخر لزيارته والتشرف
بخدمته، فنهض العابد واحتضن الملك وتلطف به، ولما فارقه الملك
سأله أحدُ أصحابه قائلاً: إن ملاطفتك للملك بهذا المقدار كانت
خلافَ عادتك، فما الحكمة في ذلك يا ترى؟ فقال: أو ما سمعت
ما قالوا:

قطعة

إذا ما امرؤ يوماً تناولت زاده فكانَ له حق عليك بما أبدى
ولم تستطع رداً لسابق فضله فعذرُك أن تُثني عليه لما أسدى

وجز

قد تصدف الأذنُ مدئى هذا العُمُر عن نوحة الناي ونغمة الوثر
وتصبر العين على الزمانِ عن رؤية الأزهار في البستانِ
من لم يجد مخدّةً من ريشٍ فليضع الرأسَ على الحشيشِ
ومن عن الفراشِ خِلُّه نأى فليحضن النفس ويغفو هائثاً
لكنما الجوف الذي لا يشبّع على المدئى برزقه لا يقنّع

الباب الرابع:

في فوائد السكوت

١- حكاية

قلت لأحد الأحناء: وقع اختياري على حسم مادة الكلام لما أنه في غالب الأوقات يصادف في القول وقوع الجيد والردىء، وعين العدو لا تقع إلا على الردىء. فقال: أيها الأخ الأفضل ألا ينظر العدو الجيد.

بيت

كمالك في عين الحسود نقيصة (وروضة) سعدي في عين العدى شرك

شعر عربي الأصل

وأخو العداوة لا يمر بصالحٍ إلا ويلمزه بكذابٍ أشْرُ

بيت

من نور عين الشمس تزدهرُ الدنى وبأعين الخُفاش أقبحُ ما يُرى

٢- حكاية

خسر تاجرٌ أثناء تجارته ألفَ دينار، فقال لولده: يلزم ألا يقع هذا الخبر الذي لم يطلعْ عليه غيري وغيرك بسمع أحد، فقال الولد: الأمر لك يا والدي، ولكن أطلعني على هذه الفائدة لأعرف ما هي المصلحة في الكتمان. فقال الأب: حتى لا تكون المصيبة الواحدة علينا مصيبتين إحداهما خسارة رأس المال والأخرى شماتةُ الأندال.

بيت

لا تقل (لا حول) ما بينَ العدى فيلا حولَ يُسرُ الشامتونُ

٣- حكاية

شاب عاقل له في فنون الفضائل حظٌ وافٍ وطبعٌ نادرٌ، ولكنه إذا جلس في محافل العقلاء لا ينس بينت شفة أصلاً. فقال له أبوه مرة: أي بني لِمَ لا تتكلم أنتَ أيضاً بمالكَ به علم؟ فقال: أخشى يا أبتِ أن أسأل عما ليس لي به علم فأخرجَ من المجلس خزيانَ نادِماً.

قطعة

سمعتُ بأن صوفياً تحفَى فراحَ يدُق مِسماراً ينعل
فأمسك كَمَّه شُرطي جَيْشٍ وقال: تعالَ سَمِّر نعلَ بغلي

بيت

ما دمت لم تنطق فلستَ مطالباً ومتى نطقتَ فبالدليل تُطالبُ

٤- حكاية

وقعت مناظرة ما بين أحد العلماء المعترين ورجلٍ من الملحدين، فما

جاءه في ميدان المناظرة ولا أسكته بحجة باهرة، ورجع من أمامه عاجزاً مدحوراً. فقال له شخص: أنت مع كل مالك من علم وأدب وفضل وحكمة تُقهر أمام ملحد؟ فأجاب: إن علمي القرآن والحديث وكلام الفقهاء، وهو لا يُصغي إليّ كل هذه ولا يعتقدها، فأنيّ فائدة لي إذن من سماع كفره؟

بيت

مَنْ لَا الْكِتَابُ وَلَا الْحَدِيثُ يَرْوِقُهُ فُجُوبُهُ أَلَّا تُرِيهِ جَوَاباً

٥- حكاية

رأى جالينوس الحكيم أبلهً أخذاً بتلايب رجل عاقل وقد أهان بالضرب كرامته. فقال: لو كان هذا عاقلاً لما انتهى به الحال مع جاهلٍ إلى هذا الحد.

رجز

ما بين عاقلين لا حقد ولا يعاند العالم يوماً جاهلاً
إن أغلظ القول سفيه جاهلٌ يُلِن له القلب الحكيم العاقل

لا تُقَطَّعُ الشعْرَةُ بَيْنَ اثْنَيْنِ ذِي أَدَبٍ وَرَبِّ طَبِيعٍ شَيْنِ
وَإِنْ يَكُنْ كِلَاهُمَا ذَا جَهْلٍ بَيْنَهُمَا يُبْتُ أَقْوَى حَبْلِ

قطعة

قُبِيعَ الطَّبِيعِ سَبَّ فِتْنَى نَبِيلاً فَأَعْرَضَ عَنْ بَذَائِهِ وَأَغْضَى
وَقَالَ: جَهَلْتُ أَقْبَحَ مَا بِنَفْسِي فَلَسْتُ بِكَاشِفِ عَيْبِي لَتَرْضَى

٦- حكاية

كان سحبان وائل في الفصاحة منقطع النظير، فاذا خطب في محفل سنة فلا يكرر اللفظ، وإذا اضطر إلى ترديد معنى من المعاني أبان عنه بأسلوب يغيّر الأول، وهذا السلوك مما تفرّدت به آدابُ نُدَمَاءِ الملوك.

قطعة

إِذَا جَاءَ مِنْكَ الْقَوْلُ عَذْبًا مَحَبَّبًا خَلِيقًا بِالِاسْتِحْسَانِ يَخْتَلُبُ اللَّبَا
فَيَاكَ وَالْإِكْتَارَ مِنْهُ فَإِنَّهُ وَإِنْ يَكُ مَاذِيًا فَقَدْ يَبْهَظُ الْقَلْبَا

٧- حكاية

سمعت عن بعض الحكماء أنه قال: إن أحداً من الناس لا يُقرأ بجهله أصلاً، إلا ذلك الذي يعترض غيره وهو في أثناء الكلام، فيقطع عليه الحديث قبل التمام.

قطعة

أيا ذا الحجبى للقول بدءٌ وغاية فلا تحشر الأقوالَ في بعضها حُشراً
فإن الأديبَ الحقُّ من ليس قائلًا إذا لم يجدْ للقول من يسمعُ الذكرى

٨- حكاية

سأل بعضُ عبيدِ السلطان محمود، حسنَ الميمني: ما الذي قاله لك السلطانُ في هذا اليوم بخصوصِ مصلحةٍ كذا؟ فقال حيث أنه كان لا يخفي عنكم شيئاً فحالي إذن في أمرِ هذه المصلحة كحالكم، فقالوا له: أنت أمين سر المملكة، وما يُخْصُّكَ به السلطان من السر لا يجوز أن تُفشيهِ لأمثالنا، فقال: ما دتم تعرفون أنه مُعْتَمِدٌ عليّ بكتمان سره، فلماذا إذن تسألونني؟

بيت

للفنيس لا تُفشِ أسرارَ المليك فما للناس أفشى لبیب كل ما علما

بيت

إذا ما حكى سرّاً لك المَلِكُ فالَّةُ فضنها ولا تحسب مقالته لُعبا

٩- حكاية

كنت متردداً عند شراء دارٍ مُعدَّةٍ للبيع، فقال لي يهودي: أنا من سكان هذه المحلة القدماء فاسألني عن الدار فإن لي معرفةً بصفتها، اشتريها فليس بها عيبٌ أصلاً. فقلتُ له: أجل لا عيبٌ بها إلا مجاورتك لها..

قطعة

إن داراً لها كِمِثْلِكَ جاز لا تساوي إلا دراهمَ عَشْرَا
غير أنني من بعد موتك أرجو أن تساوي ألفاً دنانيرَ صُفْرَا

١٠- حكاية

مَثَلُ أَحَدِ الشَّعْرَاءِ بَيْنَ يَدَيِ رَئِيسِ عَصَابَةٍ مِنَ اللَّصُوصِ فَاَمْتَدَحَهُ
 بِقَصِيدَةٍ، فَأَمَرَ أَتْبَاعَهُ يَسْلُبُوهُ ثَوْبَهُ وَيُلْقُوا بِهِ خَارِجَ الْقَرْيَةِ، فَعَدَّتْ
 وَرَاءَهُ كِلَابُهَا تَنْبَحُهُ، فَاَنْحَنَى يَرِيدُ حَجَرًا فَلَمْ يَجِدْ لِأَنَّ الْأَرْضَ
 كَانَتْ مَتَجَلْدَةً، وَلَمَّا رَأَى نَفْسَهُ عَاجِزًا عَنْ دَفْعِهَا قَالَ: مِنْ هُمْ هَؤُلَاءِ
 أَبْنَاءُ الزَّانَا الَّذِينَ جَمَعُوا الْحِجَارَةَ مِنَ الْأَرْضِ وَأَطْلَقُوا عَلَيِ
 الْكِلَابِ؟ فَسَمِعَهُ رَئِيسُ اللَّصُوصِ وَهُوَ فِي حَجَرَتِهِ فَضَحِكَ وَقَالَ: أَيُّهَا
 الْحَكِيمُ أَطْلُبْ مِنِّي مَا تَرِيدُ. فَأَجَابَهُ الشَّاعِرُ أُرِيدُ ثَوْبِي إِذَا أَمَرْتَ
 بِالْإِحْسَانِ إِلَيَّ:

بيت

قَدْ يَأْمَلُ الْمَرْءُ خَيْرًا مِنْ أَخِي كَرَمٍ فَانْكَفَ أَذَاكَ فَمَا بِالْخَيْرِ لِي أَمَلُ
 مصراع: رَضِينَا مِنْ نَوَالِكَ بِالرَّحِيلِ.

فَرَّقَ الرَّئِيسُ عِنْدَئِذٍ لِحَالَهُ وَأَمَرَ بَرْدَ ثَوْبِهِ إِلَيْهِ وَخَلَعَ عَلَيْهِ قَبَاءَ مِنَ الْفُرُوشِ
 وَنَفَحَهُ بِمِقْدَارٍ مِنَ النَّقُودِ.

١١- حكاية

دخل منجمٌ إلى منزله فرأى غريباً جالساً مع امرأته فشمته أقبح شمية وثارت بينهما فتنة، فوقف متدين على تلك الحال فقال:

بيت

بدارك لم تدرِ ماذا جرى فماذا دريت بأوج الفلك

١٢- حكاية

خطيبٌ كرية الصوت كان يظن أنَّ وقعَ صوته جميلٌ على الأسماع مع أنه مزعجٌ لدى الإيقاع، فكأنه نعيبُ غراب البين في (بردة) الحانة، أو انه آية ﴿إِنْ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتَ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ في عنوانه.

شعر عربي الأصل

إذا نهق الخطيب أبو الفوارس له صوتٌ يَهْدُ اصطخر فارسُ
وكان رجال القرية يتحملون أذاه لمنصبه، واتفق أن أحد خطباء

ذلك الإقليم كان يُضمرُّ له عداوة، فجاء للسؤال عن حاله وقال له: رأيت لك مناماً أرجو أن يكون خيراً. فقال: ماذا رأيت؟ فقال هكذا رأيت أنه أصبح لك صوت جميل والناس عادت ترتاح إلى أنفاسك. ففكر الخطيب ملياً وقال: ما أبرك رؤياك لأنها أطلعتني على عيب نفسي وعرفتني بقيق صوتي، وأن الناس من نفسي يتألمون، فقد ثبت من بعد هذا ألا أخطب إلا متأنياً.

قطعة

وإني ليؤذيني نفاقُ صحابتي لتحسينهم عندي مساوئُ أخلاقي
يرون عيوبي في الفضائل غايةً وشوكي زهوراً ذاتَ عَرَفٍ وأوراقِ
فأين عدوُّ لي على النقدِ قادرُ فيكشف عيبي إذا يمزقُ أطواقي

١٣- حكاية

كان رجل يتطوع للأذان بمسجد سنجار مع أن المستمعين ينفرون من صوته، وكان مؤسس المسجد أميراً عادلاً حسن السيرة، فلم يشأ أن يؤلم قلبه، فقال له يوماً: ايها الفتى إن لهذا المسجد مؤذنين قدما كل منهنم يتقاضى شهرياً خمسةً دنانير، وأنا أعطيك عشرة على أن تنتقل

إلى محل آخر، وعلى هذا وقع الاتفاق ومضى، وبعد مدة عاد إلى الأمير وقال: أيها السيد لقد خسرنتني إذ وجهتني من هذه البقعة بعشرة دنانير، وهناك حيث ذهبت أعطوني عشرين ديناراً على أن أذهب إلى محل آخر، فما قبلت. فضحك الأمير وقال: حذارٍ أن تقبل فإنهم يرضون أيضاً بخمسين ديناراً.

بيت

تُخَدِّشُ وَجَهَ المَرمرِ الفَاسُ إِنْ هَوَتْ عَلَيْهِ وَمِنْكَ الصَّوْتُ قَدْ يَخْدِشُ القَلْبَا

١٤- حكاية

كان رجلٌ منكراً الصوت يقرأ القرآن بصوتٍ عالٍ، فمر به متدين، فقال له: ما مقدارُ مشاهرتك؟ فأجاب: لا شيء. فقال له: ولماذا إذن تكلف نفسك؟ فقال: أقرأ لأجل الله. فقال له المتدين: أناشدُكَ لأجل الله ألا تقرأ.

بيت

ما دمت تتلوه بصوتك هكذا فابشر بِمَحْوِكَ رونق الإسلام

الباب الخامس:

في العشق والشباب

١- حكاية

قالوا لحسن الميمندي: ما بالُ السلطان محمود على كثرة ما يملكه من الغلمان الذين كل واحد منهم في الحسن آية دهره لم يُحبّ أحداً من أولئك محبته لأياز مع أنه لم يكن بارعَ الجمال فقال: كل ما علق بالقلب فان العين تراه جميلاً.

قطعة

من يلقَ من سلطانه اعتباراً فقبّحه في الحسن لا يُجارى

ومن عليه غَضِبَ السلطانُ جَفَتْ جِماهُ الأهلُ والخلازُ

قطعة

متى ما بعين الشُّخْطِ أبصر مبصرُ رأى يوسفى الحسن في غاية القبح
وإن يرَ في عين الرضى وجهَ قِرْدَةٍ رأى وجه مَلَكٍ لاح في وَصَحِ الصبحِ

٢- حكاية

حكوا أنه كان لسيّدٍ غلامٌ نادرُ الحسن، وكان يراعيه حسب المودة
والديانة، فقال يوماً لأحد أصدقائه: يُؤدِّي أنَّ هذا الغلامَ مع ماله من
حسن بارع لم يكن طویلَ اللسان عديمَ الأدب. فأجابه: يا أخي
لا تتوقع منه خدمة حيث أقررت بمحبته، إذ مادامَ في الوسط عاشق
ومعشوق فلا يمكن أن يكون هناك خادم ومخدوم.

قطعة

غلام كبدِ التَّمِّ لاح جبينُهُ فداعبَهُ مولاء من شدة الوجدِ
فلا بدَّعَ أن أبدى الغلامُ تدللاً وأصبحَ مولاه أذلَّ من العبدِ

بيت

أَعْبُدُ لِلسَّقِيِّ أَوْ لِلطِّينِ يَضْرِبُهُ وَالْعَبْدَةُ الْبِكْرُ خَذْ لَكُمْ لَا الطِّينِ

٣- حكاية

رَأَيْتُ عَابِداً أَوْقَعَهُ الْغَرَامُ بِحُبِّ غَلَامٍ، وَأَنْهَكَ سَتْرَهُ بَيْنَ الْأَنَامِ،
وَبَقْدَرٍ مَا كَانَ يَرَى مِنَ الْمَلَامِ وَيَتَحَمَّلُ مِنَ الْآلَامِ لَمْ يَتْرِكْ تَصَايِهِ، وَلَمْ
يُقْلِعْ عَمَّا هُوَ فِيهِ، وَيَتَشَدَّ:

قطعة

عَلِقْتُكَ لَا تَنْفِكَ عَنِّي عَلَى الْمَدَى وَلَوْ أَنَّ عَنَقِي مِنْكَ بِالسَّيْفِ يُضْرَبُ
فَمَا لِي مَلَاذَ عَنْ هَوَاكَ وَمَلْجَأَ وَمَالِكَ عَنِّي حَيْثُمَا كُنْتُ مَهْرَبُ
وَلَقَدْ لَمَتَهُ مَرَّةً وَقُلْتُ لَهُ: مَا الَّذِي حَصَلَ لِعَقْلِكَ النَّفِيسِ حَتَّى تَغْلِبَ عَلَيْهِ
ذَلِكَ الْحُبِّ الْخَسِيسِ؟ فَأَطْرَقَ طَوِيلًا وَرَفَعَ إِلَى رَأْسِهِ وَقَالَ:

قطعة

كُلَّ قَلْبٍ صَارَ عَرْشًا لِلْهَوَى لَيْسَ لِلتَّقْوَى بِهِ يُلْفَى مَحَلُّ

هل يدُ البؤسَى تُنْقِي ذَيْلَ من غاصَّ حتَّى أذنيه في الوحلُ

٤- حكاية

شاب سلب الهوى لُبَّهُ وملك قلبه، فاستسلم للردى، لأن مَطْمَحَ نظره
بمحلٍ خَطِرٍ وورطة هلاك وضرر، فليس لقمة تأتي للفم حسب المراد
ولا طائراً يُنْصَب لَهُ الشَّرْكُ فَيُصَاد.

بيت

إذا عينُ من تهوى عن التبر أعرضت تساوى لديك التبرُ والترُّبُ في القدرِ
ولقد نصحه أصدقاؤه فقالوا له: دع عنك هذا الخيال الباطل، لأن ناساً
مثلك أُسِرُوا بهذا الهوس الذي أَسْرَكَ، فزَلَّتْ بهم القدم إلى مهاوي
العدم، فأخذ ينوحُ وقال:

قطعة

أخْلَايَ لا أهوى النصيحةَ منكمو فطرفي بما يَهْوَى الحبيبُ مُوَكَّلُ

أَسْوَدُ الْحَمَى تَفْرِي الْعَدَى بِسَيُوفِهَا وَمَنْ جُوذِرَ فِي الْحَيِّ بِاللَّحْظِ أُقْتَلُ
 لَيْسَ مِنْ شَرِّ الْمَوْدَةِ أَنْ يَنْحَرِفَ الْقَلْبُ عَنْ الْأَحْبَاءِ خَوْفًا مِنْ هَلَاكِ
 الرُّوحِ، لِأَنَّ الْعِظَمَاءَ قَالُوا:

رجز

أَنْتَ الَّذِي قِيدْتَ نَفْسَكَ فَاحْتَجِبْ لَا تَدْعِي فِي حَبِّهِ دَعْوَى الْكَذِبِ
 إِلَّا تَكُنْ تَقْوَى عَلَى قَطْعِ الطَّرِيقِ فَالْمَوْتُ شَرٌّ فِي الْهَوَى جَدِّ حَقِيقُ

رباعية

لَمَّا عَجَزْتُ عَنْ التَّدْبِيرِ رُحْتُ لَهُ لَا أَرْهَبُ الْخَصَمَ إِنْ بِالسَّهْمِ يَرْمِينِي
 إِلَّا يَدِي تَلَقَّ مِنْ أَذْيَالِهِ شَرْفًا فَالْحَزَنُ فِي عَتَبَاتِ الْقَصْرِ يُرْدِينِي
 وَمَا زَالَ الْمُتَعَلِّقُونَ بِهِ يُعْمَلُونَ الْفِكْرَةَ فِي رَاحَتِهِ، وَيَشْفَقُونَ عَلَيْهِ لِسُوءِ
 طَالَعِهِ، وَيُسَدُّونَ لَهُ النَّصِيحَةَ لِيَحِلُّوا قِيُودَهُ، وَلَكِنْ بَلَا جَدْوَى.

بيت

مَا لِلطَّبِيبِ بَلَعَقَ الصَّبْرَ يَا مَرْنِي وَالنَّفْسُ تَوَاقَّةٌ لِلشَّهْدِ فِي فِيهِ

قطعة

ألم تسمعوا ماذا أَسْرَّ كعائبٍ حبيبي لقلبٍ فرَّ بالأمس من يدي
إذا أنتَ لم تعرف لنفسك قدرَها فلستَ لقدري آخر الدهر تهتدي

فأخبروا ابن الملك عن حاله لأنه هو الذي كان مطمحَ نظره وخياله،
فقاله له: هنالك شاب رأيناه يتردد على طَرَفِ هذا الميدان وهو حسنُ
الطبع حلو اللسان، وقد سمعنا منه ألفاظاً لطيفةً ونكاتٍ غريبةً، وعلمنا
من حاله أنه مُشَرَّد الفكر مضطرم الفؤاد، واستبان لنا أنه مُولَّه مفتون،
وقد أفضى به العشق إلى درجة الجنون، ففطن الولدُ أن قلب الشاب
متعلق به، وأن من المروءة أن يُزيحَ عنه طرفاً من هذا البلاء، وفي
الحال ساق جواده نحوه، ولما رأى الشاب أن ابن الملك مُوطدٌ عزمه
على الاقتراب منه بكى، وقال:

بيت

سعى إلي الذي في حبه تَلَفِي كظامي محرقٍ للأخذ بالثأرِ

ومع كثرة ملاطفته له وسؤاله عن اسمه ومحل اقامته والصنعة التي

يُحسنها، ما استطاع الشاب أن يَنسَ بِنْتِ شفة، لأنه كان غريقاً بأعماق
بحر الهوى.

بيت

إذا تحفظ السبع المثاني وتعشّق وحاولتَ ذكرى أي حرف سُخِفُ
فقال له ابن الملك: لماذا لا تُرد عليّ جواباً، فأنا كذلك من حلقة الفقراء،
وربما أن حلقتهم^(١) موضوعة بأذني، ولما قوي ذلك المسكين
باستئناس محبوبه رفع إليه رأسه من بين تلاطم أمواج المحبة وقال:

بيت

وهل في وجودي مَع وجودك غنية فما أقول هيا منك يقوى به نطقي
قال هذا وصاح صيحة أسلم على أثرها روحه لخالقه.

بيت

لا تعجَبَنَّ إِنْ يَمُتْ في باب فاتنه واعجب إذا روحه تنجو من العطب

١ - توضع الحلقة الذهبية عندهم علامة على الرق.

٥- حكاية

كان أحد المتعلمين كامل الصفات، ذا بشرة نقية وأخلاق رضية،
فمال إليه معلمه، فما كان يستحسن أن يُرَتَّب عليه الزجر والتوبيخ كما
رتب ذلك على غيره من الأطفال، وفي غالب الأوقات كان ينشد:

قطعة

يا مليكي لو شفني الوجدُ ما كنت بنفسي شغلْتُ عن ذكراكا
لم يكن لي عن ورد خديك صبر لو رمطني بنبلها لحظاكا
وذات مرة قال الولدُ: أيها المعلم، كما اجتهدت في آداب درسي
فتفضل كذلك بالنظر في آداب نفسي، فإذا رأيت في أخلاقي شيئاً غير
مقبول وكنت أراه حسناً فأطلعني على ذلك حتى أشتغل بتبديله. فقال:
إسأل عن هذا غيري، أما نظري إليك فلا يرى إلا الفضل والاستقامة.

قطعة

أطفأ الله نورَ عين حُسود يُبصر الفضلَ فيك عيباً مُشينا
ويرى فضلك الفريدَ محب لو تعدت عيوبك السبعينا

٦- حكاية

أذكر ذات ليلة أن صديقاً عزيزاً دخل عليّ غرفتي، فهِمَمْتُ
لاستقباله، فانطفأ السراج من كمي بدون اختياري.

«سرى طيفٌ من يجلو بطلعته الدجى»

فعجبت من أين أقبلت دولة حظي. فجلس وابتدأ بالعتاب، فقال:
لماذا أطفأت السراج حينما رأيته؟ فقلت لأمرين: أحدهما أنني
توهمت أن الشمس أشرقت، والآخر كما قال الظرفاء:

قطعة

إذا ما ثقیل سامت الشمع واحتبى فقم وأرخ بالطرد من ظلّه الجمعا
وعذب اللّمي حلّو التسم ضمه إليك وأطفئ إذ يطاوعك الشمعا

٧- حكاية

مرت على شخص مدة طويلة لم يرَ فيها خليله، فلما رآه قال: أين
كنت؟ فإني بشوق إليك. فقال: المشوق خير من الملول.

رجز

يا صنمي المغمورَ أبطئ بالبداز لا تُسرِعِ الوُضَلَ وإن تدنُ الدياز
فالحبُّ إنْ يبدُ قليلاً بقليلُ يفزُ من المأمولِ بالقسطِ الجليلُ

٨- حكاية

الحبيب الذي يجيء مع الرفاق ما جاء إلّا بالجفاء، إذ لا يخلو الحال
من الغيرة والمنافسة بين الأحياء.

شعر

إذا جئتني في رفقة لتزورني - وإن جئت في صلح - فأنت مُحاربُ

قطعة

لو أنّ حبيبي مال للغير لحظةً لما امتدّ بي من غيرتي أمدُ العمرِ
يقول: أسعدي إنني شمعُ مجلسي فإن تحترق فيه الفراشةُ ما وزري

٩- حكاية

لا أزال أن أذكر فيما مضى من أيام الشباب أنني كنت وصديقاً لي

في اتحاد الصلحة كفلقتي لوزة ضمن قشرتها، وقد وقع الفراق بيننا
بغته، ولما آب صديقي من سفره أخذ يعاتبني ويقول: لماذا لم تبعث
إلي رسولاً طول هذه المدة؟ فأجبت: تملكنتي الغيرة بأن تستنير عين
الرسول بجمال وجهك وأكون أنا محروماً منه.

قطعة

إذا ما علاني السيف لست بتائب فلا تتهمني بالمتاب عن الحب
أغار إذا روى امرؤ منك لحظه وهيهات أن تروى لحاظ الفتى الصب

١٠- حكاية

رأيت عالماً وقع في شرك غلام ورضي منه بالكلام، وقد حمل
جوره وتحمل جفاه فقلت له مرة بقصد النصيحة: أنا أعلم أنه لا إلة
لك في هوى هذا الإنسان لأن بناء محبتك له يتأسس على المذلة، ومع
كل هذا فلا يليق بفدر العلماء أن يلحقوا التهمة بأنفسهم، ولا أن
يتحملوا جور عديمي الأدب. فقال: يا أعز الأحاب أميك إليك يد
العتاب عما جرّه الدهر، ولقد فكرت كثيراً في هذه المصلحة التي
تقولها، فرأيت أن تجرّع الصبر على جفاه أسهل من الصبر عن لقاءه،

ولقد قالت الحكماء: وضع القلب على المجاهدة أهون من حجب النظر عن المشاهدة.

رجز

من لم تُنَلِّ من دونه الرغائب تَحْمُلُ الجفاء منه واجب
من أسلم القلب إلى حبيبه لذقنه مدت يدا رقيه
ان قفَّصَ الظبي الأغنَّ صائدُ فماله منجى ولا مساعدُ
لم أنسَ يوماً صحبُ منه بالأمان وكم قد استغفرت من ذاك الهوان
لا يَأْلَمُ الخليلُ من خليله وضعتُ قلبي بهوى مأموله
فإن يَصُلِّ باللطف يُحيي عبده أو يجفني فهُوَ العليمُ وحدهُ

١١- حكاية

وكذلك ابتليتُ في عنفوان الشباب بجميل تملَّك شَغافَ قلبي لِحما
وُهِبَ من صوت طيب الأداء ومحيًا كالبدْر إذا بدا.

قطعة

رَبِّي نَبَاتٌ عَارِضُهُ ماءُ حَيَاةٍ عِنَصْرُهُ
فَكُلْ شَيْءَ ذَاقَهُ يَظُنُّهُ مِنْ أَثَرِهِ

واتفق أن رأيت منه على خلاف المعتاد حركة غير مقبولة، فقطعت
صلتي به ولممت شذرات أفكارى عن محبته وقلت:

بيت

يا مُفْشياً سرنا لا تَفْشِ سِرَّك في حال وصاحب فتى ممن يواتيك
وسمعت أنه كان يقول عند ذهابه:

بيت

إذا أَعِينُ الخفّاش لا تقبل الضياء فيوحى بسوقِ الحُسن هيهات تكسُدُ
قال هذا وسافر فأثر فيّ فراقه.

شعر عربي الأصل

فقدتُ زمان الوصل والمرءُ جاهلٌ بقدر لذيذ العيش قبل المصائبِ

بيت

إن قَتَلِي بظل وصلك أحلى من حياتي بالهجر والتعذيبِ

ولكن بمنة الباري وشكره، لما عاد بعد مدة تغيرت حُنجرتُه الداودية،
وباءت بالخسران محاسنه اليوسفية، وعلا غبارُ العذار على ثُفاحه ذقنه،
وتغير رونقُ حسنه. وتوقَّع أن احتضنه فضمَّته وقلت:

قطعة

بخط عذار الحسن قد كنت تتقي سهام لحاظ الناظر المتطلِّبِ
فأقبلت تبغي الصلح في غير حينه «لضم وفتح» بانكسار مخيِّبِ

رجز

صَوِّحْ يا ربيعُ منك الزهرُ والنارُ لا يفورُ منها القدرُ
فكم تبخترت بساح شوكتك وكم حلمت بازدهار دولتك
فاذهب لمن يطلب أن يراكا وتِه وفاخرُ إنْ هو اشتراكا

قطعة

يقول أناس خضرة الروض زينة ومن قال هذا بالحقيقة أعلمُ
ويَكْنُونُ عن خط العذار وخضرة بها كلُّ قلب بالجمال مُتِمُّمُ
تأملُ فللكراثِ اكبرُ ميزة على البقل طراً كلما جُدَّ يَنجُمُ

قطعة

عهدتْكَ قبلَ اليومِ كالطبي ناعماً فَعُدْتَ بهذا العامِ أخشَنَ من فهدٍ
فسعدي يرى خدشَ المسلةِ مؤلماً وإن كان في خطِ العذار أخاً وجِدٍ

قطعة

إن اسطعتِ نَتَفَ الذقنِ أو كنتِ عاجزاً فدولة ذاك الحسنِ ولَّتْ يَدَ الدهرِ
ولو بيدي أسطيعُ مثلكِ نَتَفَها لما نبتتِ في عارضِي إلى الحشرِ

قطعة

أسائله ما بالُ وجهك هكذا تَغَشَّاهُ نملٌ وهو كالبدر في الدجْنِ
فأبدي ابتساماً لَسْتُ أدري لعلَّه بمأتمِّ حسني يرتدي حُلَّةَ الحُزْنِ

١٢- حكاية

سألوا أحدَ المستعربين في بغداد: ما تقول في المُرْدِ؟ فقال: لا خير فيهم
مادام أحدهم لطيفاً يتخاشن، فإذا خُشِنَ يتلاطف. يعني مادامت لطافةُ
حسنهم يتخاشنون، ومتى خُشِنُوا أظهرُوا المحبةَ وتلاطفوا.

قطعة

ما دام أُمردٌ يُزهى من ملاحظته فطبعه سيئٌ والقولُ مرذولٌ
حتى إذا نبئتُ لِلْعَن لِحَيْتِهِ أبدئُ تعطف أنثى وهو مخذولٌ

١٣- حكاية

سألوا بعض العلماء: عما إذا اختلى أحد بمن وجهه كالبدن
والأبوابُ مُغلقة والرقباء نيام والنفسُ طالبة والشهوة غالبة كما قال
المثل العربي: «التمر يانع والناطور غير مانع» فهل تعلم أن شخصاً
بسبب تقواه يمكن أن يَسَلَمَ؟ فقال: إذا سلم من ذي المحيا البدري لم
يسلم من كلام العائب المزري.

شعر عربي الأصل

وإن سلم الإنسانُ من سوء نفسهِ فمن سوء ظن المدعي ليس يَسَلَمُ

بيت

قد تعصمُ المرء تقواه وعفته لكنَّ ربطَ لسان الناس مُمتنعٌ

١٤- حكاية

وضعوا بيبغاء مع غراب في قفص، فكانت البيبغاء تكابد الآلام من قبح مشاهدته وتقول: ما هذه الطلعة المكروهة والهيئة الممقوتة والمنظر الملعون والطبع الذي ليس بموزون «يا غراب البين يا ليت ما بيني وبينك بعد المشرقين».

قطعة

متى لَحْتُ صباحاً لامرئٍ خابَ فأله وعاد كَلِيلٌ صبحُه قاتِماً جَدًّا
فصاحبُ أخا نحسٍ شبيهُكَ إن تجدُ وهيهات لا تتعبُ فلن تجدَ الندَّا
والأعجب أن ذلك الغراب زهقت روحه من محاوراة البيبغاء، ومَلَّ
معجاورتها، واستمر ينوح ويُنحي باللائمة على الزمان، ويضربُ يداً
بأخرى من الغبن والهوان ويقول: ما هذا البخْتُ المنكوسُ والطالع
المنحوسُ الذي حرمني تلك الأيام الزاهية الألوان التي تليقُ بقدري،
حيث كنتُ مع إخواني الزيفان أتبختر كل حين على حياط البستان.

بيت

كفى العبادَ سِجناً أن يُزجوا على كرهه بإسْطَبَلِ الشُّكاري

فأي ذنب ارتكبه يا تُرى حتى عاقبني الدهر فخرطني بسلك صحبة
هذا الأبله القائل برأيه، العديم الأصل، فأُسييت مبتلىً بمثل هذا
العابث المهذار.

قطعة

أُحسب إنساناً يلوذ بحائط به رسموا للذعر صورتك الشنعا
ولو كنت في الفردوس لاختارت الوري لظا سقر مأوى فراحث لها تسعى
وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم أن نفرة الجاهل من العالم
واستيحاشه منه تفوق نفرة العالم من الجاهل مائة مرة.

قطعة

لمجلسٍ سكيرين جاء أخو تقي فقالت له بلخيئة تشبه الدرا
فمادام لا يحلو لك اليوم حالنا فدعنا فقد أُمسيّت في ذوقنا مُرا

رباعية

جَمَعْنَا فِي النِّظَامِ بَاقَةَ زَهْرِ أَنْتَ مَا بَيْنَهَا كَعُودِ الثُّمَامِ
أَنْتَ كَالرِّيحِ عَاصِفًا فِي شَتَاءٍ أَوْ كَتَلْجٍ فِي أَنْحَسِ الْأَيَّامِ

١٥- حكاية

لي رفيقٌ صَحْبني عدة سنين في كل أسفاري، وكان بيننا خبز وملح،
 وحقوقُ الصَحبة التي لا تحصى كانت بيننا ثابتةً، وفي آخر الأمر لنفع
 يسير أجاز لنفسه تكدير صفوي وإيلاَم قلبي، فانقطعتْ صلتني به، ومع
 كل هذا لم يزل قلبُ كل منا متعلقاً بصاحبه، ولذلك سمعتُ أنهم لما
 أنشدوا في محفلٍ من كلامي هذين البيتين:

قطعة

أراني حبيبي الدُر عند ابتسامه فأورى بملح من ملاحظته جُرحي
 فهل جاد لي عنها بلمس عذاره كما يلمس المحتاج كُمَّ أخي مُنح
 شَهِد الأصدقاء لا على لطافة هذا الكلام، بل على حسن سيرتهم وصفاء
 سريرتهم، وبالغ هو كذلك من بينهم وتأسف على طرح تلك الصَحبة
 القديمة، واعترف بذنبه، ولما عرفتُ أنَّ الرغبة موجودة أيضاً من
 طرفه راسلته بهذه الأبيات وصالحته:

قطعة

أما كان عهدُ بيننا قبل بيننا فلم يا حبيب القلب لم تَفِ بالوعدِ

عقدتُ من الدنيا عليكِ رغائبي وما كان ظني أن تحوّل عن العهدِ
فَعُدْ لي إذا ما رُمّتَ صلحاً فإننا سنحيا كما كنا سعيدين بالودِّ

١٦- حكاية

كانت لرجل امرأة جميلة، فماتت وبقيت في الدار أمُّها العجوزُ
الخِرْقَةُ بسببِ صَداقِ ابنتها المؤجل، وبقي الرجل متألّم القلب من
محاورتها، وبحكم الصداق لم يجد بداً من مجاورتها. فقال له أحد
هذه الطائفة: كيف حالك بفراق حبيبك العزيزة؟ فقال: إن عَدَمَ رؤية
امرأتي لم يكن أصعب علي من رؤية أمها.

رجز

قد بقي الشوكُ لِنَهَبِ الوردِ وَالصِّلُ بعدَ الكنزِ ثاوٍ عندي
ما بينَ عينيَّ السنانُ يلمعُ ولا أرى وجهَ عدو يُفزعُ
ألفَ صديقٍ ما استطعتُ حايدٍ كيلا تُرني وجهَ عدو واحدٍ

١٧- حكاية

لا أزال أذكر أنني في أيام الشباب ترددتُ على شارعٍ لأتمتع بالنظر

إلى محيا يخلبُ الألباب، وذلك في تموز الذي شدة حره تجفف
 الريق في الفم، وسمومه يذيب المخ في العظم، فلم أستطع لضعفي
 كإنسان أن أتحمل حرارة شمس الهجير فالتجأت الى ظل جدار مُترقباً
 من يطفئ لي غلة الظما بشربة ماء بارد، وبغتة رأيتُ نوراً أشرق من
 دهليز بيت مظلم. أعني جمال وجه تعجز الفصاحة عن بيان صباحته،
 فكأنما هو صبح انبثق عن ليلٍ داجٍ، أو انه ماءٌ عين الحياة اندفق من
 الظلمات، بيده قدح ماءٍ مُثلج فيه مُذاب السكر، فلم أدرِ أُمِرَجَ بعرق
 طلعتة أو بماء ورد وجنته، أم تقطرت فيه قطرات من ياسمين محياه.
 والخلاصة، أنني تناولتُ القدح من فتنة يده فشربته وتداركتُ من أول
 عمري الماضي ما أهزقته.

شعر عربي الأصل

ظماً بقلبي لا يكاد يُسيغه رشف الزلال ولو شربتُ بحورا

قطعة

إن عيناً ترى محياً كهذا كل صبح لها الهناء يروقُ
 شاربُ الخمر قد يُفريق وحتى الـ حشر مخمورُ حسنه لا يُفريقُ

١٨- حكاية

في السنة التي اختار فيها السلطان محمد خوارزمشاه الصلح مع ملك الخطا دخلت جامع كاشغر، فرأيتُ صبيّاً ملاحته بغاية الاعتدال ونهاية الجمال كما قالوا بأمثاله:

قطعة

كلُّ حينٍ من المعلم درساً يتلقاه في الهوى فصحاً
الجفا والدلال والظلم للعا شق والجَدُّ تارةً والمُزاحا
لم تر العينُ مثله زُبّاً كا نَ ملاكاً أو كوكباً وضاحا
بيده مُقدِّمةُ النحو للزمخشري، وهو يردُّ «ضربَ زيدٍ عمراً وكان
المعتدي عمراً» فقلتُ: يا غلامُ، خوارزم وخطا تصالحا، وزيدٌ وعمرو
لا تزال الخصومة بينهما قائمة؟ فضحك وسألني عن مولدي، فأجبته
أرضُ شيراز. فقال: ماذا عندك من أقوال سعدي؟ فقلتُ:

شعر عربي الأصل

بليت بنحوي يصول مغاضباً عليّ كزيد في الخصام على عمرو
على جر ذيل ليس يرفع رأسه وهل يستقيم الرفع مع عامل الجرّ

فاستغرق بالتفكير ملياً وقال: إن غالب أشعاره في هذه الأرض
باللغة الفارسية، فتفضل بما هو أقرب لفهمنا لأجل القائل «كلموا الناس
على قدر عقولهم» فقلت:

قطعة

مُذَبَّتٌ بالنحو مشغوفاً أخا هويس محوَّتْ منا رسوم العقل يا أملي
شغلتنا بك من فرط الجمال ولم تنزل بزيد و عمرو أنت في شغلٍ
وفي الصباح حين وطدت العزم على السفر رأيته قد أقبل راكضاً
«ولعل أحد أفراد القافلة أخبره أن صاحبك هو سعدي» فأخذ يتلطف،
وعلى وداعي يتأسف، وقال: لماذا طوال هذه الأيام لم تقل أنك
السعدي كي أفي بحق الخدمة وأشد جزامي لشكر قدوم العظماء؟
فقلت: «مع وجودك لا أستطيع أن أشير إلى اسمي». فقال: وماذا عليك
لو استرحت أياماً في هذه البقعة لنغتنم خدمتك؟ فقلت: لا أقدر بسبب
هذه الحكاية.

رجز

رأيتُ شيخاً عاكفاً في غارٍ ناءٍ به عن صحبة الأشرارِ

فقلْتُ قُمْ واذْهَبْ لِبَعْضِ الْمَدِينِ تُلْقَى عَنِ الْقَلْبِ حَمُولَ الْحُزَنِ
فَقَالَ كَمْ حَوْرَاءَ فِيهَا ذَاتِ دَلٍّ تَزَلُّوْا رِجْلَ الْفِيلِ مِنْهَا بِالْوَحَلِ
قُلْتُ هَذَا وَتَعَانَقْنَا لِقَبْلِ الْوَدَاعِ.

قطعة

إِذَا نَلَيْتَ مِنْ خِلٍّ عَلَى الْخَدِّ قَبْلَةً فِي سَاعَةِ التَّوْدِيْعِ تُمَحِي وَتُدَثِّرُ
كَتْفَاحِيَّةً، خَدًّا كَلَيْنَا لَدَى النَّوَى قَدْ اصْفَرَّتْ مِنْهَا النِّصْفُ وَالنِّصْفُ أَحْمَرُ

شعر عربي الأصل

إِنْ لَمْ أَمُتْ يَوْمَ الْوَدَاعِ تَأْسَفًا لَا تَحْسِبُونِي فِي الْمَوَدَةِ مَنْصَفًا

١٩- حكاية

رافقتنا في السفر إلى الحجاز درويش مُعَدَم، فتصدق عليه أحدُ أمراء
العرب بمائة دينار لينفقها على عياله، وباعَت القافلة لصوص (خَفَاجَةً)
وسَلَبَتْ أمتعتها وأموالها، فَنَاحَ التَّجَارَ وَأَعُولُوا فَلَمْ يُجِدْهُمْ ذَلِكَ نَفْعًا.

بيت

متى نال لص من سَلِيبٍ مرادهُ فهِيهاتَ أن يرثي لنوح سَلِيب
 إلّا ذلك الدرويش فإنه بقيَ على حاله رابطَ الجأش لم يَظْهَر عليه
 أثر التغير. فقلت له: لعلَّ ما أعرِفُه عندك لم يُسَلَب. فقال: بلى.
 لقد سُلِبَ ولكن لم تكن أُلْفَتِي له شديدةً بذلك المقدار حتى يتألَّم
 قلبي لفقدِه.

بيت

فإياك من ربط الفؤادِ برَغْبَةٍ فتعجز إن تطلُب لعُقدتها حلًّا
 فقلت له: إن ذلك الذي قلته مطابق لحالي، فلقد امتزجتُ في عهد
 الصبي شباب، حتى كان صِدق مودتي له بهذا المثاب، إذ جعلتُ قبلةَ
 عيني جماله، ورأسمال عمري وصاله.

قطعة

أفي السماء ملاكاً كانَ أو بشراً فما على الأرض من في الحسن يحكيه

هيهات أن أصطفي من بعد فُرقته خلاً فَمَنْ مثله في اللطف والتيه
وفجأة طَوَّحَ به الأجل إلى مهاوي الثرى، وارتفع دخان أكباد أسرته إلى
عنان السماء، فجاورتُ تربته أياماً، وكان من جملة ما قلته في فراقه هذان البيتان:

قطعة

ألا ليتني في حين حُمِّ لك القضا سيف الردى قد أخدم الدهر أنفاسي
لثلا ترى عيني سواك وها أنا لدى الرمس أحنو الترب دوماً على رأسي

قطعة

ذاك الذي كان لا يأوي لمضجعه ما لم يُعطرُ بورِدٍ أو بنسرين
عدا على ورد خديه البلى ومحا بالشوك عن رسمه زهر البساتين
ولقد وطدت العزم بعد فراقه، وعقدت النية على أن أطوي بساط
الهوس بقية عمري، وأن لا أدخل حلقة مجلس طول دهري.

قطعة

كنفع البحر لا يوجد لولا موجه المُردي ولو لا الشوك ما ملت بناني من جنى الورد
كم اختلت كطاووس بجنة وصله أميس وبان فبت كالتعبان مطوياً على نفسي

٢٠- حكاية

حدثوا أحدَ ملوكِ العرب عن مجنونٍ ليلي واضطرابٍ حاله وفتنته وأنه مع كمال فضله وبلاغته هام على وجهه في البادية وأفلت من يده زمام إرادته، فأمر بإحضاره، فأحضر، فابتدره بالملام قائلاً: ما الخلل الذي رأيته في شرف الإنسانية حتى لزمّت الطبيعة البهيمية وتركت المعيشة الآدمية، فحكوا أن المجنون بكى وقال:

شعر عربي الأصل

ورب صديقٍ لأمّني في ودادها ألم يزها يوماً فيوضح لي غذري

قطعة

ليت الألى عابوا علي تدلّهي نظروك يا من قد أسرت ضميري
حتى إذا فتنوا بحسبك قطعوا أيديهمو شغفاً بغير شعورٍ

وما دامت حقيقة حسنها تؤدي الشهادة على دعوى محبتها، فحسبي
قوله تعالى: ﴿فذلكن الذي لمتني فيه﴾ ، فخطر ببال الملك أن يطّلع

على جمال ليلى حتى يعرف ما هي تلك السَّحنة التي هاجت إلى حد عظيم
هذه الفتنة، فأمر بطلبها، ففتشوا عنها، فقادوها إليه وأوقفوها بياحة قصره
بين يديه، فتأملها فإذا هي سمراء نحيفة الجسم، فبدت حقيرة في نظره،
ولا عجب فإن أدنى خدام حرمه أبدع منها حسناً وأجمل زينة، فأدرك
المجنون ذلك بالفراسة فقال: أيها الملك، كان يلزم ان تنظر إلى ليلى من
نافذة عين المجنون حتى يتجلى لك بمحبته سرُّ جمالها.

رجز

أراك بدائي لا تحسُّ وشقوتي فمَنْ لي بخلٍّ ذي هوى وحنانٍ
أكون وإياه لشكوى صابتي بنار الهوى عودين يحترقانِ

شعر عربي الأصل

ما مر من ذكر الحمى بمسمعي لو سمعت وُزق الحمى صاحت معي
يا معشر الخلان قولوا للمعا فني لست تدري ما بقلب الموجعِ

قطعة

ما للأصحاء علمٌ بالألَى مرضوا فليستُ أشكو الضنى يوماً إلى أحدٍ

مَنْ لَمْ يَذُقْ لِسَعَةً مِنْ عَقْرِبَ وَرَأَى بَرَحَ اللَّدِيغِ انْبَرَى لِلْوَمِ وَالْفَنَدِ
يَا صَاحَ مَا دَمَتْ لَمْ تَشْعُرْ بِحَالَتِنَا فَلَا تَكُنْ لِهَوَانَا شَرًّا مُنْتَقِدِ
مَا بِالْعَذُولِ كَمَا بِي مِنْ سَنَا حُرْقٍ فَالْمَلْحُ فِي يَدِهِ وَالْجُرْحُ فِي كَبْدِي

٢١- حكاية

حكوا أن قاضي همدان سكر بمحبة ابن ييطار، فألقت به نعل قلبه
في النار، واستمر مدة من الزمن جاداً في طلبه، وحسب واقعه يقول في
تطلبه:

رباعية

وَقَدْ كَفَرَ السُّرُوحَ لَنَاظِرِي فَجَزَّ طَمُوحُ الْعَيْنِ قَلْبِي إِلَى حَتْفِي
فَإِنْ رَمَتْ أَلَا تُسَلِّمُ الْقَلْبَ فِي الْهَوَى إِلَى أَيِّ إِنْسَانٍ فُغِّضَ مِنْ الطَّرْفِ

بيت

لَمْ أَلِ عَنْكَ عَنَانَ حَبِي مِثْلَمَا لَمْ تَلْتَوِ الْأَفْعَى إِذَا هِيَ رَضَّتِ
وَسَمِعْتَ أَنَّ الْغَلَامَ اعْتَرَضَ الْقَاضِي وَهُوَ مَارٍ فِي الطَّرِيقِ، فَكَالَ لَهُ

الشتَمَ والسبابَ بأقذع الألفاظ مقابلَ ما سمعه عنه بأذنه من التشبيب،
ورفعَ بيده حجراً ليضربه به، ولم يترك له أيَّ احترام، كلُّ ذلك
والقاضي يقول لأحد رفاقه وكان من العلماء المعترين:

بيت

أُنْظِرْ إِلَى عُقْدَةٍ نَكَرَاءٍ قَدْ جَمَعْتُ كُلَّ الْمَحَاسِنِ فِي تَقْطِيبِ حَاجِبِي
وَكَذَلِكَ يَقُولُونَ فِي بِلَادِ الْعَرَبِ «ضَرْبُ الْحَبِيبِ زَيْبٌ»

بيت

عَلَى فَمِي لَكُمُ بِالْجُمُعِ مِنْ يَدِي أَحْلَى مِنَ الشَّهَدِ يَبْدُو سَائِغاً بِفَمِي
وَكَمَا سَبَقَ فَإِنْ رَائِحَةُ مَسَاحِيهِ فَاحَتْ مِنْ مَجْمَرَةٍ وَقَاحِيهِ، شَأْنُ الْمُلُوكِ
يَتَكَلَّمُونَ بِمَنْطِقِ الْعِظَمَةِ وَالْكَبْرِيَاءِ وَيَطْلُبُونَ الصَّلَاحَ فِي الْخَفَاءِ.

بيت

يَبْدُو لَكَ الْعُنُقُودُ مُرّاً طَعْمُهُ فَاصْبِرْ عَلَيْهِ تَجَدُّهُ حُلُوءاً بِالْفَمِ

قال هذا وعاد إلى مَسند القضاء، فتقدم إليه جماعة من العدول
الملازمين خدمته وقبلوا يديه واستأذنه بالكلام قائلين: إننا نتكلم تأدية
للخدمة، ولو أسأنا الأدب لأن الكبراء قالوا:

بيت

لا يجوز الكلام في كل بحث والخطا لا يجوز عنه السكوتُ
ومن حيث أنَّ شُكر سوابق نَعَم المولى ملازمٌ لِعمر العبيد، فإنهم
متى رأوا أمراً في مصلحته ولم يخبروه به فقد ارتكبوا نوعاً من
الخيانة، ولذلك فإن من الصواب ألا تحوم حول هذا الطمع، وأن تطوي
دونه بساط الوَلع، لأن منصب القضاء قوي منيع، فليَحذَر معه التلوث بهذا
الخطأ الشنيع، وإن هذا الشخص قد رأيته وقبح حديثه قد سمعته.

قطعة

من لم يصن ماء الحياء بوجهه فحياء وجه الناس ليس يصونُ
ومن انتمى خمسين عاماً للعلی فبِزلةٍ يُمحي اسمه ويَهونُ
فارتاح القاضي لنصيحة أصدقائه، وأثنى على حسن رأيهم وحفظ

ودادهم، وقال: إن نظر الأعزاء في صلاح حالي هو عين الصواب
ومسألة لا تحتاج إلى جواب ولكن:

شعر عربي الأصل

لو أن حُباً بالملام يزولُ لسمعت إفكاً يفتريه عدولُ

بيت

فلمني ما استطعتَ فلستَ تقوى على غسل السوادِ عَنِ الزنوجِ
قال هذا وأحال على الغلام ناساً يتفحصون حاله، وبذل لاستمالته
نعمة لا تحصي، ولقد قالوا: كل من ذهبه في الميزان فقوُّه في الساعد.

بيت

من لم يكن ذا قدرة لم يجد ما عاش في الدنيا له مُسعفاً

بيت

يميل للعسجد الوهاج مُبصره حتى الحديد وقد عدَّوه ميزاناً

والحاصل أنه تيسرت له ذات ليلة خلوة به، وفي نفس الليلة سعى به
الوشاة إلى الوالي بأن القاضي في كل ليلة تعبت في رأسه المدام
ويلعب على صدره غلام، وهو في هذا النعيم لا يفتأ ليله يترنم بهذه
الآيات:

قطعة

يا ليلة لم تصح فيها الديوك وقد	بات المحبون ضماً تحت ديباج
ما أجمل الصّدغ حول الخد منعطفاً	والخد كوكب ليل مظلم داج
كأنّ هُما صولجان الآبنوس وقد	نيطت به كرة للقذف من عاج
حذارِ مادام طرّف الشر في سِنة	أن تقطع العمر في برح وإزعاج
مازلت في الفجر لم تسمع بمئذنة	صوتاً ولم تدع من طبل لإدلاج
فلا تدع شفة كالورد تلتهمها	من صوت ديك بلا جدوى لإحراج

وبينا هو في هذه الحال إذ دخل عليه أحد أتباعه وقال: انهض وما
دامت لك قدم تحملك فأسرع بالهرب، فإن الحساد ملكوك بهذه
الدّلة، ولعلهم قالوا عنك حقاً ومادامت نار هذه الفتنة لم يشب بعد
سعيها، فأطفئها بماء تدبيرك لئلا يتعالى في غد شررها، وينتشر في
العالم خبرها، فنظر إليه القاضي متبسماً وقال مترنماً:

قطعة

إذا أنشب الضرغام بالصيد ظفره فإن نباح الكلب ليس يضره
أمرٌ على خديه خدي تنعماً فخلّ حسودي يشويه سعيه

وكذلك أخبروا الملك في تلك الليلة بأن حادثاً منكرًا وقع في
ملكك فماذا تأمر؟ فقال: الذي أعلمه أن القاضي معدودٌ من فضلاء
العصر وأفذاذ الدهر، فربما أن خصومه خاضوا بحقه لغرض، فلستُ
بمصغٍ إلى مثل هذا المقال ما لم أطلع بنفسي على حقيقة الحال، لأن
الحكماء قالوا:

بيت

باطن الكف من يلمس شبا خذم يعضّ بالسن ظهر الكف من ندم
وسمعت أن الملك اصطحب معه جماعة من خاصته، وفي السحر
كان عند وسادته، فرأى شمعاً منظوماً وجميلاً مخموراً وشراباً مسكوباً
وقدحاً مكسوراً والقاضي في غفوة السكر ليس عنده خبر بما جرى
وبما سيجري، فايقظه الملك بلطف وقال له: قم فإن الشمس قد بزغت،

ففتن القاضي لما سيحل به فقال: من أيّ جهة بزغت؟ فأجابه الملك
من جهة المشرق. فقال: الحمد لله حيث لا يزال باب التوبة مفتوحاً
لقوله عليه الصلاة والسلام «لا يُغلق بابُ التوبة على العباد حتى تطلع
الشمس من مغربها» وأعقب ذلك بقوله: استغفر الله وأتوب إليه.

قطعة

ألا إن نقص العقل مع نحس طالعي هما أوقعاني في الخطيئة والبلوى
فإما تعاقبني فتلك عقوبة لجانٍ وإن العفو أقرب للتقوى

فقال الملك: توبتك في هذه الحانة التي أيقنت فيها بهلاك نفسك لا
تفيدك شيئاً. قال الله تعالى ﴿فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا﴾.

قطعة

أتنجي اللصّ توبته لكي ينجو من العطب متى في وجهه سُدتْ جميع الطرق للهرب
فلمُفرط في الطولِ قل استبقِ إذا تجني قصيرُ القامة المسكينُ في منأى عن الفصن

أو بعدَ وجود مثل هذا المنكر الذي ظهر منك تتصور الخلاص؟

قال هذا وتعلق به الموكلون بالعقاب، فقال: بقيت لي كلمة واحدة في خدمة مولاي. فسأله الملك: ما تلك؟ فقال:

قطعة

هيهات أجد أو أمل مكارماً سبقت وثق أني بعفوك عائذ
مازال لي أمل وجودك شامل أو رمت إتلافي فأمرك نافذ

فقال الملك: أتيت بكلمة بديعة ونكتة غريبة، ولكن مما يمتنع في العقل ويخالف الشرع أن يخلصك اليوم فضلك ويأئك من مخالف عقوبتي، وأرى المصلحة أن أقذف بك من أعلى القلعة الى أسفل الخندق ليعتبر بك الآخرون. فقال: أيها الملك أنا ربيب نعمة هذا البيت ولست أنا وحدي الذي ارتكب هذه الخطيئة، فاقذف من القلعة غيري حتى أعتبر أنا، فتبسم الملك وعفا عنه، وقال للذين وشوا به وسعوا لهلاكه:

بيت

نأت بحمل العيب أنفسكم لا تطعنوا في غيركم أبداً

٢٢- حكاية منظومة

هوى غادة في الحسن ليس لها ندُ	غلامٌ جميلُ الوجهِ والخُلُقِ شَفَّه
فراحا بتيار وأعياهما الجهدُ	إلى البحر ناداها فلبَّثَ ليسبحا
ومد يداً والموجُ يعلو ويمتدُ	فخف إلى الإنقاذِ ملاحُ زورقي
وشأنني فإن الموتَ ما عنه لي بدُ	فصاح الفتى أنقذ فتاتي واخلني
مُريعاً ووجهُ الموتِ أغبرُ مربدُ	وقال وأبدي للحياة تَجَهُماً
جَبَانٍ بيوم الضيق ليس له ودُ	حديث الهوى لا تستمعه من امرئ
لِصدق الهوى والمرء بالصدق يَعتدُ	فقبلني كم ضحَى محبٌ بنفسه
كما لاح في بغداد للعرب السعدُ	وكم أوضح السعديُّ للحُب منهجاً
وجَفْنَا عن الأغيارِ قَرَحَ السهدُ	فأغلق عن الدنيا فؤادك واسترخ
فعن قصتي بالعشق فليُنْقَلِ الخُدُ	إذا بالهوى ليلي ومجنونُ خُلدًا

الباب السادس:

في الضعف والشيخوخة

١- حكاية

بينما كنت مستغرقاً بالبحث مع طائفة من العلماء في المسجد الجامع بدمشق، إذا بشاب دخل علينا من الباب وقال: أيينكم من يعرف اللغة الفارسية؟ فأشار الجماعة إليّ. فسألته ما شأنك؟ فقال: شيخ سلخ مائة وخمسين ربيعاً تركته يعالج ألم الترع وهو يتكلم الفارسية ولم نفهم ما يريد، فلو أنك كلفت نفسك وذهبت معي إليه لنلت أجراً جزيلاً، إذ ربما أنه يؤدي الوصية. فلم أتردد، وسرنا إليه جميعاً، ولما جلست عند وسادته سمعته يشد:

قطعة

أريد لأنفاسي امتداداً وفسحةً فأتى وقد عيّت بمخرجها أف
فمن سفرة العمر العزيز فواكها أكلنا ولم نشبع فقالوا لنا كفوا

ترجمتُ للدمشقين معنى ما قاله بالعربية، فتعجبوا من طول عمره
وتأسفه على الحياة الدنيا. وسألته: كيف ترى نفسك في هذه الحالة؟
فأجاب: ماذا أقول وأنشد:

قطعة

ألا ترى أيّ آلام تنال فتى من قلع ضرر أصابئها يد الزمن
فمن ساعة النزع ما حال الشقي وقد سلّث بها روحه قسراً من البدن

فقلت له أطرّد شبح الموت عن مخيلتك ولا تترك الوهم يستحوذ
على طبيعتك، لأن الفلاسفة قالوا: المزاجُ مهما كان معتدلاً فلا يلزم أن
يُعتمد معه على البقاء، والمرضُ مهما كان مخوفاً فلا يمكن أن يدل
دلالة قطيعة على الهلاك. فلو أمرت فدعونا طبيياً لمعالجتك لكان خيراً
لك. فقال: هيهات وأنشد مرتجزاً:

رجز

يُزخرف القصرَ الأميرُ المنعمُ والقصرُ من أساسه يَنهدمُ
قد يئأسُ الطبيبُ إذ يرى الخَرْفَ من المريض إن مزاجه انحرفَ
يحتَضِرُ الشيخُ لقربِ الأجلِ والزَّوجُ تَطْلِيهَ بذهنِ الصنْدَلِ
أَجَلُ إذا ما انحرف المزاجُ فلا الرُّقى تُجدي ولا العِلاجُ

٢- حكاية

حُكِيَ عن شيخ أنه قال: كنت عقدت قراني على فتاةٍ بكرٍ، وخلوتُ معها
بحجرةٍ مزينةٍ بالورد والزهر، وربطت نظري وقلبي بحبها، وهجرتُ
نوم الليلي الطوال إذ خلوتُ بها، وأخذتُ أوردُ لها اللطائفَ والنكاتَ
لكي تستأنسَ فلا تحس بالوحشة، وذات ليلةٍ قلتُ لها: إن طالعتِ العالي
كان لك مُسعداً، ولحظتُ دولةً إقبالك كان مستيقظاً، إذ أوقعاك بصحبة
شيخ حنكته التجاربُ وعركته النوائبُ، فتحمل من الأيام حرَّها وقَرَّها،
وذاق من الليالي خلوها ومرَّها، وجرب جيدها ورديئها فعرف، حقَّ
الصحية، وقام بواجب شرط المودة، ولذا فهو مُشْفِقٌ راحمٌ ذو حنانٍ مع
حُسنٍ في الطبعِ وعذوبةٍ في اللسانِ.

قطعة

أحاول أن أرضيكَ جهد استطاعتي وإن تؤذني فالصفح مني لا عتبِ
 وإن كنت كاللبغاء تغذى بسُكرٍ فروحي قنْدُ من حبة القلبِ
 ولم يسلمالكِ بيد شابٍ مُعجَبٍ بنفسه عنيد غير ذي رأيٍ سديد بخفة
 القدم كلَّ لحظة يطبخُ هوىً بشكلٍ جديد، ينامُ كل ليلةً بمكان، ويهيمُ
 كل يوم بإنسان.

بيت

من البلبل الطماح لا تطلب الوفاً فمن وردةٍ طوراً إلى وردةٍ يصبو
 أما طائفة الشيوخ فيحيون بالعقل والآداب لا على ما يقتضيه
 طيشُ الشباب.

بيت

إصطحب إن وجدت أفضل مني فاصطحب الأنداد بالمرء يُزري
 قال: وعلى كثرة ما سقت لها من النواذر على هذا النمط توهمت أن

قلبها وقع في قيدي وأصبح من صيدي، وإذا بها صعدت فجأة من قلبها نفساً فاتراً من فؤاد مُفعم بالألم وقالت: إن جميع ما قلته لا يبلغ بميزان عقلي وزن كلمة سمعتها من قهرماتي، حيث كانت تقول: إن الشاب لو أنه سهم في جنب المرأة لكان خيراً لها من الشيخ الهرم.

شعر عربي الأصل

لما رأْتُ بين يديّ بعليها شيئاً كأرخبى شفة الصائم
تقول هذا معه ميّت وإنما الرُّقِيَةُ للنائم

رباعية

متى غضبت يوماً على المرء زوجته فكم فتنة في الدار تعلو بلا عطفٍ
إذا الشيخ لم تنهض (عصاه) لطعنة فرفع العصا منه عجبٌ على الإلفِ
والحاصل انه لم تكن الموافقة، فكانت النهاية المفارقة. ولما أكملت
عديتها عقد نكاحها على شاب عبوس الوجه صفر اليد رديء الطبع،
فعاث منه الجور والجفاء والألم والعناء، ومع ذلك فقد كانت توالي
شكر النعمة لله فتقول: الحمد لله الذي انقذني من العذاب الأليم،
وأوصلني إلى هذا النعيم المقيم.

قطعة

بجنبك نيرانُ الجحيمِ تلذ لي ولا مع سواكَ العيشُ في الجنةِ الخلدُ
فَتَنُّ فَمٍ من ذي مُحياً مورِدٍ ولا من يدِي شيخِ شذا الوردِ

قطعة

أَلْحِيُ والديباُجُ والعطرُ وما يُبْقِي على الوجهِ جمالَ جِدَّتِهِ
ذا زِينَةُ المرأةِ إنْ حَقَّقَتْهُ وزِينَةُ المرءِ مِضَاءُ آلَتِهِ

٣- حكاية

كنت ضيف شيخ في ديار بكر عنده مال كثير وله غلام كالبدر المنير، فقال ذات ليلة: لم يولد لي طوال عمري غير هذا الغلام، وذلك أن في هذا الوادي شجرةً يقصدها الناس للمناجاة في قضاء الحاجات، وكم من ليلة تضرعتُ بجذعها لمولاي جل وعلا حتى وهب لي هذا الغلام. وسمعت أن الولد كان يقول لرفاقه خُفِيَةً: ما ضرر لو عرفتُ مكان تلك الشجرة حتى أدعو بأن يموت أبي.

حكمة

بينما السيد يبتهج بعقل ابنه إذ طعن الولد فيه أن قد خرف.

قطعة

مرت عليك دهور ما مررت بها يوماً على قبر من رباك في الصغر
مادمت بالخير لم تُسعف أباك فلا تطمح بطرفك للابناء في الكبر

٤- حكاية

سرت في يوم من الأيام سيراً حثيثاً لاغتاري بالشباب، ولما جنَّ الليلُ أُلقيتُ نفسي من شدة الإعياء بسفح جبل، ومَرَّ بي في آخر القافلة شيخٌ ضعيف فقال: أيُّ نوم هذا! قم فليس هنا محل النوم. فقلت: لم تَبْقَ لي طاقة على السير، فقد تورمتُ قدماي. فقال: أما سمعتَ بالمثل القائل: سير يَبطِء، خير من سرعة يُعقبها إعياء.

قطعة

تمهل ولا تعجل وإن شفقك النوى لَمَنزَل ليلي وأتَعِظ والزم الصبرا

يكل الجواذ الأعوجي بعلوة مغيراً وتطوي العيس في مهلهما القفرا

٥- حكاية

كان في حلقة عشرتنا خفيف الروح طروب لطيف المعشر عذب اللسان، ما مر على قلبه الهم في يوم من الأيام، ولا فارق شفتيه الابتسام. ومضت مدة لم تتفق لي ملاقاته، وبعد ذلك رأيته متزوجاً قد شغل بالأولاد، وإذ بمسماز نشاطه مكسور وورد هوسه ذابل منثور. فسألته: ما هذه الحالة؟ فقال: مادمتُ قد بُليتُ بالعيال فلستُ أعودُ ولدًا أو أذوقُ طعم الراحة أبدًا.

شعر عربي الأصل

ماذا الصبا والشيب غيّر لمتي وكفى بتغيير الزمان نذيراً

بيت

أنقض بديك من الشباب فقد مضى ودع الظرافة للوليد العابث

رجز

لا ترجُ زهو الشباب الغض من هَرَم هيهات يرجع ماء مر في الوادي

فالزَرْعُ لم يبقَ مزهواً بخضرته عند الحصاد فأسلّمه لحصادٍ

قطعة

أسفاً على زمن الشباب فقد مضى ولكم بقلبي قد أضاء وأومضا
ولقد فقدت بفقده أسديتي ورضيت عنه بجن سرحان الغضا

بيت

صبغت عجوزُ شعرها فسألتها أماءُ يا غَرَضَ المنونِ الطارقِ
بسوادِ شعركِ إن خَدَعْتَ فهل تُرَى تقويسُ ظهركِ يستقيمُ لعاشقِ

٦- حكاية

رَفَعْتُ صوتي في يوم من الأيام على والدتي لتزق الصبي، فقبت
بزاوية تبكي وتقول: كأنك نسيت أيام طفولتك حتى عاملتني بكل
هذه القسوة.

قطعة

تصدت عجوز لابنها عندما رأت شراسة نمرٍ في صخامة فيلٍ

فَقَالَتْ لَوْ أَذْكَرْتَ صَعْفَكَ فِي الصَّبَا وَأَنْتَ بَخْضَنِي مُغْرَقٌ بِعَوِيلٍ
لَمَا كُنْتُ تَجْفُونِي بِذَا الْيَوْمِ حِينَمَا قَوَيْتَ وَغَالِ الْمَوْتُ أَغْلَبَ جِيلِي

٧- حكاية

مرض ولد لغني بخيلٍ، فقال له أصدقائه: من المستحسن أن تختتم
له القرآن أو تُفديه بقرّبان، فلعل الله أن يَمُنَّ عليه بالشفاء، وبعد أن
فكر طويلاً قال: ختم المصحف بالحضرة أولى لأن القطيع مرّاه
بعيدٌ، فسمع بذلك أحدُ النبهاء فقال: ما وقع اختياره على القرآن إلا
لأنه يخرج من طرف اللسان، ومن بين حنايا الروح يخرج الذهب الرّثان.

قطعة

فَلَيْتَ هَوَادِيهِمْ إِذَا مَا دَعَوْتَهُمْ تُسَابِقُ أَيْدِيَهُمْ لِفَعْلِ الْمَكَارِمِ
يُلْبُّونَ إِنْ يَدْعُو إِلَى خْتَمِ مُصْحَفٍ وَإِنْ رُمَتْ فَلَساً يَخْرُسُوا كَالْبَهَائِمِ

٨- حكاية

قالوا لشيخ: لم لا تتزوج امرأة؟ فقال: ليست لي أَلْفَةٌ بالعجائز. فقالوا

له: أطلب لك شابة فإن لك مُكنة. فقال: اذا لم تكن لي بالعجائز أُلْفَة وأنا من قُرَنايْهنَّ، فكيف أطمع بالشابة وأنا شيخ هم؟!.

بيت

تريد عزمًا بيوم العرس لا ذهبًا فالعزُدْ خير لها من ألف دينارٍ

٩- حكاية منظومة

سمعتُ بأن شيخاً رامَ خُوداً رَداحاً كي تعيدَ له الشباباً
فصادفها كجوهرةٍ أحيطُ بدرجةٍ لم تُمِطْ عنها النقابا
وحين بنى بها نامتَ عصاه بأولِ حملةٍ ورجا فخابا
وأوترَ قوسه ورمى بسهم على الهدف الحصين فما أصابا
وليس كإبرة الفولاذ تُلفى لشيخ كي يَشَلَّ بها الثيابا
وراح لصحبه يشكو وَقاحاً مخازنَ بيته تَرَكَتْ يابا
وطارَ الشر بينهما فأعطى به (السَّعدي) عن القاضي الجوابا
أينقب مُرْعَشُ الكفين دُرّاً فدعْ لومَ الفتاةِ وقلْ صواباً

الباب السابع:

في تأثير التربية

١- حكاية

كان لأحد الوزراء ولد بليد فأرسله إلى مربٍّ من العلماء وأوصاه بالاعتناء بتربيته عساه أن يصبح من العقلاء. فعكف على تعليمه مدة، فلم يتأثر، فردّه إلى أبيه قائلاً: إن ابنك هذا بعد أن صيرني مجنوناً لا يمكن أن يكون من العقلاء.

قطعة

إذا جوهر التلميذ قد كان صافياً سيدي متنى ربيته خير آثارٍ

وما من حديد قد تأكل من صدا ترقق سيفاً للردى جد بتار
أرى الكلب إن يغسل بسبعة أبحر فليس تراه طاهراً غير هَرَارِ
حمارُ يسوع لو مضى نحو مكة وعادَ فهل تلفيه غير حمارِ

٢- حكاية

كان أحد الحكماء يبذل لأبنائه النصيحة على الدوام، فيقول لهم:
يا روح أبيكم، تعلموا المعرفة إذ لا يصح الاعتماد على مُلك الدنيا
وإقبالها، فالجاء والذهب لا يخرجان مع من ذهب، والدرهم والدينار
معرضان للأخطار، فإما أن يسلبهما جملةً قاطع طريق، أو يأكلهما
المالِكُ لهما بالتفريق، أما المعرفة فعين دائمة الجريان، ودولة موطدة
الأركان، إذا زلّت بصاحبها القدم لا يستوي عليه غم ولا ندم، إذ
المعرفة في نفسها دولة، فحيثما حلَّ يكون بها مرموق القدر، ولا
يجلس إلا في الصدر، وأما عديم العرفان فحيثما حل ذليل مُهان، لا
ينال من الخبز كسرة، ولا يعيش إلا بالحسرة.

بيت

لصعبُ نفوذُ الحكمِ من بعدِ منصبٍ كذلك الجفا صعبٌ على مَنْ تَنَعَّمَا

قطعة

أُثيرتُ فتنةً بالشامِ يوماً ففر من الديار القاطنوناً
فأبناءُ القرى العقلاءُ جاءوا إلى دار الوزارة يشتكونا
وابناءُ الوزير مضوا لجهلٍ إلى إحدى القرى يتكففونا

بيت

إذا رمتَ ميراثاً فَرِثَ عَلمٌ من مضوا فمالُ الأبِ الموروثُ يُثْلِفُه الصرْفُ

٣- حكاية

كان أحد الفضلاء يعلم ابن ملك فيزجره تارة زجراً شديداً وأحياناً
يضره عند الاقتضاء ضرباً مبرحاً، فقدم الولد شكواه إلى أبيه لعدم
احتماله، وكشف ثوبه عن بدنه وأراه آثار الضرب، فتألم قلب أبيه
واستدعى الأستاذ، ولما مثل بين يديه قال له: أنت لا تجيز الجفاء

والتوبيخ بما يزيد عن الحد على أحد أفراد الرعية، فلماذا أجزت لنفسك ما فعلته بولدي؟ فقال الأستاذ: يليق بالإنسان ألا يتسرع بإعطاء الحكم قبل إعمال الروية. والعمل المقبول لازم على كل أحد وخاصة على الملوك، لأن كل ما يصدر عن لسان الملك أو يده يكون على الدوام مضغةً بأفواه العوام، وأما أقوال العامة وأفعالهم فليس لها أي اعتبار.

قطعة

إذا ما فقيرُ زلَّ ألفاً فربما من الألف لم يفتنَ لواحدةٍ واعِي
وإن زلَّ ملكٌ زلَّةً طار صيتها فدارت على السبع الأقاليم في ساعِ
إذن تهذيب أخلاق أبناء الملوك «أنبتهم الله نباتاً حسناً» أحقُّ بالاهتمام
من العناية بتهذيب أبناء العوام.

قطعة

منَ ليسَ يقبلُ في عهد الصبا أدباً لم يلقَ نجحاً بجُرفِ الشيبة الهاري
فالعودُ تحنيه رطباً كيف شئت وإن يئسَ فلم يستقم إلا على النارِ

شعر عربي الأصل

إن الغصون اذا قَوَّمتها اعتدلت وليس ينفعك التقويمُ بالخشبِ
فجاء حسن تدبير الأستاذ وتقرير كلامه مقبولاً عند الملك، فأُنعِمَ
عليه بخلعة سنية، ورفعته إلى مرتبة عليّة.

٤- حكاية

نظرتُ معلم مكتب في ديار المغرب عبوسَ الوجه، مُرَّ الكلام،
سَيَّ الطبع مولعاً بأذية الخلق، شرّة النفس لا يبالي بالآثام، ينكّد عيش
المسلمين بظله الثقيل في كل حين، ويُقسِي قلب الإنسان من تلاوة
القرآن، وقد كان في مكتبه لفيّف من الولدان الأطهار والجواري
الأبكار موثّقين بقبضة جَفاه لا يسمح لأحدهم بالابتسام ولا بالنطق
بالكلام، فتارة يضرب أحدهم ضرباً مبرّحاً، ويضع ساق الآخر الفضية
بالفلق تارةً أخرى وخلاصة القول اني سمعت أنهم وقفوا على طَرْف
من خيانتة، فصفعوا قفاؤه وطردهه وسلموا المكتبَ إلى رجل مُصلح
تقي ذي قلب سليم حسن السيرة حلِيم لا يتكلم الا عند الضرورة
وإذا تكلم فلا يُجري على لسانه ما يؤذي أحداً من العالمين. فخرجتُ

من رؤوس الأطفال هيبَةُ المعلم الأول لدماثة أخلاق المعلم الجديد ورقة طبعه. فأصبح كل واحد منهم شيطانَ الآخر، فتركوا الاغتراف من علمه لاعتمادهم على حلمه، وأخذوا يصرفون أغلب أوقاتهم باللهو والعبث وبكسر بعضهم لوح درسه على رأس بعض كما قيل:

بيت

متى رحم الأستاذ أطفال درسه فكالقِرْد في الأسواق يحلو لها اللعبُ
وبعد اسبوعين مررتُ بذلك المسجد فرأيتُ المعلمَ القديمَ فرحاً
مسروراً فقد أعادوه إلى مقامه الأول. فأقولُ لك مُنْصِيفاً بأنني تألّمتُ
وحوَقَلْتُ وقلْتُ: لماذا أعادوا إبليس مرة أخرى لتعليم الملائكة،
فسمعني شيخ مجرب، فتبسم وقال: ألم تسمع ما قيل:

قطعة

أرسلَ مَلِكٌ طفلَهُ لما شدا للمكْتَبِ
وفوقَ لوحِ فضةٍ خطَ لَهُ بالذهبِ
جَوْرُ المعلمِ يا فتى أَفْضَلُ من حُبِّ الأبِ

٥- حكاية

وقعت بيد ابن زاهد نعمة وافرة من تركة الأعمام، فانغمس بالفسق والفجور على الدوام، وتفتن بالتبذير وعدم الاهتمام، والخلاصة أنه لم يَبْقَ شيء من سائر المعاصي والمنكرات لم يرتكبه، ولا نوع من المسكرات لم يشربه. ونصحته مرة فقلت: أيها الولد، الدخل ماء جارٍ، والصفو طاحونٌ دائر. أعني لا يسلم كثير المصروف إلا لمن له دخل مُعين معروف.

قطعة

بدخلك فاحتفظ إن قلَّ واسمع صدنى الملاح إذ لك قد يُزِفُ
إذا الأمطارُ لم تُصبحْ سيولاً بهذا العامِ دجلةٌ قد تَجِفُ
فتمسكُ يا فتى بالعقل والأدب واترك اللهو والطرب، لأنه متى
نفدتِ النعم حملتْ أثقالَ المشقة والندم. فشغلتِ الغلامَ لذةُ الناي
والشراب عن الإصغاء إلى هذا الخطاب، واعترضَ على نصيحتي فقال:
إن تنغيصَ راحةٍ عاجلةٍ بتوقع محنة آجلةٍ خلافُ رأي العقلاء.

قطعة

أَفْقُ لا يَكْدُرُ صَفْوَ عَيْشِكَ يَا فَتَى وَأَنْتَ بِأَوْجِ السَّعْدِ خَوْفُ النِّوَابِ
بِیَوْمِكَ فَاحْفَلْ وَاشْرَحِ الصَّدْرَ بِالْصِّفَا وَغَمٌّ غَدٍ فَاتَرَكْ لِسُوءِ الْعَوَاقِبِ
فَكَيْفَ بِي وَأَنَا الْجَالِسُ بِصَدْرِ الْمُرُوءَةِ، الرابطة عقد الفتوة، الناشر ذكر
الأنعام على أفواه الخواص والعوام.

رجز

العلم المفرد في دنيا الكرم إن يربط الكنس على نقد يُذم
من حُسنت سيرته بين البشر لا يغلُق الباب بوجه من يزُر
ولما رأيت إعراضه عن النصيحة وتيقنت أن أنفاسي الملتهبة لم
تؤثر في حديده البارد، عدلت عن نصيحته، وأشَحْتُ بوجهي عن
مصاحبته، وقبعتُ بزَاوية السلامة، وتمسكت بقول الحكماء حيث
قالوا: «بَلِّغْ مَا عَلَيْكَ فَإِنْ لَمْ يَقْبَلُوا فَمَا عَلَيْكَ».

قطعة

تكرم على من لم يكن لك مصغياً بنصح وإن لم يدر ما قيمة النصيح

فعما قليل يوهنُ القيدُ ساقه لإعراضه عما بذلتَ من المنحِ
يقلُّبُ كفيه ألا ليت أنني أطقُ لبيباً لا يُريد سوى نُجحي

وما ذاك إلا أنني بعد مدة من الزمن شاهدت عياناً ما كنت أتصور أن
يقع من سوء المصير، فها هو قد أصبح يخطط الرقعة من الرقعة،
ويدأب لجمع اللقمة، إلى اللقمة فانقبض قلبي لضعف حاله، فما
رأيتُ من المروءة في مثل هذا الحال أن أجرح بالملامة قلبه وأدّر
الملح على الجرح، واكتفيت بما قلتُ في نفسي.

قطعة

يُسْكِرُ اليُسْرُ كُلَّ فَسَلٍ دُنِيٍّ لَمْ يُفَكِّرْ فِي الْعُسْرِ وَقَتَ الرِّخَاءِ
يَزْدَهِي فِي الرَّبِيعِ بِالْوَرَقِ الْغُصَّ نَ فَيَعْرِى لَذَاكَ عِنْدَ الشِّتَاءِ

٦- حكاية

سلم أحد الملوك ابنه إلى مؤدب وقال له: ربَّ هذا الولد كتر بيتك
أحد أبناءك، فجَدَّ المؤدب في تعليمه سنَّةً، فما أتى سعيه بطائل. وأما
أبناءؤ المؤدِّب فقد انتهوا إلى الغاية في الفضل والبلاغة. فعاتب الملك

المعلم قائلاً: لقد خالفتَ وعدك وما وفيت بشرطك. فقال المعلم: أيها الملك، التربية كانت متساويةً ولكن الاستعداد مُختلف.

قطعة

من الحجر النقدان عدهما الورى وما كل صلد حين تخبره نقداً
فهذا سهيلُ نوره غمر الدنى ولكنما تأثيره لَوْنُ الجلد

٧- حكاية

سمعتُ أن أحد الشيوخ المربين قال لأحد مريديه: لو أن تعلق ابن آدم بربه كتعلقه بطلب رزقه لتجاوز مراتب الملائكة المقربين.

قطعة

لم ينسك الله مُدْ أنشاك من علقٍ وكان في ظلماتِ الرحمِ مثواكا
أعطاك عقلاً وتدبيراً ومعرفةً وحسنَ سمٍّ وإحساساً وإدراكاً
وأنبتَ العشر في الكفين ثابتةً وساعدين لكسب الخير أولاك
فالآن يا فسلُ إذ أصبحتَ مُكتملاً تظن من قَدَر الأرزاق ينساكا

٨- حكاية

رأيتُ أعرابياً يقول لابنه: «أيُّ بُني، إنك مسؤول يوم القيامة عما اكتسبتَ، ولست بمسؤول لمن انتسبت» يعني أنهم يسألونك عن فعلك ولا يسألونك عن أبيك وأصلك.

قطعة

لِدَوْدَةَ الْقَزِّ لَمْ يُنَمِ النَّسِيجُ مَتْنٌ أَمْسَى سِتَاراً لِبَيْتِ اللَّهِ فَاعْتَبِرْ
فَسْتَرَهُ الْكَعْبَةُ الْغَرَاءُ أَكْسَبُهُ كَعَزَّهَا حُرْمَةً مِنْ سَائِرِ الْبَشَرِ

٩- حكاية

ورد في تصانيف الحكماء أن العقرب ليس لها ولادة معهودة كسائر الحيوانات، فربما أنها تأكل أحشَاء أمها وتفري بطنها وتَسْلُكُ طريقَ الصحراء، وإن تلك الجلود التي تُرى في غيران العقارب لَمِنْ آثار أعمالها.

ولقد حكيتُ هذه النكتة مرة أمام أحد الكبراء فقال: إن قلبي ليطمئن لصدق هذا الحديث، ولعل الحال لا يكونُ إلا هكذا، لأن

الذي يعامل أمه وأباه في صغره كهذه المعاملة، فلا جرم أنه في حال كبره يكون كذلك مقبولاً ومحبوفاً!!

قطعة

أوصى أب طفله يوماً فقال له إحفظ وصية شيخ مُرْعش هَرَم
مَنْ لا وِفاءَ له مِنْ طَبْعِهِ فعلى مر الزمان سِيحياً غير مُحْتَرَمِ

لطيفة

قيل للعقرب: لماذا لا تخرجين للناس في الشتاء؟ فأجابت: ما هو الاحترام الذي أُلَاقِيهِ في الصيف حتى أخرجَ أيضاً في الشتاء.

١٠- حكاية

حبلت امرأة فقيرة ما عرف الولدَ مُدَّةَ عمره، فلما أخذها المخاض قال: إن الله وهب لي ولداً ذكراً فسأبدل للفقراء كل ما تملكه يدي إلا هذه الخرقَة التي تستر جسدي. واتفق أن وضعت امرأته غلاماً ففرح به وأولم لأصدقائه حسب شرطه، ومرت أعوامٌ طويلةٌ الأمدِ، فعُدْتُ

بعدها الى دمشق ومررت بمحلة ذلك الفقير وسألت عن حاله، فقيل لي إنه أمسى في غيابة السجن. فسألت عن السبب، فقالوا: إن ابنه شرب خمرًا وفي أثناء سكره وعريدته أهرق دم رجل وفر من البلد، ولذلك وُضِعَتْ بعنق أبيه السلاسلُ وأوثقت ساقه بالقيود. فقلت: يا لله إن هذا البلاء الذي حل به كان بسبب دعائه من الله وطلبه الولد.

قطعة

لو أن نساءً حاملاتٍ أخوا الحجا ولَدَنَ لنا بعد المخاض أفاعيا
إذن كنَّ خيراً من نساءٍ حواملٍ يَلَدَنَ أناساً لا تحب المعاليا

١١- حكاية

سألت أحد المسئين - لما كنتُ طفلاً - عن البلوغ فقال: ورد في مسطور الكتب أن له ثلاث علامات: سن الخامسة عشرة، والاحتلام، وظهور شعر العانة. وأما في علم الحقيقة فله علامة واحدة وهي أن يكون التقيد برضى الحق جل وعلا أكثر من التقيد بحظ النفس، فكل من لا توجد فيه هذه الصفة فالمحققون لا يعدونه بالغاً.

قطعة

بيوم الأربعين تُعد خلقاً وقبلاً كنت من ماء مهين
وليس تُعد إنساناً إذا لم تُفد عقلاً بسن الأربعين

قطعة

فلا تحسبن أن الهَيُولَى بطبعها أفادتكَ لطفاً أو أعارتك منطِقاً
وهلْ ظلَّ إنسان يصيرُ أخا حجا إذا بان في الجدران رسماً مُمَقّاً
إذن أيُّ فَرْقٍ بين رسم بحائِط وبين أخي فضلٍ إلى الفلك ارتقى
فلست لجذبِ المالِ تُحسِّبُ عارفاً إن اسطعت فاجذب قلب غاوٍ الى التقى

١٢- حكاية

وقع في إحدى السنين لجاج مابين مُشاة الحجاج، وكان (الداعي)
من المشاة في ذلك السفر. وإنصافاً فقد أحدث كلُّ منا أثراً بوجه
الآخر، ورأسه واستبدلنا بالعدل الفسق والجدال، غير مبالين بما أمر به
المليك المتعال، فسمعتُ جالسا في المحفة يخاطبُ عديله قائلاً:
يا للعجب إن يَدَق العاج بلغ إلى غاية الشطرنج، فهل يصيرُ قِرْزاً

يا تُرى. يعني أبالإمكان أن يصيرَ أبدع مما كان، فمشاة الحجاج أتوا من فيجاج البادية، ولكنهم صاروا أردأ مما كانوا.

قطعة

قُلْ لمن حج ماشياً لا يبالي بسباب يُفري جلودَ العبادِ
لا تكن كالبعير يحمل وقرأً وهو ماض يَلوكُ شوكَ القتادِ

١٣- حكاية

كان أحد الهنود يتدرب على (رمي النفط)، فقال له الحكيم لما رآه: يا من بنيت من القصب محلك ليس هذا لعبة لك.

بيت

إذا لم تُصب كَبْدَ الحقيقةِ لا تَقُلْ وجانب جواباً لا تراه جميلاً

١٤- حكاية

أُصيبَ رجلٌ فسل بمرض العينين، فذهب الى يَيطار وطلب منه أن

يداويه، فوضع بعينه مما يضعه بأعين الحيوانات فعميت عيناه، ورُفِعَ الأمرُ للقاضي فقال: ليس على البيطار غُرم إذ لو لم يكن هذا حماراً لما ذهب إلى البيطار. والقصدُ من هذا الكلام أن كل من قدّم عملاً عظيماً المِقدار لعديم التجربة والاختبار وعاد عليه ذلك بالندم فإن العقلاء ينسبون ذلك لخفة عقله وسوء الفهم.

قطعة

ليس يعطي اللبيب ذو الرأي يوماً عملاً للوضيح جدّ خطير
أفمن ينسج الحصيرَ خَلِيقُ أن يعاني بالاسم نسجَ الحريرِ

١٥- حكاية

كان لأحد الكبراء ولد نبيه، فعدّت يد المنية على أبيه، فسئل ماذا تكتب على قبره للذكرى؟ فقال: عِزَّةُ آيَاتِ الكتابِ المجيد وشرُّها أرفعُ من أن تكتب على مكانٍ مثل هذا يُمحى بمرور الزمان فتدوسه الأقدامُ بالنعال وتبول عليه الكلاب على أقرب احتمال، فإن كان لابد من الكتابة فهذان البيتان:

قطعة

آه أوَاهِ كلما لاحَ في البُشْ ستان روضُكم كان يشرح صدري
يا حبيبي، الربيعُ حانَ فأقبلُ تُلَفِّ روضاً من طينتي فوقَ قبري

١٦- حكاية

كان أحدُ العبادِ يتعهدُ ذا نعمة بالزيارة، فرآه مرةً يعاقبُ عبداً له
وقد أحكم وثاق يده ورجله. فقال له: يا ولدي إنه مخلوقٌ مثلك وقد
جعله الله عزَّ وجلَّ أسيرَ حُكْمِكَ وأعلى فضيلتك عليه، فضع الشكر لله
على النعمة بمحلّه، ولا تُجزَ لنفسك كل هذا الجفاء على مثله، إذ ربما
يكون غداً عند الله أفضلُ منك وتكون أنتَ خجلاً مما فعلتَ به.

رجز

عبدك لا تغضبُ عليه جداً ولا تجزُ واطلبُ إليه الوُدَّ
بِعشرةٍ دَراهمَ اشتريته فهل ترى بقدرةِ خَلْقَتِهِ
مَا الْحَكْمُ مَا الْغُرُورُ مَا التَّجْبُرُ والله منك يا غيبي أكبرُ
وفي الخبر عن سيد البشر عليه السلام «أن أعظمَ حسرةٍ تكون يوم

القيامة هي أن يفوز العبدُ الصالحُ بالجنة ويُلقى سيدهُ الفاسقُ في الجحيمِ».

قطعة

مادام عبدك طوعَ أمرَكَ فليكنْ بالرفق يؤخذُ لا بسوطك يُجلدُ
إن الفضيحةَ في القيامةِ أن يُرى حُرّاً وأنتَ مع العصاةِ مُصَفَّدُ

١٧- حكاية

سافرتُ في إحدى السنين من (بلخ) إلى (شاميان) وكان الطريقُ مخوفاً تكمنُ فيه اللصوص، فرافقنا شاب كان هو الدليل، فرأيناه بَطَلًا في الشجاعة، له في رمي السهام ومصادمة الترس أوفرُ صِناعة، حتى أن عشرة رجال تعجز عن إيتار قوسه، ولا يستطيع أشداء المصارعين أن يُجَدِّلُوهُ على ظهره، إلا أنه نشأ في ظلال النعيم، فما جرب الدنيا ولا شاهد الأسفار أو ركب الأخطار، وما جلجل بسمعه رعدُ طبول الشجعان، ولا شامَ بلحظه بروقَ صوارم الفرسان.

بيت

بأسرِ العدى ما حاصَ في الغِلِّ عُنُقُهُ وفي الحرب لم يُمَطَّرْ بويلِ سهامِ

واتفق أن صرْتُ أتعاقبُ معه كدأب الرفاق، وفي أثناء السير لم يَلقَ جداراً يريد أن ينقض إلا هدمه بقوة ساعده، ولا رأى شجرة عظيمة، إلا اقتلعها بعزم مخالفه، وكان في غضون افتخاره يُنشد من أشعاره.

بيت

حدثوا الفيل عن صلابة زندي وهزبر العرين عن بطش كفي
وبينا نحن على هذه الحال إذ ظهر لنا هِنديان من وراء تلعة وقصدا
قتلنا، بيد أحدهما عصا عجرا وبيد الآخر صخرة نكراء. فقلت
للشاب: هيا للكفاح فماذا تنتظر؟.

بيت

هات ما في قواك من عَزَماتٍ فليحتفي العدى وحتفك تسعى
فرايتُ القوسَ والسهم وقعا من يده، وتمشتُ الرعدة في مفاصله.

بيت

ما كل من خرق الدروع بسهمه في الروح تَثَبُّتُ للردى قدماه

فما رأيتُ لي حيلةً إلّا أن أخلص من ثيابي وسلاحي وأمتعتي وأنجو بنفسِي.

قطعة

إلى أصعب الأعمال أرسل مجرباً بأشراكه يصطدّ لك الأسد الوردا
ودع عنك مفتول السواعد في الصبا يرى قلبه في حومة الحرب مُنقداً
وإن الذي قد جرب الحرب علّمه كحكم إمام الشرع مُعتَبَرُ جدا

١٨- حكاية

رأيتُ ابنَ غني جالساً حولَ قبر أبيه وقد استرسلَ بالمناظرة مع ابن فقير يُباهيه قائلاً: صُندوقُ تربةِ أبي حَجري مُحكم مكتوب عليه بالنقش الملون كأزهار النيروز، وهو مفروش بالرخام مرصّع بالفيروز، فماذا بقي من الفخر لقبر أبيك المبنى بلبستين، المرشوش من التراب بقبضة أو قبضتين.

سمِعَ ابن الفقير هذا الفخر فقال: اسكُتْ أيها الغبيُّ فإنه بينما يتحرّكُ أبوكُ من تحت ثقل الأحجار يكون أبي قد وصل إلى الجنة ونجا من النار. وفي الخبر عن سيد البشر «موت الفقراء راحة».

بيت

إن الحمار متى خَفَّتْ حمولته يطوي الطريقَ على الأيام مُرتاحاً

قطعة

يَخِفُّ على العاني الفقير مَمَاتُهُ وقد عاش محروماً وعاش ذليلاً
ومن عاش في الدنيا بخير ونعمة وفارقَهَا يَلْقَى الممات ثَقِيلاً
وإن أميراً بالقيود مكبلاً لِأَبَاسٍ حَرٍ لا يَكُونُ مَثِلاً

١٩- حكاية

سألت من أحد الكبراء عن معنى هذا الحديث «أعدى عدوك
نفسك التي بين جنبيك» فأجاب: السبب في ذلك هو أن كل عدو
تُحِسُّ إليه يُصبح لك صديقاً إلا النفس فإنك كلما تَزِيدُ في مداراتها
تَشْتَدُّ مخالفتها لك.

قطعة

يَشَأَى الملائك من قَلَّتْ مَا كُلُهُ ومُكَثِّرُ الأكل عنه البُهْمُ تَرْتَفِعُ
بالأمرِ يَصْدَعُ مَنْ تُعْنِي برغبته والنفسُ بالضدِّ بالترغيبِ تَمْتَنِعُ

جدال السعدي مع المدعي في بيان الفنى والفقير

إن رجلاً بصورة الفقراء وليس على سيرتهم كان جالساً في محفل،
فأخذ يواصل الخطة الشنعاء فاتحاً دفتر الشكاية بدم الأغنياء، حتى
أنهى الكلام إلى هذا المقام، وهو؛ أن يد قدرة الفقراء بالعجز مغولة
ورجل إرادة الأغنياء بالشح مكسورة.

بيت

لم تُلَف في أيدي الكرام دراهمٌ من بؤسهم وذوو الغنى بُخلَاءُ
وحيث كنتُ ربيَّ نعمة الكبراء لم يعجبني منه هذا الهُراء. فقلتُ:
أيها الصديق! الأغنياء مدخول الفقراء، وذخيرة المعتكفين في الزوايا

بلا مراء، فهم مقصد الزائرين وكهف المسافرين، وهم الذين يتحملون الأثقال لأجل راحة الآخرين، لا تمتد أيديهم إلى طعام إلا مع ذوي العلاقة والخدام، وفضلة مكارمهم موصولة بالأرامل والشيخان والأقارب والجيران.

قطعة

الْوَقْفُ وَالنَّذْرُ وَالْإِعْتَاقُ أَجْمَعُهَا لَهُمْ وَيَعْرِفُ ذَاكَ الضَّيْفُ وَالْجَارُ
بِرَكَعَتَيْنِ تُرَى هَلْ أَنْتَ تَفْضُلُهُمْ بِهَا لِعِجْزِكَ عِنْدَ النَّاسِ أَوْطَارُ

فالقُدرة على الجود والقوة على السجود متيسرة للأغنياء، لأن مالهم مزكى، ولباسهم طاهر منقى، وعرضهم مصون، وقلوبهم فارغ من الشؤون، لهم قوة على الطاعة باللقمة اللطيفة، ولهم صحة العبادة بالكسوة النظيفة، ومن الواضح أن المعدة الخالية لا تأتي بقوة، واليد الخالية لا تنهض بمرؤة، فمن الرّجل المقيدة أيّ سير تُريد، ومن البطن الخاوية أيّ خير تستفيد.

قطعة

فَلَقَّ الْوَسَادَ يَبِيتُ مِنْ لِكَفَافِهِ لَمْ يُلَفِّ فِي وَصَحِ النَّهَارِ طَرِيقًا

في الصيف تَلْقَى النملُ بِجَمْعِ رزقه كيلا يُعاني في الشتاء الضيقا
فالتفرغ لا يتصل بالفاقة، واجتماع الخاطر لا يُتصورُ عَقْدُهُ مع ضيق
اليَد، فشتان بين اثنين أحدهما مُرتبط بوقت صلاة العشاء، والآخر قابع
ينتظر العشاء، فأين هذا من ذلك؟

بيت

ذو الرزق بالله والأذكارِ مشغولُ وفاقد الرزق بالأفكارِ مشغولُ
فعبادة هؤلاء أقرب إلى محل القبول، لأنهم مستجمعون الحضور،
غيرُ مشغلي الأفكار ولا مضطربي القلوب لانتظام أسباب معيشتهم،
لذلك تراهم أبداً مرتبطين بالأذكار، والعربُ تقول: «أعوذ بالله من
الفقر المُكِبِّ ومجاورة من لا أُحب» وفي الخبر عن سيد البشر «الفقر
سواد الوجه في الدارين». فقال عند ذلك: ألم تسمع ما قاله عليه الصلاة
والسلام «الفقر فخري وبه افتخر» فقلت له اسكت، فإن إشارة سيد
العالم عليه السلام لطائفة الفقراء، المراد منها فُرسانُ ميدانِ الرضى،
المستسلمون لسهام القضاء، لا أولئك المرتدون لِباسِ الأبرار،
المتهافتون على نيل لقمة مصيرها إلى الإلدار.

رباعية

أيا فارغاً كالطبل مالك حيلة على بُلْعَةٍ ماذا يُبلغك السخفُ
نجنبُ طريقَ الكسب من غير وجهه ودَعْ سُبحَةً مقدارَ حباتها ألفُ

فالفقر الجاهل لا يستريح حتى ينتهي به الفقر إلى الكفر «كاد الفقر أن يكون كفراً»، لا يمكنهم بلا وجود النعمة كسوة العاري، ولا السعي في خلاص الأسير من العدو الضاري. وأين لِمِثْلنا أن يَصِلَ إلى مَرْتَبَة ذوي الغنى، ومن أين لليد السفلى أن تتفوق على اليد العليا. ألا ترى ما أخبر به الحق جلّ وعلا في محكم التنزيل عن نعمة أهل الجنة «أولئك هم رزق معلوم فواكه وهم مكرمون في جنات النعيم» حتى تعلم أن المشتغلين بالكفاف محرومون من دولة العفاف، ومُلْكُ الفراغ المقسوم تحت حجر خاتم الرزق المعلوم.

بيت

لا يحلمُ الظمآن في نومه إلا بعينٍ ثرَّه جاريه
أينما يذهب يرى تحمل الشدة ومذاق المرارة يوقعانه بالشره في

الأعمال المخيفة، ولا يتورع من تبعات ذلك خشية الآثام. فلا يخاف عقوبة الآخرة، لأنه لا يفرق بين الحلال والحرام.

بيت

إذا ما رَجَمْتَ الكَلْبَ يوماً بطويةٍ جرى فَرِحاً إذ رَاحَ يحسبها عظماً
ورب لئيم راء نعثاً فظنه خواناً له فما أقبح اللؤما

أما صاحب الدنيا فإنه بعين عناية الله ملحوظ، وبالحلال عن الحرام محفوظ، ومع أني لم أتم بعدُ تقريرَ هذا الكلام ولم آتِ على بيانه ببرهان فإني أتوقع منك الإنصافَ وطرحَ الخلاف، فهل أبصرتَ محتاجاً موثقَ الأكتاف أو سيئ طالع ثوى في سجن الاعتساف، أو سترَ معصوم تمرّق، أو كفاً من معصم تُقَطَّع، إلّا بعلّة الفقر؟ فبسبب الضرورة أوثق في المضايقِ أسودّ الرجال، وتحملت أعناقهم ثِقَلَ الأغلال، ومن المحتمل أن تطالب الفقيرَ نفسه الأمانة بالعصيان، إذ لم يكن تحصينها منه بالإمكان، لأن البطن والفرج توأمان، أعني اثنين في بطن واحد، ما نهض هذا إلّا وقام ذلك على القدم. ولقد سمعتُ أنهم ضبطوا فقيراً بحدّث خبيث على فعل يَحْجَلُ به ويُحَكَّم برجمه. فصاح: أيها المسلمون، ليس عندي ذهب فأتزوج ومالي قوة فأصبر،

فماذا أصنع؟ «لا رهبانية في الإسلام»، وإن جملة موجبات الحشمة وجمعية الأفكار في باطن أرباب النعمة أنهم في كل ليلة يعتنقون دُمية، وكل يوم على رأسهم غلامٌ، يدُ الصبح الوضاء من صباحته على الفؤاد من الوجل، وقدم السر المائس من الخجل غائصةً في الوخل.

بيت

بأكباد من حبه أنشَبَ ظُفْرُهُ فأصبح كالعنان لونُ أنامله
فمحالٌ مع وجود طلعتِه أن يحوموا حول المناهي أو يقصدوا
مفاسد الملاهي.

بيت

أقلبُ أبحَ الحورَ نهَبَ شِغافه بملتفتٍ يوماً إلى دُمية الحرب؟

شعر عربي الأصل

من كان بين يديه ما انتهى رُطْبُ يغنيه ذلك عن رجم العناقيد

أغلب فارغي الأيدي تتلوث أذيال عصمتهم بالمعصية، وأكثر
الجائعين يختطفون الخبر كما تختطفه الكلاب الضارية.

بيت

إذا ما عقورُ نال من لحم فاطيسٍ فعن جنسه أو نوعه غيرُ سائلٍ
فكثيراً ما وقع (المستورون) بعلّة الفقر في عين الفساد، وأطاروا
شرف العرض والدين في ربح السمعة السيئة بين العباد.

بيت

مع الجوع لا تبقى لتقواك قدرة ويُفْلَت بالإفلاس منها عِنانها
فما أنهيتُ الكلام إلى هذا المقام حتى أُفْلِتَ زِمَامَ طاقة الفقير من
يده، وسلّ علي صارم منطقته، ودفع جوادَ فضيحتته في ميدان وقاحته،
وصال عليّ قائلاً: لو سلمنا لك المبالغة التي أجزتها لنفسك في وصف
أولئك الأثرياء والكلمات المشتة التي لمتها في ذم هؤلاء التعساء،
فهل يتصورُ الوهم أن هذه الطائفة لسم الفاقة تَرياق، أو مفتاح لخزينة
الأرزاق؟ إن شر ذمة المتكبرين والمغرورين والمعجبين بأنفسهم

والمتجبرين والمشتغلين بالمال والنعمة والمفتسين بالجاه والثروة لا ينطقون إلا بالسفاهة، ولا ينظرون إلا بالكراهة، ينسبون العلماء للتكديّة، ويرمون الفقراء العديمي الحيلة بالعيوب، وماذا إلا بغرور المال الذي ملكوه، وعزة المنصب الذي تخيلوه، وبهذا يجلسون فوق الجميع، ويرون أنفسهم أفضل من جميع الخلق، وباستحكام الغرور منهم في الرأس، لا يرفعون رأس أحد من الناس، ما لهم علمٌ بقول الحكماء حيث قالوا: كل من نقص بالطاعة وزاد بالنعمة عن الآخرين فهو بالصورة غني وبالمعنى فقير.

بيت

على عالمٍ إما تكبر جاهلٌ غنيٌ فقل: هذا حمارٌ مُحَمَّلُ
قُلْتُ لا تجز لنفسك ذم أرباب النعم، فهم أهل الجود والكرم. فقال:
ركبت شططاً، وفُهِتْ غلطاً، إذا ما فائدة العبد المحتاج إذا كانوا سحاب
آذارٍ ولا يُمطرون، وشمساً وعلى أحد لا يُسرقون، وراكي خيل ولا
يجولون، لا يضعون قدماً لأجل الله في طاعة، ولا ينفقون درهماً إلا
بالمن والأذى، يجمعون المال بالمشقة ويحتفظون به من الخسة،
ويموتون بالحسرة. وقد قالت الحكماء: فضة البخيل تخرج حيناً من

التراب وتعودُ معه إلى التراب.

بيت

بالكدح يجمع طول العمر ثروته وتنتهي دونَ ما كدح لوارثه
فقلتُ ما عثرتُ على بخل أرباب النعمة إلا بسبب التكدية، وإلا فإن
كل من جائب الطمع فالكريم والبخيل عنده سيان، فالمحكك يعرف ما
الذهب، والمتسول يعرف من البخيل. فقال: لنقلُ في تجربة ذلك،
فإنهم يضعون على أبوابهم من يتعلق بالعباد، وينصبون الغلاظ الشداد
كيلا يُعطوا إجازة حتى للعزیز، ويدفعون بأيديهم في صدر صاحب
التميز، ويقولون: ما في الدار أحد، وبالحقيقة فقد صدقوا في ما يقولون.

بيت

لو كان ذا فطنة ما قال حاجبه لزائر عُد فما في الدار من أحدٍ
فقلتُ: لهم العذرُ في ذلك، فقد زهقتُ أرواحهم من كثرة أيدي
المتوقعين، وتراكم رقاع المتسولين، ولئن صار رملُ الصحراء دُرّاً
فمُحالٌ في العقل أن تمتلئ أعينُ الفقراء.

بيت

لا تمثلي عينُ طماع بكنز غنى والبئر بالطل ليس الدهر تمتلئ

حاتم الطائي كان مقيماً في البادية، ولو أقام في إحدى الحواضر
لَعَدِمَ الحيلة في دفع زحمة المسؤولين، ولمزق الثوب الذي يستر بدنه
من تسكع العاطلين. فقال: إنما أنا مترحم على حالهم. فأجبهته: بل أنت
متحسر على مالهم. وبيننا نحن في هذا الكلام، وكل منا مُستوثق على
الآخر بالزمام، كنتُ أسعى في دفع كل يَبْدَقِ يَسُوقُهُ، وكلما قال: شاه
سَرتُ عليه بالفِرز، فانقطع طريقه حتى صرف جميع ما نَقَدَ من كيس
همته، ورمى آخرَ سهم في جعبته.

قطعة

فلا تَقْعُ واتبِعْ هُدى النَّصِيحِ بهوَةً مِنْ حَمَلَةِ الفَصِيحِ
بالمالِ والعرفانِ صلُهُ تَتَّقِ شَرَّ الكلامِ الخادِعِ المنمَّقِ

وبعد النزاع الطويل لم يبق له دليل، فأطال يد التعدي، وأخذ يهرِفُ
بما لا يعرف، وسنة الجاهلين معلومة، وهي أنهم متى عجزوا عن

الدليل حركوا للمناظر سلسلة الخصومة، كآزر عابد الأصنام لما انقطعت حُججه مع إبراهيم عليه السلام نهض للحرب وقال: ﴿لَنْ لَمْ تَنْتَه لَأَرْجَمَنَّكَ﴾^(١). فقابلني عند ذلك بالسباب، فرددت عليه بسقط الكلام، ومزق طوقي، فتعلقت بلحيته.

قطعة

أَوْقَعْتُهُ وَلَوَى عُنُقِي فَأَوْقَعَنِي وَالنَّاسُ مِنْ خَلْفُنَا تَجْرِي وَتَبْتَسِمُ
وَالْخَلْقُ أَجْمَعُ مِنْ أَثْنِي وَمَنْ ذَكَرَ لَمَّا رَأَوْا عَجَبًا مِنْ أَمْرِنَا وَجَمَعُوا
ونهاية القصة، أننا رأينا أن نرفع هذا الخلاف إلى القاضي، ونرضى
بعدل حكمه حتى يرى حاكم المسلمين من أمر المصلحة ما يرى
ويوضح الفرق بين الأغنياء والفقراء، فلما رأى القاضي هيئتنا وسمع
منطقنا أطرق متفكرًا، وبعد التأمل الطويل قال لي: يَا مَنْ أَثْنَيْتَ عَلَى
الْأَغْنِيَاءِ وَاسْتَحْسَنْتَ جَفْوَةَ الْفُقَرَاءِ أَعْلَمُ أَنَّهُ لَا بُدَّ فِي الرُّوسِ مِنْ وَجُودِ
الشُّوْكِ مَعَ الْوَرْدِ، وَمَعَ الْخَمْرِ لَا بُدَّ مِنَ الْخُمَارِ، وَفَوْقَ الْكَتْرِ الدِّفِينُ يَلْبُدُ
التِّينِ، وَفِي مَغَايِصِ الدَّرَرِ الصَّحَاحُ يَكْمُنُ التَّمْسَاحُ. فلدغة الأجل خلف
لذة الدنيا متوارية، ونعيم الجنة محفوف بالمكاره المردية.

بيت

وما الرأي في جُور الحسود مع الهوى ولم يُلف ورْدَ دُونَ شوكٍ لمن يَجْنِي
أما نظرتَ في البستانِ الجذعَ اليابس والغصنَ الريان، فكذلك في زمرة
الأغنياء الشُّكُورُ والكفور، وفي حلقةِ الفقراء المتضجُّر والصبور.

بيت

لو أمطرتُ لؤلؤاً إذ أمطرتُ برداً لأصبحَ الدرُّ في الأسواق كالودع
فالمقربون من حضرة الحق جلّ وعلا هم الأغنياء الفقراء السيرة،
والفقراء الأغنياء بالهمة. وإن أعظم الأغنياء من اغتم لغم الفقراء، وإن
أفضل الفقراء من لا يتعلق بأذيال الأغنياء. قال الله تعالى: ﴿ومن
يتوكل على الله فهو حسبه﴾. وبعد ذلك حَوَّلَ وَجْهَ عِتابه عني إلى
الفقير وقال: اسمع يا من قلتَ إن الأغنياء مشغولون بالمناهي سُكاري
بالملاهي. نعمْ يوجدُ منهم طائفة كالذين قلتَ عنهم قاصرةُ الهمة كافرةٌ
بالنعمة يكسبون ويكتزون ولا يأكلون ولا يُعطون، لو أنهم مَطَرٌ مثلاً
لما هطلوا أو كانوا يُرسلون على الدنيا الطوفانَ، على مُكتنهم يعتمدون،

وبها عن محنة الفقير لا يسألون، ومن الله تعالى لا يخافون، ويقولون:

بيت

إن أغرقَ الفقرُ - كالطوفان - مَنْ يَسُوا فنحن كالبطِّ لا نخشى مِنَ الغرقِ

شعر عربي الأصل

وراكباتٍ نياقاً في هوداجها لم يلتفتنَ إلى من غاصَّ في الكُثْبِ

بيت

إذا ما دنيءٌ حادَّ عن رأسه الردى فليسَ لو اجتاحتِ الوجودَ بمُغتَمِّ

وكما أن قوماً على هذه الصفة التي بيئتها، فهناك طائفة أخرى
واضعة موائدَ النهم، معطية صلاتِ الكرم، مربوطة الأوساط للخدمة،
مفتوحة الحاجب للتواضع، فهم الراغبون في المعالي والمغفرة،
وأصحاب الدنيا والآخرة، أولئك كعبيد حضرة ملك العالم المؤيد من
عند الله المظفر المنصور على عداه مالك أزيمة الأنام حامي ثغور
الإسلام وارث ملك سليمان أعدل ملوك الزمان مظفر الدين أبي بكر
بن زنكي أدام الله أيامه ونصر أعلامه.

قطعة

لَمْ يَفْعَلِ الْأَبُ لِابْنِهِ مِيعْشَارَ مَا أَسَدْتُ يَدَاكَ إِلَى الْبَرِيَّةِ مِنْ نَعَمٍ
لَمَا أَرَادَ اللَّهُ نِعْمَةً خَلَقَهُ أَوْلَتْكَ رَحْمَتُهُ مَقَالِيدَ الْأَمَمِ

فعندما أوصل القاضي الكلام إلى هذا المقام وكثر بجواد المبالغة
عن حد قياسنا رضينا بما قضى وتغاضينا عما مضى ولزمنا طريق
المداراة في العذر عما جرى، وكللنا بالتدارك وضع رأسه على قدم
الثاني، وقبلنا بعضنا في الرأس والوجه، وكان ختم الكلام بعد الأين
بمسك هذين البيتين:

قطعة

أَخَا الْبُؤْسِ لَا تَشْكُ الزَّمَانَ وَجَوْرَهُ فَإِنْ تَكَثَّرَ الشُّكُوى تَمُتْ سَيِّئُ الْجَدِّ
وَيَا ذَا الْغِنَى كُلِّ مَا اسْتَطَعْتَ وَهَبْ وَجُدْ لَدُنْيَاكَ وَالْأُخْرَى تَنْلُ غَايَةَ الْمَجْدِ

الباب الثامن:

في آداب الصحبة

حكمة

جمعُ المال لأجل راحة العمر وليس العمرُ لأجل جمع المال. سألوا عاقلاً: من هو حسنُ الحظ ومن هو سيئة؟ فأجاب: حسنُ الحظ ذلك الذي زرع فأكل، وسيئُ الحظ الذي كثر ما جمع وارتحل.

بيت

ولا تصلّ علني من لم يُفدْ أحداً والعمرَ ضيعه في جمع ما تركه

نصيحة

نصح موسى عليه السلام قارونَ بقوله: ﴿أَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾
فما سمعَ، وسمعت النصيحةَ عاقبته.

قطعة

قل للذي لم يُفد خيراً بما كسبتُ يداه من ذهب هل فُقتَ مَنْ ذهبها
إن رمتَ تنعمُ بالدنيا وبهجتها فأكرم الخلقَ يُكرمك الذي وهبا

تقول العرب

«جُدْ ولا تمنن، فإن الفائدةَ عليك عائدة» يعني: هَبْ ولا تتبع هبتك
بالمئة، لأن فائدة الهبة عائدة عليك وحدك.

قطعة

إن المكارم إذ تطولُ جذورها تعلو إلى أوج السَّمَاءِ فروعُها
إن رمتَ تنعمُ بالثمار فلا تدعُ منشارَ منَّتِكَ الرهيبِ يروعُها

قطعة

أشكرُ إله الورى من إذ هداك إلى أن تفعلَ الخيرَ لم يُحرّمك نعمته
ولا تمنَّ على السلطان في عمل له به الفضلُ إذ أولاك خدمته

حكمة

اثنان جهدا بلا جدوى وسعيا بلا فائدة؛ الأول من جمع مالاً وما
أكل، والثاني من تعلّم العلم وما عَمِل.

رجز

مهما درستَ العلمَ كيما تكتمِلُ تُعَدُّ فيه جاهلاً بلا عملٍ
وهل يُعد عالمًا بين البشر إذا من الكتب حمارٌ قد وقِرَ
متى درى الحمارُ مبتورُ الذنبِ بظهره تُحمل كُتُبُ أو حطب

حكمة

العلم لأجل تقوية الدين، لا للتعيش في الدنيا أيها المسكين.

بيت

ألا كُلُّ من باع العلوم وزهدهُ سيقى نقي الكف يوم حصاده

حكمة

العالم بلا تقوى، كأعمى يحمل السراج «يهدي ولا يهتدي».

بيت

هباءٌ يضيغُ العمرَ من ليس يشتري بأمواله حمداً ويُنهبها سدى

حكمة

المملكةُ من العقلاء تكتسبُ الجمال، ومن الأتقياء تتحلّى بالكمال،
والملوكُ أشدُّ احتياجاً إلى نصيحةِ العقلاء من احتياجِ العقلاء إلى
التقرب من الملوك.

قطعة

نصحتك فاسمع يا مليكُ فلن ترى نظيراً لما أوليك في باطن الكتبِ

لغير ذوي الألباب لا تُعط منصباً وإلا فقد تُمسي مليكاً بلا لبّ

حكمة

ثلاثة أشياء ليس لها ثبات: المال بلا تجارة، والعلم بلا مداولة،
والمُلك بلا سياسة. الشفقة على الطالحين ظلم للصالحين، والعفو عن
الظالمين جور على البائسين.

بيت

إذا أنتَ عاملتَ الخبيثَ برأفةٍ فلا بدعَ إن يوماً يشاركك في الحكم

حكمة

لا يصحُّ لك أن تعتمدَ على صداقة الملوك، ولا يلزمُ أن تغترَّ بحسن
صوتِ الأحداث، لأن ذاك يتبدّل بخيال الأوهام، وهذا يتغير
عند الاحتلام.

بيت

صُنِ القلبَ عن حبِّ له أُلْفَ عاشقٍ وإلا فلهجران هَبَّ ذلك القلبُ

حكمة

كل سرٍّ تملكه لا تهتكه أمامَ صديق، إذ ما يُدريك أنه في يومٍ ما يكون لك عدوًّا، وكلَّ ضررٍ تقدر عليه لا توصِّله إلى العدو، إذ ربما صار لك صديقًا، وكل ما تؤدُّ إخفاءه لا تُطلع عليه أحدًا ولو كان عندك مُعتمدًا، إذ ليس هناك أحدٌ أشفق عليك من سرِّك.

قطعة

بالصمت فضلُ فكرٍ بالسر محتفظاً والخل لا تدَّعه بالسر ينبعثُ
والعين ما اسطعت فاسدُ رأسها فإذا فاضتْ ستصبحُ نهراً سُدَّه عبثُ

بيت

إذا القولُ لا يُرضيك سرًّا فلا تدعْ مجالاً في كل نادٍ ومحفلٍ

حكمة

العدو الضعيف الذي يُبدي لك الطاعةَ ويُظهرُ الصداقةَ ليس له

قصد من ذلك إلا أن يعود قوياً. قالوا: من ليس له اعتماد على وفاء الأصدقاء كيف يركن إلى تملق الأعداء. كل من يعدّ العدو الصغير حقيراً يشبه الذي يهمل الجذوة الصغيرة فتعود سعيراً.

قطعة

أخمد لظى النار إما كنت مقتدراً فالنار إن تعلّ لا تبقي ولا تذر
ولا تدع للعدى قوساً فتوترها فمن سهام العدى لا ينفع الحذر

نصيحة

تكلم بين العدوین بما لا یعقبك خجلاً إذا أصبحا صديقین.

قطعة

بين الاثنين الوغى نارٌ فلا تغذها باللؤم جزل الحطب
إن صفا قلباهما عدت إذن بسواد الوجه أو بالحرب
من يثرها بين شخصين فلا بد أن تحرقه باللهب

قطعة

تكلم مع الأصحاب سرّاً ولا تدع عدوك يرهف سمعه وهو جذلان

وزنُ كلِّ حرفٍ قبلَ نطقك واحترسْ فمنْ خلفِ جُدرانِ المنازلِ آذانُ

حكمة

كُلُّ منْ صالحِ أعداءِ الأُحبابِ يكونُ قد رَغِبَ في أذيةِ الأصدقاءِ.

بيت

انفضْ يديكَ من الصديقِ متى بدا في جنبِ خصمِكَ جالساً في محفلٍ

حكمة

إذا تردَّدتْ في إمضاء أمرينِ فاخترْ ما يعودُ عليك تنفيذهُ بأخفِ
الضررينِ.

بيت

مع السَّهْلِ في الأقوالِ لا تُبدِ مُشكلاً ومع من يُريدُ الصلحَ لا تطلبِ الحربا

حكمة

مادامِ العملُ يمكنُ أن يحصلَ بالذهبِ فلا يجوزُ لك أن تُلقِيَ
النفسَ في العطبِ.

بيت

إذا ما يدُ لم تَسْتَطِعْ أَيَّ حيلةٍ فغيرُ حرامٍ قطعُها بحُسامٍ

نصيحة

لا ترحمُ ضعفَ العدو لأنه إذا أصبح قوياً لا يرحمك.

بيت

بضعف العدى لا تَلُو بالفخر شارباً ففي كل عود إن حَرَقْتَ دُخانُ

لطيفة

كُلُّ من يقتل شريراً فإنه ينقذُ الناسَ من بلاءٍ ويخلصه من
عذاب الله.

قطعة

هبةُ الفتى خير ولكن لا تَضَعْ بجراح من يؤذي الخلائقَ مرهما
لا ترحم الثعبانَ واحذرْ أن تُرى منه على أبناء جنسِكَ أظلماً

تحذير

كثيراً ما وقعَ (المستورون) بيلة الفقر في عين الفساد وأطاروا
شرفَ العرض والدين في ريح السمعة السيئة بين العباد.

قطعة

على رأي العدو حذار تجري فتقرع بعد ذا سنَّ الندامة
وجِدْ عما يراه وإن تراءى أمامك كالقناة في الاستقامة

حكمة

الغضب إن زاد عن حده يأتي بالوحشة، واللطف في غير حينه
يذهب بالهبة، فلا تتخاشن كثيراً فتتفر الناس منك، ولا تلين جداً
فيجتري الناس عليك.

رجز

اللينُ والشدة إن يلتزما كالجرح يُشفى إن وضعت المرهما
فلا تكن ما اسطعت صلباً قاسياً والقدر لا تنقصه نقصاً مُزرياً
لا ترتفع عن قدرِكَ المحدود ولا تذلَّ ذلةً العبيد

قطعة

قد ناشد الأب راع لم يزل حدثاً هب لي نصيحة ذي رأي وتجريب
أجابه: كن قوياً يا بُني على قدر به تتوقى صولة الذيب

حكمة

اثان للمملكة والدين عدوان؛ سلطان بلا حلم وزاهد بلا علم.

بيت

لا دام فوق سرير الملك منتصباً ملك إذا لم يكن عبداً لِمولاه

حكمة

يليق بالملك ألا يتناهى به الغضب على الاعداء، ولا يعتمد على
الأصدقاء؛ لأن نار الغضب تعلق بصاحبها في الأول، وبعد ذلك يتصل
شررها بالخصم أو لا يتصل.

رجز

لا يلزم الإنسان وهو ابن الثرى أن يظهر الكبر على هذي الورى

فابنُ الترابِ إن تناهى في الغَضَبِ فليس من طينٍ ولكن من لَهَبِ

قطعة

سَعَيْتُ لِعَابِدٍ فِي (بَيْلِقَانٍ) فقلتُ من الجهالة نَقُ رُوحِي
فقال: أَيَا فَقِيهِ اصْبَحْ تَرَاباً أَوْ اذْفِنْ كُلَّ فَقْهَكَ فِي ضَرْحِ

مطايبة

رديءُ الطبعِ موثوقٌ أبداً بيدِ عدو، فحيثما يتوجه لا يجد خلاصاً
من برائن عقوبته.

بيت

أينجو رديء الطبع من شر نفسه فهيهات لا ينجو وإن جاوز الشعري

نصيحة

إذا رأيتَ التفرقة وقَعْتَ في عسكر الأعداء، فاجمَعِ الأصحاب، وإذا
رأيتهم قد أجمعوا أمرهم، فاحذرْ من تشتيت الشمل، وهَيِّئِ الأسباب.

قطعة

مَعَ الصَّحْبِ فَاجْلِسْ وَادْعِ النَّفْسَ آمَنًا إِذَا مَا الْأَعَادِي بَيْنَهُمْ وَقَعَ الْخُلْفُ
وَإِنَّمَا تَرَاهُمْ أَجْمَعُوا الْأَمْرَ بَيْنَهُمْ فَأَوْتِرْ قِسِيَّ الْحَرْبِ وَاهْجُمْ وَلَا تَعْفُ

تنبيه

الْعَدُوُّ مَتَى أَعْيَتْهُ الْحِيلَةُ حَرَّكَ لَكَ سُلْسَلَةَ الصَّدَاقَةِ، فَيَعْمَلُ فِي أَثْنَائِهَا
مَا لَا يَقْدِرُ عَلَى عَمَلِهِ فِي أَثْنَاءِ الْعَدَاوَةِ.

نصيحة

دُقْ رَأْسَ الْأَفْعَى بِيَدِ الْعَدُوِّ، إِذْ لَا يَخْلُو الْحَالُ مِنْ إِحْدَى الْحَسَنَيْنِ،
فَإِذَا غَلَبَهَا أَمَنْتَ شَرَهَا، وَإِذَا غَلَبَتْهُ نَجَوْتَ مِنْ شَرِهِ.

بيت

فِي الْحَرْبِ لَا تَأْمَنِ الْخَصْمَ الضَّعِيفَ فَقَدْ يَفْرِي حِشَا اللَّيْثِ إِنْ مِنْ رُوحِهِ يَنْسَا

نصيحة

لَا تُدْخِ نَبَأً تَعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ سَارٍ، حَتَّى يَجِيءَ بِهِ غَيْرُكَ.

بيت

هاتِ بُشْرَى الرِّيعِ يا بلبَلِ الرو ضِ وخَلِّ النعِيبَ للغربانِ

تحذير

لا توقِفِ الملكَ على خِيانةِ أحدٍ ما لم تثقِ كلَّ الثِّقةِ بالقبول، وإلاّ
كنت كالساعي إلى حتفه بظلفه.

بيت

أَحْكِمِ الرَّأْيَ ثم قُلْ بعدَ هذا حين تُلفي لما تقولُ سميعاً

مطايبة

كُلُّ مَنْ يَسْتَنْصِحُ رَأْيَهُ فهو بأشدِّ الحاجةِ إلى مَنْ يَنْصَحُهُ.

ملاطفة

لا تغتر بخداع العدو، ولا بغرور المادح؛ لأنَّ ذاك ناصبٌ فَنَحْ مكرِه،
وهذا فاتحٌ فَمَ طمعِه، فالأحمق يَطِيبُ له الشَّاءُ كالذَّيْبَةِ تُنْفَخُ من
كُرَاعِهَا لتظهر سميْنَة.

قطعة

بمدح فصيح لا تُغَرَّ أخا الحجا ولو بقليل النفع يرضى ويرغب
فيا رَبَّ يوم ليس يَبْلُغ قصده لَدَيْكَ فَيَبْدِي أَلْف عيب وَيُطْنِبُ

تربية

المتكلم مادام لم يُبَّهْه أحدٌ على عيوبه فكلامه لا يقبل الصلاح
في أُسلوبه.

بيت

بقولك لا تغتر أو حُسنِ سَبِّكَ فظنُّكَ لا يكفي ولا مَدْحُ جاهل

ملاحظة

كُلُّ إنسان يرى لعقله الكمالَ ولأبنائه الجمالَ.

قطعة

أثيرَ نزاعٍ أميس ما بينَ مسلم وبين يهودي صَحِكت له جَدًا

دعا المسلمُ اللهَ إنْ جُزْتُ عَقْدُهُ أمتني يهودياً أو امسخه لي فردا
وأقسم بالتوراة ذاك بأنه يموت على الإسلام إن زور العقدا
ولو جُنَّ كل الناس ما شكَّ جاهلُ بأنَّ له عقلاً يعيش به فردا

مطايبة

عشرة من الناس يأكلون على سفرة واحدة، وكلبان لا يمكن أن
يتقابلا على جيفة هامدة، فالحريص لو ملك الدنيا فهو دائماً جوعان،
والقانع أبداً برغيف الخبر شعبان.

بيت

العين لم تملأ بكنزَي عسجدٍ والجوف يملأه زعيفٌ واحدُ

رجز

إن أبي أجله لما انقضى قدّم لي نصيحةً ثم مضى
فقال لي: الشهوة نار تُتقى لا تذكيها للنفس كيلا تُحرقا
مادمت لا تطيق نار الآخرة بالصبر أطفئ نار هذي الغادرة

حكمة

كلُّ من في حالة المقدرة لا يفعل الجميل، سيواجه عند العجز

الشدة وهو ذليل.

بيت

مَنْ بَاتَ يَرُودِي الْوَرَى فَاَلْنَحْسُ طَالِعُهُ إِذْ لَيْسَ فِي الْخُطْبِ يُلْفِي صَاحِباً أَبْداً

حكمة

الروح في حماية نفس واحد، والدنيا وجود بين عديمين، والبائعو دينهم
بدنياهم هم الحمير، فماذا يرغبون إذ باعوا يوسف، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ
أَعْهِدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَلاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾.

بيت

نَكَشَتْ بَعْدَ الْحُبِّ إِذْ غَشَكَ الْعَدَى نَأْمَلُ تَشَاهُدَ مَنْ وَصَلَتْ وَمَنْ تَجَفَوُ

حكمة

لا عمل للشيطان مع المخلصين ولا للسلطان مع المفلسين.

قطعة

مَنْ لَمْ يُصَلِّ فَلَا تَقْرُضْهُ خَرْدَلَةً وَلَوْ تَرَأَى دَخَانُ الْجُوعِ مِنْ فِيهِ

مادام فرضُ الذي انشاه لم يَفِهْه فليس يسألُ عن قرضٍ فيوفيه

حكمة

كل شيء يأتي عاجلاً لا يمكن أن يثبت على الزمن.

قطعة

يَصْنَعُ الكَاسَ في مَدَى رُبْعِ قَرْنٍ عاملُ الصينِ بعدَ بذلِ الجُهودِ
وبِغدادَ أَلْفَ كَاسٍ بعامٍ فاعْرِفِ الفرقَ عندَ قبْضِ النقودِ

قطعة

يسعى إلى رزقه فرحُ الدجاجِ ولا يقوى على الفهمِ طفلُ العامِ فاعتبرِ
هذا بإسراعه ما نالَ مَفْخَرَةً وذا تريُّته أَدَى إلى الفِكْرِ
قَدْرُ الزجاجِ رخيصٌ من تكاثُرِهِ واللُّعْلُ نَزَرُ فأمسى جِدًّا مُعْتَبِرِ

حكمة

الأعمال بالصبر تيسر، والمستعجل يقع على رأسه فيكسر.

قطعة

بعينَيَّ في البِداء أَبصرتُ مَنْ مشى على مَهَلٍ أَعيا الذي مَرَّ مُسرعا
وكم قطعَ الخيلَ الجيادَ طرادُها وقد مَرَّ حادي العيس بالركب مزمعا

مطايبة

لم يكن للجاهل أفضل من صمته، ولو انه يعرف هذه المصلحة لما
عُدَّ جاهلاً.

قطعة

إن كنتَ لم تَمِلكَ فضلاً ولا أدباً فاحبس لسانك واعرف كيف تُصلحُه
فالمرءُ مِقولُه بالنطق يُخجلُه والجورُ خِفَّتُه بالكف تَفْضَحُه

قطعة

رأى أبلهً تعلیمَ جَحش فلم يزل يُغاديه في دأبٍ مدى العمر دائم
فقال له يوماً حكيمٌ مؤنباً ألمْ تخشَ يا مأفونُ لومةَ لائم
إذا عنكَ لم تَرِ البهائمُ منطقاً فخذ أنتَ درساً من سكوت البهائمِ

قطعة

سيأتي كثيرٌ من كلامِكَ خاطئاً إذا لم تُطلْ قبلَ الجوابِ التأملاً
فَضَعْ ما استطعتَ القولَ للناسِ حُلِيَةً أو اقْبَعْ ولا تنهَقْ بحملك مُثْقَلاً

مطايبة

كل من ناظر من هو أوسعُ منه علماً ليشهدَ الناسُ له بالفضلِ فإنما
ينادي ببيحته على جهله.

بيت

إذا ساق للناسِ الحديثَ أخو الحجا فلا تعترضْ حتى ولو كنتَ عالماً

لطيفة

كل من يجالسُ الأشرارَ فلن ينال خيراً مدى الأدهار.

قطعة

إذا ما مَلَكَ والرجيم تصاحباً تعلَّم منه مكرَ كل رجيمٍ

فلا ترج خيراً من لئيم وهل ترى على الدهر ذنباً خاط جلد بهيم

نصيحة

لا تفش عيوب الرجال الخافية، فإنك تسبب لهم الفضيحة، وتسبب لنفسك عدم الاعتماد.

تنبيه

كل من درس العلم وما عمل به فهو كمن حرث وما بذر.

عبرة

من الجسد الخالي من الإحساس لا تأتي طاعة، والقشر الفارغ من اللب لا يُعد في البضاعة.

تنبيه

ليس كل من يرغب في المجادلة يكون مستقيماً في المعاملة.

بيت

لها قامة كالغصن تحت إزارها وتبدو عجوزاً در ديبساً متى تُعرى

حكمة

لو ان الليالي كلها ليلة القدر لما كان أيُّ قَدَرٍ لليلة القدر.

بيت

لو ان كلَّ حصاةٍ درةٌ لغدى در النحور إذن في القدر كالمدر

حكمة

ليس كل من هو حسنُ الصورة يكون حسنَ السريرة، إذ القيمة باللب لا بالقشور.

قطعة

يجوز بيوم واحد تَسْبُرُ الفتى فتعرف أقصى ما يُجيدُ من العلمِ
وإياك أن تغترَّ إذ سُوء طبعه يبضع سنين ليس يبدو لذي الفهمِ

تخويف

كل من لج بالعناد مع العظماء فإنما أهرق من نفسه الدماء.

قطعة

أبصرتَ نفسك كالشخصين في عظم صدقتَ فيما ترى إذ كنت ذا حَوْلٍ
يا فاتح اللعب مع كبش النطاح أفيق كيلا يحطم منك الرأس في الجدَلِ

نصيحة

ملاكمة الأسد ومصادمة الحسام ليستا من عمل العقلاء.

بيت

إياك أن تلقى القويَّ متحارباً واضمم يديك الى الجناح وسلّم

تحذير

الضعيف الذي يتحاربُ مع القوي يُعين عدوّه على هلاك نفسه.

قطعة

أيطبق الكمأة من قد تربي في ظلال النعيم يوم النزالِ
لا تمُدَّن ساعداً يا أخا الجهل لضعيفاً يُثِرُن الرئبالِ

توبيخ

كل من لا يسمع النصيحة باهتمام يستحوذ عليه هوى
استماع الملام.

بيت

إن كنت لا تهوى نصيحةً ناصح فمتى سمعتَ صدى الملامةِ فاصمتِ

لطيفة

عديم الفهم لا يقوى على نظر صاحب العرفان، ككلاب السوق
متى رأت كلب صيد نهضت لحربه ولكنها تُكثر النباحَ ولا تجسر على
التقرب منه.

تحذير

السَّفِلَةُ إذا لم يقدروا على مقابلة أحد بالمعرفة فإنهم يخبثهم
يمزقون جلده في الغيبة.

بيت

في الغيب يطعنك الحسودُ لضعفه وتراه يُبدي في الحضور لك الودا

شكاية

لولا جور البطن لما وقع طائر بالفخ، بل ما كان الصياد يسعى
لنصبِ الشرك.

عبرة

الحكماء يطيلون مطال الجوع، وبعد ذلك يأكلون ما اتفق؛ والعباد
ينتهون عند نصف الشبع؛ والزهاد غايتهم سد الرمق؛ والشبان حتى
يُرفع الطبق؛ والشيوخ حتى يكدهم العرق؛ أما السكارى فحتى لا يبقى
في المعدة محل لنفس، ولا على المائدة رزق لأحد يُلتمس.

قطعة

عابد البطن ليلتان تراه فيهما لا يذوق طعم الرقاد
حين يعيبه الاتّخامُ والاخرى حين يخلو الوفاض من أي زاد

وعظ

المشورة مع النساء فساد، والسخاء للمفسدين من خطأ الأسياد.

بيت

من يرحم الذئب ذا الناب الحديد يجزُ جداً على النعجة البلهاء والراعي

نصيحة

كل من كان عدوه تحت قبضته ولم يقتله، فقد قتل نفسه.

بيت

أفعى على حجر وعندك مثله فأرى فساد الرأي أن تترددا

ويرى جماعة من العقلاء أن المصلحة بخلاف هذا الرأي قائلين:
إن التأمل في قتل الأسرى أولى وأحرى، لأن الاختيار باق، فيمكن
القتل ويمكن العتق. أما القتل بلا تأمل فيحتمل أن يفوت النفع
ويكون تداركك مثل ذلك ممتعاً.

رجز

يُمْكِنُ قَتْلُ الْحَيِّ لَكِنْ عَوْدُهُ إِلَى الْحَيَاةِ ثَانِيًا لَا يُمْكِنُ
لَا يَرْجِعُ السَّهْمُ إِذَا رَمَيْتَهُ لِلْقَوْسِ وَاصْبِرْ فَالْتَأْنِي أَحْسَنُ

نصيحة

الحكيم الذي انخرط في سلك الجهال يجدد به ألا يتوقع العزة
والإقبال، فإن الجاهل إذا غلب الحكيم بالكلام فليس بالعجيب، كما أن
كثرة الجوهر بالحجر لا يُعد في الغريب.

بيت

مَا بَصَمَتِ الْهَزَارِ مِنْ عَجَبٍ إِنْ يَبِثَّ وَالْغُرَابُ فِي قَفْصِ

قطعة

إِذَا مَا جَفَّتْ ذَا الْفَهْمِ أَوْ بَاشُ عَصْرِهِ فَلَا يَقْتَلْنُهُ الْحَزَنُ مِنْ سُوءِ مَا يَلْقَى
فَإِذَا حَصَاةٌ حَظَّمَتْ كَأْسَ عَسْجَدٍ فَكَيْفَ كُلِّ لَيْسَ تَهْوِي وَلَا تَرْقَى

لطيفة

لا تعجب من العاقل إذا لم يكن كلامه مسموعاً بين زمرة الأجلاف،
فإن صوت العود لا يظهر مع دردار الطبل، ورائحة العبير تغلب عليها
رائحة الثوم.

قطعة

ألا إنما الجهالُ ترفع صَوْتَهَا بغير حياء في النوادي لكي تعلو
ويخفت صوت الناي والركب سادرُ بأجواز عرض البید إن قُرِع الطبلُ

حكمة

الجوهر نفيس ولو وقع في النجاسة، والغبار خسيس ولو تصاعد
إلى الفلك، والاستعداد بلا تربية خسارة، والتربية لغير المستعد آمال
ضائعة، والرماد وإن علا نسبه لعلو جوهر النار حيث أنه لم يسم بنفسه
فهو والتراب سواء، وقيمة السكر ليست من القصب بل لخاصية فيه.

قطعة

ولولم يكن (كنعان) بالطبع فاضلاً لما ازداد قدراً من نبوة نسله
فجلبتكَ الآداب لا أصل جوهر فأزُرْ إبراهيم من بعض أهله

لطيفة

المسكُ هو ذلك الذي يُخفي نَفْحُهُ شذا الأزهار لا ما يحدثك عنه
العطار. العالمُ كعلبةِ العطار، صامتٌ تلمع منه المعرفة والجاهل، كطبل
الحرب عالي الصوت فارغ القلب.

قطعة

ذو العلم ما بين جهال له مَثَلٌ مستحسنٌ من أولي حُبَر وعِزْفانٍ
كمصحف بين شبان زنادقة أو غادة دُلبِر ما بين عُميان

نصيحة

الحبيب الذي لا تعلق به اليد إلا بمدة العمر لا يليق بك إيلاسه من
نفس واحد بالهجر.

بيت

بدهر طويل يصبح اللعل جوهرًا فإياك لا تحطئه في لحظة عمدا

تشبيه

العقل الموثق بيد النَّفس كالرجل الضعيف بيد المرأة القوية.

بيت

أغلق على الدار أبواب السرور إذا صوت النساء تعالى في نواحيها

حكمة

الرأي بغير قوة مكر وخداع، والقوة من غير رأي حمق وجنون.

بيت

صنِ المُلْك بالتدبير والعقل إنما سلاحُ لحرب الله مُلْكُ أخي الجهل

تربية

الكريم الذي يأكل ويعطي، أفضل من العابد الذي يصوم ويخفي.

مطايبة

كل من ترك الشهوة لأجل قبول الأنام، وقع من شهوة الحلال في شهوة الحرام.

بيت

إذا عابد لله ما اعتزل الورى فماذا بمرآة الظلام إذن يرى

لطيفة

القليل على القليل يصير كثيراً، والقطرة على القطرة تعود سيلاً
غزيراً، أعني أولئك الذين ليس لهم اقتدار يجمعون قطع الأحجار
حتى ينتهزوا وقت فرصة فينتقموا بها من دماغ الظالم لإزالة الغصة.

شعر عربي الأصل

وقطر على قطر اذا اتفقت نهر ونهر الى نهر اذا اجتمعت بحر

بيت

من قطرة قطرة سيل جرى وكذا من حبة حبة كم أُفِعِمَ الجُرُنُ

حكمة

لا يليق بالعالم الفاضل أن يصفح بحلمه عن سفاهة الجاهل؛ لأن
الخسارة على الطرفين، إذ تنقص هبة هذا، ويستحكم جهل ذاك.

بيت

إذا عاملت في لطف سفيهاً أبان لك التكبر والعنادا

موعظة

المعصية اذا صدرت من كل أحد لا تكون مقبولة، فصدورها من
العالم مصيبة كبرى، لأن العلم سلاح لحرب الشيطان، وشاكي السلاح
في الأسر أشد خجلاً من الجبان.

قطعة

الجهولُ الفقيرُ خيرٌ لعمرى من عليمٍ ملطخٍ بالعيوبِ

ذاك أعمى بمفرق الطرق ثاوٍ وبعينه ذا هوى في قليب

مطايبة

كل من لم يأكل الناس خبزَه في حياته، لا يذكرون اسمه بعد مماته.

حكمة

كان يوسف عليه السلام في سني القحط لا يَشْبَعُ حتى لا ينسى
الجوع، فإن الذي يعرف لذة العنب في الطعم المرأة الأرملة لا
صاحب الكرم.

قطعة

ألا إن من يحيا بخير وراحة بحال جوع الناس ليس له علمُ
بلى ليس يدري ما بهم غير بائس ألح عليه الفقر وانتابه السقمُ

قطعة

أيا من على ظهر الجواد وقد رأى حماراً بحمل الشوك قد غاص في الطينِ

ظننت دخان الجار قد ثار للقرى فذاك دخان ثار من كبدي مسكين

وعظ

لا تسأل عن حال الفقير الضعيف سنة القحط إلا بهذا الشرط،
وهو: أن تضع المرهم على جرحه وتلقي أمامه ما يخفف ألم قرحه.

قطعة

إذا رأيت حماراً غاص في وحلٍ فاعطف عليه واخل الرأس في العمل
واربط حزامك للانقاذ مجتهداً ولا تقل كيف هذا غاص في الوحل

وعظ

شيئان في العقل محالان، أن تأكل أكثر من الرزق المقسوم، وأن
تموت قبل الأجل المحتوم.

قطعة

لا يُردُّ القضاء من ألف آهِ وبشكوى ظُلامةٍ أو بشكرِ
أَملاك الرياح يَغْتَمُّ إن يُط سفاً سراجٍ لائِم ذاتِ فقرِ

نصيحة

يا طالب الرزق اجلس وهو يأتيك، ويا مطلوب الأجل لا تهرب
فذاك لا ينجيك.

قطعة

إن تسعَ للرزق أو تقعد هُديتَ فقد مضى - بما كان مقسوماً لك - الأزلُ
وإن تكنَ بين شِدقي ضيغم فأرى أن لست تُؤكَلُ ما لم ينته الأجلُ

حكمة

كل ما لم يُقسم لا يصل الى اليد، وما قُسم يُنال ولو كان في أي بلد.

بيت

خاض (الاسكندرُ) بحر الظلماتِ وسِواهُ عَبٍّ من (عين الحياةِ)

حكمة

بدون نصيب لا يظفر الصياد من دِجَلَة بحوت، والحوث ما لم ينته

أجله في اليأس لا يموت.

بيت

ذو الحرص يعدو وراء الرزق منتحباً والموت من خلفه يعدو ويبتسم

تشبيه

الغني الفاسق حجر مّطلي بالنّصار، والفقير الصالح محبوب ملوث
بالغبار، هذا خرقة موسى المرقعة، وذاك لحية فرعون المرصعة، وجه
شدّة الصالحين بالفرج مغبوط، ورأس دولة الصالحين في الهبوط.

قطعة

كلّ ذي دولة وصاحب جاءٍ ليس يهوى رعاية المخدود
خبّروه بأنه لن يُلاقى عزّة بعدها بدار الخلود

لطيفة

الحسود بنعمة الحق ما أبخله، على أنه عدو لمن لا ذنب له.

قطعة

رَأَيْتُ أَخَا جَهْلٍ يُمَزَّقُ دَائِباً إِهَابَ أَخِي جَاهٍ وَبُوسِعِهِ شَتْمَا
فَقُلْتُ لَهُ إِنْ كَانَ حَظُّكَ سَيِّئاً فَمَا ذَنْبُ ذِي الْحِظِّ الْعَظِيمِ فَلَا تَعْمِ

قطعة

أَلَا لَا تَرُمُ حَرْبَ الْحُسُودِ فَإِنَّهُ وَطَالَعَهُ الْمُنْحُوسُ مَا عَاشَ فِي حَرْبٍ
وَلَسْتُ بِمُحْتَاجٍ إِلَى حَرْبٍ مِنْ لَهُ عِدَاوَةُ نَفْسٍ لَا تُرِيحُ مِنَ الْكَرْبِ

تشبيه

التلميذُ بلا إرادة عاشقٌ بلا ذهب، والسائح بلا معرفة طائر بلا جناح،
والعالم بلا عمل شجرة بلا ثمر، والزاهد بلا علم دارٌ بلا باب.

نصيحة

المرادُ من نزول القرآن تحصيلُ السيرة الحسنة لا ترتيل السورة
المدوّنة، والعامي المتعبد مسافر على القدم، والعالم 'لمتّهون فارس
عاجز، العاصي الذي يرفع يده لله أفضل من العابد الذي تملك الكبائر

من رأسه فأرداه.

بيت

يَفْضُلُ (الْقَوَّاسُ) ذُو الطَّبْعِ اللطيفِ شَيْخَ فِقْهِ فِي الْأَذَى جِدَ مَخُوفٍ

مطايبة

قالوا لشخص ماذا يشبه العالم بلا عمل؟ فقال: زنبوراً بلا عسل.

بيت

أَلَا أَبْلَغُ الزُّنْبُورَ ذَا اللُّؤْمِ حِكْمَةً إِذَا عَسَلًا لَمْ تُعْطِ بِالسَّمِّ لَا تُؤْذِي

تشبيه

رجل بلا مروءة امرأة بلا تفريق وعابد بالأطماع قاطع طريق.

قطعة

أَيَا لَابِسًا ثَوْبَ الرِّبَاءِ مُبَيَّضًا وَصَيْتُكَ فِي الْآفَاقِ سَوْدَهُ الْإِثْمُ
أَلَا اقْصُرْ عَنِ الدُّنْيَا يَدِيكَ فَإِنَّمَا سَوَاءٌ لَدَيْهَا طَالُ أَوْ قَصُرَ الْكُمُ

لطيفة

اثنان لا تخرج حسرتُهما من الصدر، ولا قدُمُ تغابُنُهما من وحل
القهر، تاجر كُسرَ مركبِهِ فغرق، ووارث جلس مع السكارى.

قطعة

يُبِيعُ دَمَ الْمُثْرَى الْفَقِيرُ لْجَهْلِهِ إِذَا لَمْ يَجِدْ يَوْمًا سَبِيلًا لِمَالِهِ
فَلَا تَصْحَبِ الشَّخْصَ الَّذِي أَرْزَقَ ثَوْبَهُ إِذَا لَمْ تُرِدْ صَبْغَ الثِّيَابِ كَحَالِهِ
وَلَا تَقْرُبِ الْفَيْئَالَ أَوْ فَابِنَ مِثْلِهِ مَكَانًا يَعِيشُ الْفَيْلُ تَحْتَ ظِلَالِهِ

نصيحة

خلعة السلطان وإن تكن عزيزة فتوبك الخلق أعز منها، وعيش
الأكابر وإن كان لذيذاً ففتاتُ الخبز الذي في جرابك ألدُّ منه.

بيت

الْخَلُّ وَالْكُرَاثُ مِنْ كَدِّ الْفَتَى خَيْرٌ مِنَ الْجَفَنَاتِ فِي دُورِ الْقَرَى

حكمة

مما يُخالف رأي الصواب وينقض عهود أولي الأبواب استعمال
الدواء بالظنون، والذهاب في طريق مجهول بلا دليل ورفقة قافلة. سألوا
الإمام المرشد محمد الغزالي: كيف وصلت في العلوم إلى هذه المترلة؟
فقال: لأن كل شيء لم أعلم حقيقة لا أرى من العيب أن أسأل عنه.

قطعة

شفاءك ترجوه وترتاج إن تجد طبيياً بحسن النبض جاء بحاصل
وعن كل ما لم تدر فاسأل فإنما دليل على العرفان ذل التساؤل

حكمة

كل ما تدري بأنك ستعلمه، فلا تعجل بالسؤال عنه؛ لأنك تكسب
الحكمة خسارةً بضعف الهمة.

قطعة

لما رأى لقمان داوداً وقد لان الحديد بكفه كالمُوم

ما قال: ماذا أنت تصنعُ إذ رأيَ أمراً سيُوصِلُهُ إلى المفهومِ

أدب

من لوازم الصحبة وآدابها أن تُخلي الدار أو تتفق مع أصحابها.

قطعة

على مقدار طبع المرء حَدَّثَ إذا تلفي لقولك منه مَيْلا
متى يجلس ومجنوناً حصيفٌ فلا يروي سوى أخبار ليلني

مطايبة

كل من جلس مع الأشرار يُتَهم بطريقتهم وإن لم يُقْتَدَ بطبيعتهم،
وكذلك من ذهب إلى الحانة بقصد الصلاة لا ينسبه إلّا إلى شرب
الخمَر مَنْ يراه.

قطعة

ولما اخترتُ صحبةً غير كُفءٍ وسمتُ بميسم الجهال نفسي

فرحْتُ لعالم وطلبتُ نُصْحاً فجوابٌ إذ لُصِقتُ بكل جيسٍ
لو أَنَّكَ عالم تُمسي حماراً أو أَنَّكَ جاهل فإلني الأُخسُ

عبرة

حِلْمُ الجمل كذلك معلوم، فإنه ينقاد بالزمام لأي غلام، فيمشي مائة فرسخ في موافقته ولا يلوي العنق عن متابعته، غير أنه إن ظهر أمامه وادَّ مخوف يكون موجباً لهلاكه وأراد الطفل بالجهل أن يسير به من ذلك المحل فتراه يقطع الزمام من يد الغلام ولا يُطاوله بعد ذلك. فبوقت الخشونة تكون الملاطفة مذمومة. قالوا: لا يصير العدو بالملاطفة صديقاً، بل يزيد طمعه بأن يرى تفريقاً.

قطعة

لمن يُبدي اللطافة كن تراباً وذُرَّ بعين من خَشْنِ الترابا
ولا تَرَفُقْ بقاسي الطبع واعلم إذا صَدِئَ الحديدُ فلن يذابا

أدب

كل من أدْرَجَ باللغظ سيرةَ الخلق في الوسط لِيُظهر رأسَ مال فضله

فما أوضح إلا مرتبة جهله.

قطعة

ذكِّي القلب من أعطى جواباً لسائله على قدر السؤال
ومن يمزح وإن ينطق بصدق فدعواه تُعد من المحال

أدب

كان لي جرح يستره ثوبي، وكان حضرة الشيخ رحمه الله يسألني
في كل يوم، كيف جرحك ولم يسألني أين هو. فعلمت أنه كان
يحترز، إذ لا يليق بكل عضو أن يُصرح بذكره. كل من لا يَزن الكلام
يقع بالجواب في الملام.

قطعة

ما دمت لم تدر ما عينُ الصواب فلا تفتح بنطقك ما بين الأنام فما
فالسجن بالصدق خير من هوى كذب يُنجي من القيد إذ ما تخدع الأمما

تشبيه

الكلمة الكاذبة تبقى ضربة لازب ربما ينالها الشفاء، لكن علامتها

تأبى الخفاء، كإخوة يوسف عليه السلام صارو مؤسومين بكذب الكلام، ولم يُعتمد صدق قولهم بعد ذلك المقام. قال الله تعالى: ﴿بَل سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبِرْ جَمِيلًا﴾.

قطعة

إذا اعتاد قول الصدق دوماً أخو هدى وأخطأ كان العفو من صحبه سهلاً
ومن كان قول الكذب ديدنه وإن يفقه صادقاً لا يحفلون به أصلاً

مطايبة

الإنسان في الظاهر أجل الكائنات، والكلب أذل الموجودات،
وباتفاق العقلاء أن الكلب الحافظ للنعمة أفضل من ناكِر الجميل من
بني الإنسان.

قطعة

أرى الكلب لا ينسى الجميل بلقمة وإن يلق منك الجور والطرد والضرباً
ولو عاش في نِعَمائك ذو اللؤم دهره عليك لادنى هفوة يعلن الحرباً

لطيفة

من النفس المسمّنة لا يأتي صاحب معرفة، والذي بلا معرفة
لا يصلح للرئاسة.

قطعة

على الثور لا تحزن إذا مات إن يكن أكلوا نؤوماً لا يفيدك في الحقل
فإن رمّت تقني الشحم واللحم مثله تعش كحمار بل أذلّ من النعل

تربية

جاء في الإنجيل: يا ابن آدم، إذا أغنيك تشغل عني، وإذا أفقرتك تجلس
ضيق الصدر؛ فأين إذن تجد حلاوة ذكرى لتسارع إلى عبادتي وشكري.

قطعة

إذا كنت في نعيم فأنت بغفلة وإن كنت في بؤس فبحرك في القلب

وما دمت في السراء والضّر هكذا فقل لي متى تُعنى بنفسك للربِّ

عبرة

بإرادة الذي لا شبيه له، ينزل ملك عن عرش سلطنته، ويُحفظ آخر
ببطن الحوت.

بيت

بأحسن حال من بذكراك يأنس وإن غاب في حوت كما غاب يونس

حكمة

إن يسل سيف القهر العلي يُخفي الرأس كل نبي وولي وإن
تحركت إشارة اللطف في أي حين يتصل الطالحون بالصالحين.

قطعة

إذا بخطاب القهر في الحشر أخذنا فماذا اعتذار الأنبياء لدى الحشر

فإِذَا تُرِجَ عَنْ وَجْهِ لُطْفِكَ سِتْرُهُ فَكُلْ شَقِيًّا بَاتَ يَرْجُوكَ فِي خَيْرِ

وعظ

كُلْ مَنْ لَا يُلْزَمُ طَرِيقَ الصَّوَابِ بِتَأْدِيبِ الدُّنْيَا، يُوَثِّقُ فِي تَعْذِيبِ
الْعُقُوبِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ
الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾.

بيت

وَكُلْ عَظِيمُ شَأْنِهِ النَّصْحُ فَانْتَصِحْ بِذَا الْقَيْدِ أَوْ هَيِّئْ لَشَقَوَتِكَ الْقَيْدَا

عبرة

سَعْدَاءُ الطَّالِعِ يَتَنَاصَحُونَ بِالْحِكَايَاتِ وَالْأَمْثَالِ مِنْ آثَارِ
الْمُتَقَدِّمِينَ، وَبِهَذَا السَّبَبِ يَضْرِبُ الْأَمْثَالُ بِوَقَائِعِهِمْ طَائِفَةَ
الْمُتَأَخِّرِينَ.

قطعة

عَلَى حَبَّةٍ بِالْفَخِّ مَا حَامَ طَائِرُ رَأَى غَيْرَهُ فِي الْفَخِّ أَصْبَحَ وَاقِعَا

فخذ من مصاب الناس وعظاً ولا يكن مصابك منه الناس توَعظ فاسمعا

حكمة

ما حيلة الذي نقلوا أذن رغبته في الاستماع، وكيف يَشرد من
أوصلوه بقاء السعادة إلى خِطة الارتفاع.

قطعة

ألا إنَّ أهلَ الله يُشرق ليلُهم وإن كان دَيجوراً كما تشرق الشمسُ
وما سَعِدوا من قوَّةٍ بِسواعِدٍ ولكن بفضل الله تَبتهِجُ النفسُ

رباعية

لمن أشتكي إذ ليس غيرك حاكماً وأني يد تلو على يدك العليا
وما ضل من في الكون كنت لعقله دليلاً ومن تُضِلُّه هيهات أن يُهدى

عبرة

الفقير الحسن الختام خير من الملك الرديء العاقبة بالآثام.

بيت

الغَمُّ تعقبه الأفراحُ دائمةٌ خير من الصفو يأتي بعده الكدرُ

لطيفة

للأرض من السماء الثَّارُ، وللسماء من الأرض الغبار، وكل إناء
بالذي فيه ينضح.

بيت

إذا كان طبعي جاءَ عندك سيئاً فطبعك لي أظهره في غاية الحسنِ

أدب

الحق جل وعلا ينظر ويستر بالمنح، والجار لا يرى ويسخّش
بالجرح.

بيت

ولو كان ما تُخفي السرائرُ بادياً لما ارتاحَ ناسٌ من ملامة ناس

مطبعة

الذهب يخرج من معدنه بحفر المعدن، ومن يد البخيل يقلع نفسه ما أمكن.

قطعة

لَمْ يَأْكُلُوا مَا حَبَّأَوْهَ وَقَدْ رَأَوْا مَا أَمَلُوا خَيْرًا مِنَ الْمَأْكُولِ
أَنْظِرْ فَقَدْ بَقِيَ الْمُؤَمَّلُ بَعْدَهُمْ ذَهَبًا وَقَدْ ذَهَبُوا لِشَرِّ سَبِيلِ

أدب

كل من لا ينعم على من هو تحت يده، يوثقه جور الأقوياء
من عضده.

رجز

مَا كُلُّ مَنْ فِي سَاعِدِيهِ قُوَّةٌ يَقْوَى عَلَى قَبْلِ الضَّعِيفِ الْمَعْدَمِ
إِيَّاكَ أَنْ تَوَلِّمَ قَلْبَ عَاجِزٍ فَتُبْتَلَى بِجُورِ طَاغٍ فَارْحَمِ

حكمة

العاقل عندما يرى الخلاف في الوسط يقفز، وحين الصلح في البين
يثبت ويرتكز، إذ هناك السلامة عند الساحل، وهنا الحلاوة في
الوسط للناهل.

حكمة

لعب النرد إن كان ينبغي فيه الثلاثة مع الستة للقاصد، فالذي يجيء
مع الثلاثة لا يكون غير الواحد.

بيت

مراعي الحمى خير من الجري في الوغى ولكن عنان الخيل ليس بأيديها

تضرع

كان أحد الفقراء يقول: يارب ارحم الطالحين، فإنك رحمت
الصالحين بخلقك إياهم صالحين.

حكمة

الذي رقم العلم على الثوب الجديد ووضع الخاتم في اليد اليسرى هو جمشيد. فسألوه: لِمَ منحت كُلَّ الزينة للشمال مع أن لليمين خاصية الإفضال؟ فقال اعلموا وأنا لا أمين أنَّ زينة اليمين تكفي اليمين.

قطعة

وما رام أفريدون نقشَ خيامه وتطريزها إلا بأيدي بني الصين
وأهل التقى والفضل زانوا نفوسهم وأرواحهم بالعلم والحلم والدين

حكمة

قالوا لكبير مَكِين: مع هذا الفضل الذي اختصت به اليد اليمين، لماذا يَخْصُون اليد الشمال بالخاتم الثمين؟ فقال: أو ليس من المعلوم أن صاحب الفضل هو المحروم.

بيت

مَنْ أَبَدَعَ الحِظَ والأرزاقَ قَسَمَهَا يُعْطِي لك الفضلَ أو يُعْطِي لك الذهبا

ملاطفة

نُصح الملوك مسلمٌ لواحد لا يُدَاخِلُه الرهب، وهو الذي لا يخاف
على رأسه ولا يكون له أمل بالذهب.

قطعة

سواء لدى من وَحَدَ الله إن يُقَدَّ إلى النطع أو ينفخ ببدره عَسَجِدِ
فلا أمل فضلاً ولا راهبٌ رَدَى فذلك أسُّ الدين عند المَوْحِدِ

لطيفة

المَلِكُ لأجل دفع شر الظالمين، والنائب لمن يَكْرَهُ من دماء
المستضعفين، والقاضي لمصالح المتساكين وما انفصل عنه الأخصام
وكانوا بالحق راضين.

قطعة

إذا كان دفع الحق يلزم يا فتى فباللطف أحرى أن تؤديه لا الحرب
فأعط خراج الملك عن طيب خاطر وإلا فغصباً بالإهانة والضرب

مطايبة

كل من تضرس سنه فالحموضة هي السبب، إلا القاضي فلحلاوة
المُكتسب.

بيت

بـخمس خـيارات لئن تـرش قاضياً فـكـدساً من البـطـيخ تُـثـبُ في الحـقلِ

لطيفة

ماذا تصنع العجوز إن لم تتب بالزنا؟ وكيف للمُحتسب المعزول أن
يؤذي الخلق بالعنا؟.

بيت

فكبح جماح النفس يجدر بالفتى ومَن شاخ مانتَ في الفراش رغائبه

حكمة

سألوا حكيمًا: على قدر ما اشتهر من هذه الأشجار التي خلقها الله

تعالى عالية ذات ثمار، لم يطلق الناس اسم (المعتوق) إلا على السرو مع أنه ليس له ثمر كسائر الشجر فقال: لكل من تلك دخل معين ووقت معلوم، فتارة تزهى بوجوده، وتارة تذبل بعده، والسرو ليس له هذا التقلب بل هو زاهٍ في جميع الأوقات، وهذه هي صفة الأحرار.

قطعة

لا تَهْوُ ما عَشَتْ شيئاً لا ثباتَ له فكم جَرَتْ دِجْلَةٌ من بعد (هارونِ)
فان قدرت فكن كالنخل ذا كَرَمٍ أو لا فكالسرو حُرّاً في البساتينِ

وعظ

اثنان بالحسرة ميتان؛ الأول: مَنْ ملك وما أكل، والثاني: من علم ولم يعمل.

قطعة

لا ترى ذا البخل ممدوحاً وإن يَخُلُ من عيب رَمَوْه بالعيوبِ
وأخو الجود وإن يُذنب فقد يَغْفِرُ الجودُ له كلَّ الذنوبِ

خاتمة الكتاب

قد تم كتاب (روضة الورد) والمستعان على ذلك هو الله الفرد
وحيث اجتمع فيه ما جرى التليف به من شعر المتقدمين ولو على طريق
الاستعارة كرسم المؤلفين:

بيت

لئن تلبس عتيقاً فهو خيرُ من الثوب الجديد المستعارِ
وكان غالب كلام السعدي ناشراً للطرب ممزوجاً بالطيب الندي،
كاد عديم النظر والبيان يكون طويل اللسان قاثلاً: ليس من عمل العقلاء
إذهاب لب الدماغ باطلاً أو تناول دخان السراج بغير فائدة تجتلي؛
لكن أولياء الله الذين آراؤهم لامة لا تخفى عليهم من وجوه هذا
الكلام الدررُ الساطعة بالمواعظ الشافية التي خرجت في سلك العبارة
مع اللطافة والمداواة بمر النصيحة المختلطة بشهد الظرافة لكيلا يسأم
طبعُ المخاطب الملول ولا يكون محروماً في دولة القبول.

قطعة

لقد نصحنَا بعد أن عملنا سنين لا تُعد وانتهينا
إن لم نجدْ ذا رغبة في الفراغ فما على الرسول إلا البلاغُ

تم

نبذة من تاريخ حياة السعدي

إن من يتتبع آثار هذا الشاعر العظيم الذي طبقت شهرته الآفاق في مشارق الأرض ومغاربها، يستطيع أن يستخلص تاريخ حياته بسهولة مما تركه بين أيدي الناس يتداولونه ويتدارسونه فيما بينهم، معجبين مأخوذين بهذه العبقريّة الفذة التي لا وجود الزمان بمثلها إلا في فترات قليلة بين حقبة وأخرى من الدهر بعيدة المدى متطاوله الأمد. وإن الذين أرّخوه وعنوا بآثاره استخلصوا تاريخ حياته من دواوينه الشعرية ومن نثره الساحر، خصوصاً في كتابه الخالد (كلستان) وفي ديوانه الفاتن (بوستان).

أما اسمه الكامل فهو الشيخ مشرف الدين بن مصلح الدين

السعدي، أحد النجوم اللمعة في سماء الأدب الإيراني، فلقد بلغ أعلى درجات الفصاحة في اللغة الفارسية، كما ان نظمه ونثره يعدان أحسن مثال في السلاسة والبلاغة. أما ولادته فكانت سنة ١٠١٦ هـ على الأغلب.

ويزعم بعضهم أن الشاعر كان في رعاية الأتابك سعد بن زنكي، الذي أرسله إلى بغداد لإتمام علومه. وأغلب الظن أن الشيخ قد عزم على السفر إلى تلك المدينة للحصول، لما رآه من الحروب والاضطرابات في نواحي فارس، وقد كان من نتائج هذا السفر، ومن التقائه بعلماء بغداد وعظماؤها، أن كان لكل هذا تأثير لا حد له في نفسية شاعر شاب، وفي أفكاره كذلك.

وقد كانت بغداد في ذلك الوقت، دار العلم، حضر فيها دروس أساتذتها، كالشيخ شهاب الدين السهروردي، وهو من كبار رجال الصوفية، وأبي الفرج بن الجوزي، وأمثالهما.

ثم عاد السعدي بعد بضع سنوات من تحصيله في هذه المدينة، إلى موطنه في إيران، وقد تعرض إلى هجمات المغول، ولم تنج مدينة شيراز نفسها - وهي موطن نشأته - من الثورات التي وقعت بين أحفاد الخوارزمشاهيين وبين الأتابكة، فتأثرت نفسيته بذلك، ورغب في أن

يطوف العالم ويجوب نواحيه، فقام في رحلات طويلة، وزار مكة ودمشق، وبلغ شمالي افريقيا، وأقام مدة في الشام، وعاشر أهل تلك البلاد من الطبقات العليا إلى الطبقات الدنيا، واختلط بالعلماء، والعوام، والصوفية، والسنين، والملاحدة، والبراهمة. وقد تزود من كل ما تحمله أفكارهم. ولم يفارق دمشق العزيزة عليه إلا في سنة ٦٤٣ هـ، كما يغلب على الظن، حين ابتليت بالقحط والغلاء والجراد وجفاف مياه العيون والأنهار، فرثاها أبلغ رثاء، وبكاها أحر بكاء، وخرج منها هائماً على وجهه في بادية القدس، فأوقعه سوء حظه أسيراً بيد الفرنجة، وافتداه صديقه الحلبي وزوجه ابنته، فتخلص منها لوقاحتها ورحل عن حلب، وهذا آخر العهد به في ديار الشام.

وبعد هذا السفر الطويل، عاد الشيخ إلى موطنه شيراز، مزوداً بالخبرة، ممتلئ النفس بالأفكار الناضجة، والعقائد العميقة، فلما بلغها وجدها تحت حكومة الاتابك، أبي بكر بن سعد سنة «٦٢٣ هـ - ٦٨٨ هـ» فوجد البسطة في الرزق، والأمان في الحياة، وفي ذلك الموطن وجد السعدي الفراغ، والميل إلى التصنيف، فألف ذخائر المعارف، ونفيس الآداب، بعد أن أمضى عمراً طويلاً في التنقل بين البلاد.

ومع أن الشاعر قد طبقت شهرته الآفاق منذ نشأته، وسمع عن فضله منذ شبابه، وجرت أشعاره على الألسنة، فإن أهم ما قام به في ذلك العهد - أي أواخر عهد السلطان الأتابك أبي بكر - أنه نهض للتأليف والتدوين. وأول منظوماته الهامة والمشهورة هي «بوستان» وهذا الديوان يشتمل كله على قصص شعري غاية في الإبداع، وهو في هذا الديوان شاعر إنساني ومعلم أخلاقي، وبعد سنة من إتمامه، ألف مصنفه الآخر «كلستان» وهو أجود ما كتب في النثر الفارسي، وأسلوب كلستان يطابق عنوانه «روضة الورد».

وتتنظم فيه القصص، والأمثلة، والحكم، والنصائح الإخلاقية والاجتماعية في عبارات لطيفة متينة حتى تستطيع أن تقول إن الكلستان شعر منشور، أو نثر مجرد عن الزوائد والحشو.

أما غزليات السعدي فيمكن أن نقول إنه مبتكر فيها، فقد تضمنت أبداع الإحساسات، في روح الصوفية، فلم يبلغ شاعر آخر ما بلغه فيها. مع أنه يتضح من حكايات السعدي وحكمه أنه اندمج في زمرة رجال الصوفية، لكن لم يكن من أولئك الذين نفصوا أيديهم من شؤون الحياة، ولا من الذين لجأوا إلى الاعتزال، بل كان له لطافة أفكارهم، واشراق نفوسهم، في حياة معتدلة، وعمل مترن.

وكان تأثير السعدي في الناحيتين الأدبية والأخلاقية لا حد له، ليس في إيران وحدها، بل في العالم أجمع، فإن بعض الشعراء المشهورين الذين جاءوا بعده - كحافظ الشيرازي وعبد الرحمن الجامي - قد وضعوه موضع التقدير والاعجاب، وأحلوه بينهم محل الفضل والإجلال.

وقد بلغت شهرة السعدي أطراف العالم، ونقلت آثاره في النثر والنظم إلى جميع اللغات الحية، وكانت محل إعجاب الأمم وتقديرها. وتوفي الشيخ بين سنة « ٦٩٠ هـ و ٦٩٤ هـ » في شیراز، ودفن بها.



المشرق للثقافة والنشر

شابک: ۹۶۴-۸۲۴۱-۱۸-X

ISBN 964-8241-18-X